الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أدرار

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

# الصفة التواصلية للحجاج في النص الروائي الجزائري

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الدكتوراه LMD في اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات جزائرية في اللغة والأدب العربي

من إعداد الطالب:
علجي فؤاد

إشراف الأستاذة الدكتورة:
تكتك إكرام

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| أ.د سعاد شابي | أستاذة التعليم العالي | جامعة أدرار | رئيسا |
| أ.د إكرام تكتك | أستاذة التعليم العالي | جامعة أدرار | مشرفا ومقررا |
| د.مُحَمَّد بلوافي | أستاذ محاضر أ | المركز الجامعي تمنغست | عضوا مناقشا |
| د. مُحَمَّد كنتاوي | أستاذ محاضر أ | جامعة أدرار | عضوا مناقشا |
| د. حورية بكوش | أستاذة محاضرة أ | جامعة أدرار | عضوا مناقشا |
| د. عبد الله كروم | أستاذ محاضر أ | جامعة أدرار | عضوا مناقشا |

تاريخ المناقشة: الأربعاء 02 ديسمبر2020م

السنة الجامعية: 1441/1440هـ/2020/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

ينشرح صدري وينطلق لساني بشكور

أستاذتي المشرفة المفضالة تكتك إكرام

التي منّت فأعظمت المنة

وأوفت كيل المعونة، وتصدقت بالنصح

الخالص فغمر إحسانها مذكرتي

وطوّق فضلها عملي فراحت

الكلمات الحسان تتسابق إليها

في سرور وحبور

والشكر والحمد أولا وآخرا لله رب العالمين.

# الإهـداء

أهدي ثمرة عملي هذا

إلى علة كياني ورفيقة أحزاني

إلى التي على بساط الأوجاع ولدتني و بأيدي الآلام ربتني وبصدر المشقات حضنني

إلى شعار الطهر، رمز العفاف

إلى من يفيض قلبها رحمة و حنانا

أمي الحبيبة

إلى من غرس في قلبي الطموح، و علمني أنّ نور الشمس يخرج من رحم الظلام

أبي العزيز

إلى إخوتي و أخواتي

إلى براعم بيتنا

أديب، سفيان،ولاء الدين، محمد، أصيل، إبراهيم

إلى كل من يرفع لواء العلم والمعرفة المشيد بالسلف الصالح و بإنتاجه الهادف

الطالب: علجي فؤاد

# مقدمة

اللغة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات، ومن خلالها يسعى المُخَاطِبْ إلى نقل معارفه وتصوراته إلى المتلقي معتمدًا في ذلك جملة من المعطيات التي وفرتها هذه اللغة وبما تمتاز به من خصائص فنية ووظيفية تسهل عملية التواصل والتبيلغ في محيط وسياق معينين، لهذا اهتمت الدراسات اللغوية قديمها وحديثها ببنية هذه اللغة.

يعد الخطاب من أهم مجالات الدراسات اللغوية الحديثة، والهدف من ذلك هو الكشف عن الطرائق التي يعتمدها المتكلم لإنجاز خطاب ما، مراعيًا في ذلك السياق والظروف المحيطة بعملية الإنتاج، ودور المتلقي في فهمها وتحديد مقاصد المتكلم.

وقد كانت العملية الخطابية من أهم المسائل التي شغلت الكثير من الباحثين والدارسين وغايتهم في ذلك إيجاد الآليات التي يسلكها المتكلم للتبليغ عن مقاصده.

وكان نتيجة لهذا التوجه أن ازداد الاهتمام بدراسة تلك الطرق الإقناعية، التي مثلتها نظرية الحجاج، ودورها الكبير في توجيه خطابات المتكلمين، فركز الحجاج على الطرق والأساليب التي يتبناها المخاطَب في توجيه المتلقي واستمالته لإنجاز فعل معين.

من هنا عدّ الحجاج آلية لغوية هدفها إقناع المتلقي لتغيير سلوك أو قضية ما، من خلال توظيف اللغة بوصفها أداة تواصل.

والخطاب الروائي بوصفه خطابًا لفظيًا، يمتلك مقومات وأسسا تتمثل في الحركة الحوارية بين المتخاطبين، فقد احتوى الكثير من الأفعال الكلامية التي أنجزتها هذه الشخصيات، إضافة إلى أن الخصوصية الجوهرية التي تميزت بها الرواية من استمالة وتأثير وإقناع، ولذلك استعانت بجملة من الأساليب الحجاجية التي تؤمن لها هذه الغاية كالآليات اللغوية والبلاغية والتداولية.

ومن هذا المنطلق جاء موضوع هذه الأطروحة الذي وسمناه بـــــ: **الصفة التواصلية للحجاج في النص الروائي الجزائري.**

ولهذا المسعى وضعت جملة من التساؤلات التي تساعد على الإحاطة بجوانب هذا البحث:

- هل يستجيب الخطاب الروائي لإجراءات التحليل التداولي؟
- ما أهم الآليات الحجاجية الموظفة في الرواية؟
- كيف ساهمت البنية الحجاجية الموظفة في الرواية في إقناع المتلقي التي يريد المتكلم إيصالها؟

وكان من دواعي اختيارنا لهذا البحث مجموعة من المسوغات دفعتنا إلى الإقدام عليه:

- قلة الدراسات الحجاجية التطبيقية على الخطاب الروائي.
- الرغبة على الوقوف على أساليب الحجاج وآلياته في الخطاب الروائي.
- امتياز النص الروائي ببناء لغوي تواصلي يحاور ويسرد ويستفهم ويقرر ويبرهن.
- الحجاج أصبح مطلبًا أساسيًا في كل عملية تواصلية تتطلب حضور الفهم والإقناع والتأثير مما جعله يمتد إلى كافة مناحي الحياة: الثقافية والسياسية والاجتماعية.

وتأتي أهمية هذا الموضوع من خلال محاولته تحقيق الأهداف الآتية:

- إبراز أهمية الحجاج في الخطابات الروائية.
- الكشف عن تقنيات الحجاج وأبعاده المختلفة في الخطاب الروائي.
- تحسيس الباحثين بأهمية الممارسة الإجرائية التطبيقية على النصوص الروائية من أجل استنباط معاني جديدة وآفاق واسعة تنهل من واقع التأويل والتفسير.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي وقد آثرنا أن نستعين بجهدنا الخاص في عملية الإحصاء.

وقد سيقت الدراسة في هيكل تنظيمي قوامه مقدمة، فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

خصصت الفصل التمهيدي للجانب النظري من الدراسة وجاء موسومًا بـــ: الرواية الجزائرية من التأسيس إلى التأصيل، أما الفصل الأول فقد وسمته بـــ: بين النص والخطاب والتواصل، وقد تضمّن سبعة مباحث، حدّد المبحث الأول منه المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنص عند العرب والغرب، في حين عرض المبحث الثاني إلى مفهوم الخطاب في الدراسات العربية والغربية قديمًا وحديثًا، وتطرق المبحث الثالث إلى التخوم الفاصلة بين النص والخطاب، أما المبحث الرابع فتمحور حول التواصل عند العرب والغرب قديمًا وحديثًا، في حين جاء المبحث الخامس يبحث في التواصل الحجاجي أما المبحث السادس منه جاء ليبحث عن العلاقة بين البلاغة والتواصل في حين عرض المبحث الأخير حول الفروق بين الخطاب والتواصل.

أما الفصل الثاني فقد عنونته بـــ: في الحجاج، وتضمن ثلاث مباحث، في حين عرض المبحث الأول منه مفهوم الحجاج، وحدّد المبحث الثاني تاريخ الحجاج ونشأته عند الغرب والعرب، وتطرق المبحث الثالث منه إلى أبعاد الكلام في الحجاج.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن الجانب التطبيقي للدراسة بدأته بتمهيد للتعريف بالكاتب والمدونة، والأجناس الأدبية شروطها ومقتضياتها، ثم تحدثت عن علاقة الحجاج بالسرديات، ثم وقفت على الرواية وبلاغة اللغة، وتناولت في المبحث الأول الوسائل اللغوية ودورها الحجاجي وقصرت المبحث الثاني على الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي، ثم تناولت هذه الوسائل مع تطبيقاتها من المدونة من خلال تقسيمها إلى الاستعارة، الكناية، التشبيه، البديع، أما المبحث الثالث فكان عن الوسائل التداولية ودورها الحجاجي ثم الحديث عن هذه الوسائل واستدعاء تطبيقاتها من المدونة من خلال تقسيمها إلى الأفعال الإخبارية والأفعال الإنجازية، وقد تضمن المبحث الرابع الآليات المنطقية ودورها في توجيه ذهن المتلقي، في حين جاء المبحث الأخير يتحدث عن البنية الحوارية كفاعلية تواصلية.

وأنهينا بحثنا بخاتمة جعلناها ملخصًا لكل ما تـــمَّ التوصل إليه من نتائج، وككل دراسة أكاديمية تقتضي الاعتماد على مرجعية علمية وتوثيق فإنني استندت على مجموعة من المراجع التي أعانتني على تطويق حيثيات الموضوع فبالإضافة إلى رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك مصدر الدراسة فقد استعنت بكت أخرى ككتاب **الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية لأمال يوسف المغامسي** وكتاب **استراتيجيات الحجاج في التراث العربي لليلي جغام** وكتاب **الحجاج في الخطابة النبوية لعبد الجليل العشراوي** وكتاب **حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي لأميمة صبحي** وكتاب **الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع لحمدي منصور جودي** وغيرها من المصادر والمراجع التي سوف تذكر في نهاية البحث.

إن موضوعنا في ظل هذا التصور اتسم بالجدية لأن الدراسات السابقة في حدود علمنا لم تخصص موضوعًا للتحليل الحجاجي وبالخصوص توظيف الآليات الحجاجية في الخطاب الروائي، ما عدا دراسة تقدم بها الباحث **زهير القاسمي** من تونس تحت عنوان: **الحجاج في نماذج من الرواية العربية** بإشراف: **نجيب العمامي** أين اتصلت شخصيًا بالباحث وبمشرفه ولكن لم يقدما لي يد العون بحجة أن الدراسة مزالت تحت مجهر التصويبات والتصحيحات.

وكغيره من البحوث العلمية، فقد واجهت البحث بعض الصعوبات وهي من طبيعة البحث العلمي، منها قلة وندرة إن لم نقل انعدام الدراسات التي تناولت الخطاب الروائي حجاجيًا، أضف إلى ذلك الظروف المحيطة بالباحث المبتدئ عندما يجد نفسه في مواجهة مباشرة مع النص.

وختاما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذة الدكتورة تكتك إكرام، التي تفضلت بالإشراف على هذه الرسالة وتابعت مراحل نموها بعناية فائقة إلى أن اكتمل بناؤها ولم تبخل علي بتوجيهاتها السديدة وتشجيعاتها الدائمة التي منحتني الثقة بالنفس وساعدتني على إتمام العمل.

كما نشكر السادة أعضاء اللجنة الذين سيتجشمون قراءة هذا البحث من أجل تقويم اعوجاجه وتصويب هناته وأخطائه.

# الفصل التمهيدي

## الرواية الجزائرية من التأسيس إلى التأصيل

تعتبر الرواية "جنسًا أدبيًا لها قواعدها ومزاياها التي تختلف بها عن بقية الأجناس السردية وكشفت عن أهم خاصية تمتاز بها، ألا وهي مرونتها وعدم خضوعها لقواعد صارمة وقدرتها على تجاوز قواعدها وأشكالها القديمة باستمرار، وإمكانيتها في هضم وتمثل واستثمار قواعد وأشكال الأجناس الأخرى في نسيجها العام، ففي الرواية تتلمس ذلك البحث المضني واليائس والمثابر عن اليقين، اليقين الذي نفترضه في مكان ما خارج ذواتنا، لنقع أخيرًا على بعض ظلاله ربما داخل هذه الذوات فتكون الرواية لعبة الذات ومغامرتها، لا تلك المغامرة المفتوحة البطولية حيث يتميز الخير عن الشر، والأنا عن الآخر، وإنما المغامرة الأخرى مغامرة الفرد الذي يعي محدوديته وعجزه وحيرته، وبصر في الوقت نفسه على المضي بإرادته لمواجهة مصيره"[1].

إن ما يميز جنس الرواية عمومًا، والعربية خصوصًا "هو قدرتها على استيعاب أنواع الخطاب واحتواء أنواع تعبيرية ولغوية متنوعة، والانفتاح على مميزات أجناس متعددة واستثمار المتخيل والرمزي، واستلهام ما هو واقعي، الشيء الذي جعل منها بنية مفتوحة في تطور دائم ومستمر، تنفلت من كل التحديات وتخرق كل التنظيرات، ولعل هذا التحدي الذي يمتاز به هذا الشكل السردي، هو الذي حرك الأبحاث والدراسات، وطوّر النظريات ونوّع مقاربات النصوص انطلاقًا من مناهج مختلفة لهدف الكشف عن مكوناتها"[2].

الرواية كجنس أدبي هي "الأكثر اتصالًا بواقع المجتمع، والأكثر قابلية للتعبير عنه وإذا كان تعقد الظاهرة الروائية يحول دون اعتبار هذه الأخيرة مجرد انعكاس

---

[1]– سعد محمد رحيم، سحر السرد دراسات في الفنون السردية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، د.ط، 2014م، ص24.

[2]– السعدية الشاذلي، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي مقدمة حديث عيسى بن هشام وإنشاء الروايات العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، د.ط، 1998م، ص03.

للواقع فإن الكثير من خصائصها وثيقة الارتباط بهذا الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد والثراء"[1].

ويتبين أن الفن الروائي هو "فن أدبي تمكن من محاكاة مختلف شرائح المجتمع وذلك لأنه توغل في النفوس، وتلمس خفاياها، وعبّر عنها، فالشخصيات التي تخلقها الرواية قد تصل إلى حد إثارة الدهشة والغرابة خصوصًا حين يجد القارئ أنها تشبهه، أو ربما تشبه أحدًا يعرفه، فهي تعبّر عن بناء نفسي، تبدو النفس وكأنها من خلالها النافذة الضيقة التي تطل على العالم"[2].

ومن حيث الأهمية أولًا تعد الرواية "من حيث كونها عملًا فنيًا، أكثر الأجناس الأدبية ارتباطًا بالواقع لما تتوفر عليه من خصائص مضمونة تجعلها مؤهلة لتحظى بمساحة أكثر من الشعر في فعل القراءة، وقد حققت الرواية وجودًا في الكم وفي النوع حيث أن كتّاب الرواية أكثر عدد من الشعراء، مما جعل وسائل الإعلام تهتم أكثر بالنص السردي"[3].

فالرواية ظفرت في الحياة الثقافية المعاصرة "بمكانة لافتة بين الفنون الأدبية الأخرى وهي مكانة تستمد مسوغاتها في طبيعة هذا الفن الذي تطوّر على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون تطورًا كبيرًا، فالرواية تضرب بجذورها العميقة في مسالك متعددة، في مجاهل النفس وفي تفصيلات الواقع وفي رؤية الحياة والوجود والعالم، وقد لا يجادل أحد هذه الأيام، في أنّ الراوية لا تزال أكثر الأشكال الأدبية استجابةً للتغيير، إذ تتجلّى هذه الاستجابة في حركة التجريب المستمر التي تتضافر فيها المعارف

---

[1]– إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، الجزائر، د.ط، 2009م، ص58.

[2]– منى الشرافي، الجسد في مرايا الذاكرة الفن الروائي في ثلاثية أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2015م، ص22.

[3]– محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، بابا حسان، الجزائر، د.ط، 2007م، ص09.

الإنسانية المختلفة وتنعكس فيها الكشوف الطبيعية والنفسية، مثلما تستجيب لأشكال التراث والممارسات والطقوس والشعائر السحرية والأسطورية في تشكيلات فنية تعبر عن الرواية وتنوع تجاربها"[1].

والرواية هي أكبر الفنون الأدبية عمقًا واتساعًا "لأن معمارها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية، ويضيف إليها تصوير المجتمع والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره، واستيعاب التاريخ والتنبؤ باتجاهات المستقبل، يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة من خلال شخصياتها الروائية الفردية، فأصبحت الرواية طاقة سياسية واجتماعية هامة تعبر عن روح الأمة ومشكلاتها وطموحاتها"[2].

ويستطيع المراقب للحركة الأدبية في الوطن العربي المعاصر أن يلحظ بوضوح "تزايد حجم الإنتاج الروائي وأهميته إذا قورن بغيره من الأنواع الأدبية، والشعر بصفة خاصة هذا النوع الذي استحوذ قديمًا على صفة **ديوان العرب** إنّ تزايد حجم الإنتاج الروائي، والذي يتضح فيه تفضيل الناشرين للرواية عن غيرها، هو في الحقيقة تلبية لطلب متزايد من قبل القراء ينعكس في أرقام التوزيع التي تقول أن هناك إقبالًا على الرواية يكاد يكون ضعف الإقبال على الشعر في المتوسط، فالطابع العام الذي يسود اللحظة الراهنة من شعرنا الحداثي يبعده أن يكون فنًا جماهيريًا بالمعنى القديم"[3].

في المقابل نجد لدينا خلال العقود الخمسة الأخيرة، عددًا ضخمًا من النصوص الروائية التي"تسعى إلى التمسك بحد أدنى من الخصائص الفنية التي تحقق قدرًا متفاوتًا من التماسك الحدثي والنمو البشري للشخصيات، واللغة الحياتية، والعمق في رؤية

---

[1]– جريس سماوي، دراسات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م ص07.

[2]– أحمد محمد عطية، الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص07.

[3]– سيد البحراوي، الأنواع النثرية في الأدب العربي المعاصر أجيال وملامح، د.ط، د.ت، ص20.

مظاهر الأشياء، والربط بينها ربطًا يقود القارئ ليجوس في تجربة متكاملة، يشعر في النهاية هي تجربته بالذات أو قريبة منه على أقل تقدير هذه الخصائص والتي يمكن تسميتها بالقدرة على التعامل مع غريزة القص وغريزة التحليل للشخصية البشرية، بالإضافة إلى بعد التسلية والإمتاع، هي التي جعلت الرواية بعد هذا المجهود الطويل، تتمتع بهذه الأهمية لدى القراء أكثر من غيرها من الأنواع الأدبية وهذا كله، بالطبع يدعم التسمية بـــ: **ديوان العرب الجديد**"[1].

فالرواية أصبحت خلال القرنين الماضيين "الشكل السائد للكتابة الأدبية في أغلبية المجتمعات المتعلمة وذلك من حيث:

**الكمية:** آلاف العناوين التي تطبع كل عام.

**الاستهلاك:** هناك إقبال كبير على الرواية أما الشعر والدراما فهما هواية الأقلية.

**الحساسية الثقافية:** تعكس الروايات الحقائق الاجتماعية والاقتصادية ونزوات المستهلكين وتساعد في بلورتها بطريقة سريعة وبتعبير دقيق"[2].

إن الانفتاح اللانهائي على الواقع "هو الذي يجعل الرواية تتمتع بحرية الحركة والتعبير أكثر من أي جنس أدبي، ولعل ما يجعلنا نقبل بشغف على قراءة الرواية هو ذلك الاختلاف بينها وبين غيرها من الروايات"[3].

فالرواية هي الفن أو النوع الأدبي الأول الذي " يحاول الرد على الأسئلة أو يحاول درس المشكلة ولذلك سميت عند بعض النقاد المحدثين **فن المشاكل** إنها وحدها تستطيع أن تعالج الأبعاد المتعددة للمشكلة الواحدة، وهي الفن الذي يستطيع أن يسبر

---

[1]– سيد البحراوي، الأنواع النثرية في الأدب العربي المعاصر أجيال وملامح، ص22.

[2]– روجر فاولر، اللسانيات والرواية، تر: أحمد مومن، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د.ط، 2006م، ص14.

[3]– محمد شاهين، آفاق الرواية البنية والمؤثرات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2001م، ص07.

غور مشاكل النفس البشرية، مشاكل النفس مع الآخرين من أفراد الأسرة أو المجتمع أو الحياة عامة

ومشاكل النفس مع النفس ذاتها"[1].

فالرواية هي "أفضل الأجناس الأدبية لدراسة كيفية تحول الواقع إلى خيال، وهي تعتبر بحق مختبر السرد الروائي للأحداث"[2].

فالرواية أخذت مكان الصدارة بين الأشكال الأدبية عالميًا وعربيًا لأنها البوتقة والوعاء الأنسب للمرحلة التاريخية التي يمر بها العالم، لذلك أصبحت "الشكل العالمي المعمم للثقافة"[3].

فالرواية حققت سلطة كتابية وقرائية هائلة، أزاحت على نحو واضح الاهتمام القرائي لبقية الفنون الأدبية السردية وغيرها، واستقطبت الفضاء الأدبي والثقافي في العالم على نحو شبه مطلق، وقاد ذلك إلى تداول مقولات بشأن موت الشعر مثلًا لما يعنيه من ضعف تلق قياسًا بتلقي الرواية وأسهمت فضاءات ثقافية جديدة شجعت كثيرًا على تمكين الرواية من هذا التسيد في مجتمع القراءة"[4].

فالرواية هي الفن السردي القادر على تمثيل "التوترات القابعة في صلب مجتمعنا والمجتمعات الإنسانية بشكل عام، هذا الفن الذي تطور بسرعة مذهلة خلال القرون الأخيرة اكتسب شرعية كونه أحد أهم وسائل التمثيل، الرواية وهي فن حديث العهد إذا ما قيس بالشعر، تطورت بسرعة مذهلة وتشعبت أشكالها وأنواعها، تبوأت مكانة

---

[1]– محمد جبر عبد الحميد، فن القصة تاريخ ودراسات، دار البيان، مصر، د.ط، 1987م، ص122.

[2]– مالكوم برادبري، الرواية اليوم، تر: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1996م ص44.

[3]– ر.م ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1982م، ص06.

[4]– محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015م، ص01.

رفيعة، وهي أصلح من غيرها للتوغل في المناطق المعتمة والغامضة لكي تكشف ما يحتاج إليه المجتمع من كشف"[1].

الرواية احتلت مكانةً معتبرة في حياتنا الواقعية والفنية والجمالية على السواء وبذلك نجدها "قد طفقت تلتمس الكثير من مسائلنا الاجتماعية الخاصة بذواتنا، وبدرجة أخص في هذه المدد المتأخرة، إذ بواسطة الفن الروائي، بدأنا نتعرف على ذلك الرابط الذي جمعنا بوشائج واقعنا المعيش فقد صورت الرواية هذا الواقع المر التعيس الذي بتنا نستحي به من أنفسنا بكل ما يحمله من صدق وعفوية، لعل ذلك ما جعلها من الناحيتين الواقعية والفنية تحتل مكانة مرموقة في قلوبنا وعقولنا، وهو ما خولها كذلك لأن تكون أقرب الفنون الأدبية إلى معترك همومنا اليومية، ولعلها قد صارت أشد ارتباطًا والتصاقًا بمشاكلنا وأزماتنا المتعددة التي نعانيها، وعلى وجه أخص فيما يتعلق بقيمنا الخلقية وثوابتنا العقائدية والتراثية أو لنقل مضاجعنا وخصوصياتنا"[2].

فالرواية بالإضافة إلى الفنون الأخرى بدرجات متفاوتة "هي الفن المنفتح على المجتمع بشكل خاص، نظرًا لطبيعتها الراصدة التي تقدم وعيًا خالصًا للحياة، سواءً أكان ذلك الوعي مرتبطًا بلحظة راهنة أم ماضية"[3].

وفي هذا الإطار الحافل بالعطاء الثقافي يقول الناقد **صالح بن الهادي رمضان** عن عالم الرواية "إنه فضاء جمالي باعث على الرغبة في الانخراط في الكتابة النقدية، وهو من جهة أخرى مجال تعبيري يمنح مجتمع القرّاء قدرة فائقة على تطوير قرائية اللغة الأدبية في الفضاء الثقافي الحديث، وهو أخيرًا القطاع الأدبي الذي يمكن كلّ من أراد إبداء رأيه في قضايا المجتمع الحديث ومشاغل إنسان هذا العصر المختلفة أن

---

[1]– عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص218.

[2]– بلحيا الطاهر، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2017م، ص18.

[3]– عادل ضرغام، في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص17.

يتحدّث عن تلكم القضايا والمشاغل بما لا تستطيع لغة الخطاب العلمي المباشر التعبير عنه في سائر أشكال التواصل الكتابي، وفي عامة أجناس الخطاب المفهومي أشكال الخطاب غير الاستعاري أو غير الرمزي"[1].

فالرواية أصبحت هي الشكل الجديد الذي تتجلى فيها القيم المرتبطة بالمتغيرات الاجتماعية فهي الجنس الأدبي الذي يبشر بالحرية، والفرار من القواعد الصارمة المكبلة للممارسة الإبداعية.

وصف أحد النقاد الكبار الرواية الأوروبية بأنها "ملحمة الطبقة الوسطى **البرجوازية** التي تكشف عن ضياع الإنسان وغربته في المجتمع الحديث، فقد نشأت الرواية الأوروبية عندما تحطم التكامل بين الإنسان وعالمه، وظهرت الحاجة إلى قصة يبحث بطلها المغترب عن عالم أكثر تكاملا تتحقق فيه رغباته، هذه النشأة جعلت الرواية الأوروبية شكلا من أشكال المفارقة التي تتجسد في توتر المسافة الفاصلة بين الواقع الملموس والمثال الغائب"[2].

ويمكن لنا في تفكير مواز لهذا التفكير، ومغاير له في الوظيفة "أن نؤكد أن الرواية العربية هي ملحمة الطبقة الوسطى، ولكن في البحث عن هوية لها، داخل مجتمع ينقسم على نفسه، فيتمزق حاضره بين تقاليد ماضيه، وآفاق مستقبله بالقدر الذي تتمزق به هذا المجتمع بين تراثه الذي يشده إلى حلم مثالي عن عهد ذهبي للماضي، وحضارة الآخر الأجنبي الذي تشده إلى حلم مثالي مناقض في وعد المستقبل، هذا البحث عن الهوية هو الذي جعل الرواية العربية تنطلق من مفارقة التغير التي تفصل الماضي عن الحاضر من ناحية، والحاضر عن تطلعات المستقبل من ناحية ثانية، وفي

[1] – سليمان قوراري، مباحث في الرواية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 1986م، ص09.

[2] – جابر عصفور، زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1999م، ص37.

هذه المفارقة المزدوجة تقاطعت علاقات الذات القومية بتراثها العربي مع علاقتها بحاضر الآخر الأجنبي داخل فضاء الرواية العربية "[1] .

لقد نشأت البدايات الأولى للرواية العربية "مع بدء التغلغل الاستعماري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما نتج عن ذلك من نشوء علاقات إنتاج رأس مالية، لم تكن ولادتها قد نمت بطريقة التطور الطبيعي لعلاقات الإنتاج السابقة عليها، بقدر ما كانت مفروضة بفعل التدخل المباشر من القوى الأجنبية الخارجية الاستعمارية ولذلك فإن الرواية العربية الناشئة مع نشوء الرأسمالية المصرية، قد اقتصرت على الجانب الرأسمالي من الحضارة الأوروبية الوافدة بشكل تدخل استعماري مباشر، ولهذا نجد أن جهود الروائيين العرب انصبت بالدرجة الأولى على مناقشة حضارة أوروبا الرأسمالية في لقائها بالمجتمع العربي"[2] .

إن الرواية العربية قد استطاعت "أن تتقبل مختلف الأبنية، والأنساق الجمالية وقد وفقت في اختراق عالم الحداثة خلال تطويرها لأدواتها الفنية، وتطويع لغتها وخاصة السردية منها، وأدرجت تعقيدًا في حبكتها، فاستطاعت أن تعبر على ما يعيشه الإنسان في واقعه الحالي، وتتقاطع في عالم واحد من خلال سردية تسمو بالأحداث إلى درجات التوصيف العجيب الذي كان سائدا في سرديات العصر الوسيط"[3].

فالرواية العربية شهدت صعودًا مذهلًا في النصف الثاني من القرن العشرين وواكبت تحولات المجتمع العربي بأقطاره وبيئاته وأطيافه.

ولا شك في أن ظهور الرواية العربية استندت إلى أسس ومرتكزات أدبية وثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية، ويمكن أن يذكر المرء هنا "تراكم الخبرات

---

[1] - جابر عصفور، زمن الرواية، ص 38.

[2] - شجاع مسلم العاني، الرواية العربية والحضارة الأوروبية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، د.ط 1979م، ص05.

[3] – بلحيا الطاهر، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، ص107.

الفنية والأدبية وتطور الوعي الجمالي والاحتكاك والتواصل مع تجارب الروائيين الأجانب، كل هذه العوامل أدت إلى الإحساس بضرورة التغيير والتغير، كما أدت إلى شحن الوجدان الجماعي بالقدرة على التخطي والتجاوز"[1].

والرواية العربية "قد رصدت كل تحركات الماضي وتطلعات المستقبل، في نماذجها الروائية المختلفة الأهواء والانتماءات"[2].

والرواية العربية لقد عرفت في تاريخها القصير مقارنة مع الشعر ذي التاريخ الطويل ومع نظيرتها الغربية التي سبقتها إلى الظهور "تطورًا كبيرًا سواء على مستوى الموضوعات التي عالجتها أو التقنيات والأساليب التي وظفتها في التعبير، هيأ لهذا التطور المتحقق في مسيرتها القصيرة موئلا مكنها من ملاحقة تحولات المجتمع العربي الحديث ومن مواكبة صيرورته"[3].

والرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العربية، استطاعت أن تواكب ظروف هذا العصر وأن ترصد الأحداث وأن تصنع منها مادتها الخام، مصورة ما كان يجري من وقائع وتغيرات.

الحديث عن الأدب الجزائري جزء من كل، هو الأدب العربي عمومًا "للجذور المشتركة الضاربة في العمق، رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي، وهي فروق لا تلغي طبيعة التلاقح والتكامل فكرًا وفنًا، في كل الأنواع الأدبية، ومن هذه الأنواع الرواية نفسها، والرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة إذا عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرقه ومغربه، سواء في نشأتها الأولى المترددة،

---

[1]– شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د.ط، 2008م، ص13.

[2]– بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص12.

[3]– سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2012م، ص91.

أو في انطلاقتها الناضجة ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية بأشكال مختلفة وهي نشأة تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر عربي إلى آخر، من دون أن نسهو عن جذورها المشتركة عربيا، أولا: في صيغ القرآن الكريم، والسيرة النبوية، وثانيًا: في البذور القصصية الأولى، في مقامات **الهمذاني (969م/1007م)** و**الحريري 1054م/1122م)** فنشأة الرواية العربية ومنها الجزائرية لم تأت من فراغ فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها كما أنها ذات صلة تأثرية ما بهذا الفن كما عرفته أوروبا في العصر الحديث"[1].

ولنتفق منذ البداية على حداثة الكتابة الرّوائية في الأدب الجزائري والرواية المكتوبة بالعربية أكثر حداثة من نظيرتها المكتوبة بالفرنسية نقصد هنا حداثة النشأة لا حداثة البناء المورفولوجي والفني وقد حاول بعض النّقاد حصر أسباب تأخر هذا الجنس الأدبي فمنهم من أرجع هذا التّأخر إلى ظروف متعلّقة بالوضع الثقافي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، التي ولّدت حياة ثقافية يحكمها التجهيل والتّسلط وكبت الحريات، وما صاحب ذلك من محاولات لطمس اللّغة العربية.

تشير بعض الدراسات إلى أن أول محاولة قصصية مطولة عرفها الأدب الجزائري تدخل في إطار جنس الرواية كظاهرة مبكرة كتبه صاحبه سنة **1849م** وهو **حكاية العشاق في الحب والاشتياق** للسيد **محمد بن إبراهيم (1806/1886م)** المدعو **الأمير مصطفى.**

والقصة تحمل في طياتها ظلال القصة الشعبية بجوها ولغتها فهي: "في مستوى بين القصة الشعبية والرواية الفنية باعتبار هذه القصة الطويلة مرحلة أولى في ميلاد الرواية العربية الحديثة على مستوى الوطن العربي كله"[2].

---

[1]– عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2، 2009م، ص196.

[2]– المرجع نفسه ، ص 197.

والرواية تروي مغامرات عاطفية ومشاعر فياضة وانفعالات محمومة، وإغراقها في رومانسية مؤثرة، جرت بين فتاة جميلة تدعى **زهرة الأنس** من طبقة عالية وأمير شاب من أسر أحد دايات الجزائر يدعى **ابن الملك** والرواية كتبت بأسلوب رقيق جمعت النثر الصافي القريب من اللغة الفصيحة والشعر المحلون.

ورواية **حكاية العشاق في الحب والاشتياق** أقرب إلى السرد الملفوظ، وأكثر التصاقًا بالشعبية وكل ذلك لا ينفي عنها صفة التأسيس للرواية الجزائرية إن لم نقل الرواية العربية قاطبة، فحكاية العشاق لم تكتف بتسجيل الواقع كما هو مثلما فعل **رفاعة الطهطاوي ( 1873/1801م)** في كتابه **تخليص الإبريز**، وإنما كانت لكاتبنا إرادة بناء نص قصصي وهذه الإرادة متوفرة ومتأصلة منذ قراءتنا لأول كلمة في القصة"[1].

ثم تبعتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي، وتبحث في مضمون الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة، فكان أول جهد معتبر في ذلك رواية: **غادة أم القرى** لكاتبها **أحمد رضا حوحو ( 1956/1910م)** وانتهى من كتابتها في الجزائر **01 جانفي 1947م.**

وكما عالجت من قبل رواية **حكاية العشاق في الحب والاشتياق** موضوع العشق فقد تطرقت رواية **غادة أم القرى** إلى قضية المرأة أيضا، وهذا ما يلاحظ في صفحة الإهداء والكتاب لقد خصص للأوضاع التي تعيشها المرأة المكية، وهذا ما جاء يحمله العنوان حيث إن **غادة** تعني الفتاة الحسناء وأم القرى هي مكة، وأهدى هذا الكتاب للمرأة الجزائرية قائلًا: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ...من نعمة العلم ...من نعمة الحرية، إلى تلك البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى"[2].

---

[1]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009م، ص45.

[2]– أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، د.ط، 2007م، ص05.

فأول شيء حرمت منه المرأة الجزائرية، كما حرمت منه المرأة المكية هو الحب "وهذا الحرمان هو ما يقابلنا في الرواية من خلال تصوير معاناة **زكية** التي تجد نفسها بين أربعة جدران بحجة أنها امرأة، إن المبنى الحكائي يبدأ باكتشاف الفتاة لجسدها بواسطة المرآة"[1].

وقد وصف الكاتب **زكية** بأنها "فتاة معتدلة القامة، رشيقة القد، تكسو جسمها سمرة تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلاوين حالكة السواد"[2].

أما داخل هذا الجسد "فنيران ملتهبة تنطلق على شكل زفرات حارة، إنّه تقييد وكبت العواطف داخل هذا الجسد وحبس هذا الجسد داخل هذه الجدران، فلا مجال لإثبات الوجود وليس هناك من يكشف هذا الجسد سوى المرآة، ويشاء المؤلف أن يفرغ البيت من السكان وتبقى **زكية** وحيدة، ويقبل **جميل** الذي تربي في صغره مع **زكية** في بيت واحد إلى أن أتى يوم منعت فيه الفتاة من التحدث إلى **جميل**، ها هو اليوم يقبل ويقف عند الباب طارقًا لكنها وحدها ولا تستطيع الرد وتكتفي بالتصفيق علامة أن لا أحد بالبيت يمكنه فتح الباب، وتعبر الفتاة من خلال هذا الموقف عن حرمانها من أن تريه وجهها، أو تسمعه صوتها، ولا تجد هذه الفتاة لمعالجة وضعيتها تلك سوى الهروب للطفولة حيث كان يسمح لها ببعض اللعب"[3].

ويحدث أن يأتي الشيخ **أسعد** "طالبًا يد الفتاة **زكية** لابنه ويرفض أبوها هذه الخطوبة بحجة أنها مخطوبة **لجميل**، وهنا تفرح الفتاة وتطير بأجنحة السعادة إلى المستقبل، لكن الشيخ **أسعد** ما كان له أن يسكت عما لحق به من رفض وهو الثري فيدبر ابنه مكيدة لجميل تجعله يدخل السجن ظلما"[4].

---

[1]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص46.

[2]– أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص15.

[3]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص46.

[4]– المرجع نفسه، ص47.

وهنا تؤول **زكية** إلى حالة صحية عصيبة، يقول الكاتب: "تلك الفتاة التي قضى عليها عراك نشب ما بين حبها المكبوت المكبل بالأغلال وعقلها المرهق بأعباء التقاليد الثقيلة، فقد اتخذا من قلبها الفتي ميداناً لنضالهما فحطماه وتحطما معه، وغدا سرها دفينا بين قلبها وعقلها المتين وغدت هي كالطفلة تمرح وتلعب وتستهتر وقد تخلصت من كل الآلام والقيود، قيود العقل والقلق وآلامهما"[1].

إن **زكية** تصاب بمرض يشبه الجنون "وبذلك تتحطم ذاتيًا، فقد أصبح قلبها الفتي ميداناً للتناقض بين رغبات النفس، وبين التقاليد التي يفرضها المجتمع مثل: الكبت التصريح بالحب الاختفاء وعدم الظهور، وتكون النتيجة الرفض الكلي للمجتمع والانسحاب من ميدان الحياة السوية، وبذلك تحدث المأساة الكبرى في هذه الرواية وتمتد لتصيب أيضًا **جميل**، إذ تنتهي الأمور بموت الحبيبين قبل إيجاد حل، بل إن الموت هو الحل البديل"[2].

وهذه الرواية كتبت على الطريقة الكلاسيكية الأرسطية، التي ترى أن العمل الدرامي تحكمه ثلاث مقومات: بداية، عرض، ونقطة وسط، عقدة، ونهاية حل.

ويبقى هذا العمل بالرغم من هناته وهفواته، عملًا فنيًا رائدًا في بنائه ولغته وفي مغامرته الإبداعية خاصة إذا قورن بما كان سائدًا، ويكفي **أحمد رضا حوحو** فخرًا أنه أول أديب يكتب باللغة العربية، ويدخل عوالم الفن الروائي.

وإذا انتقلنا إلى فترة الخمسينات نجد روايتي: **الطالب المنكوب لـــ:عبد المجيد الشافعي** التي صدرت سنة **1951م**.

لقد رسم لنا الكاتب في قصته هذه "ملامح للشباب الجزائري الطموح الذي يفارق وطنه وأرضه وقريته فقيرًا يتيمًا معدمًا، ويلاقي من الصعوبات والمرارات الكثير،

---

[1]– أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص47.

[2]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 47.

ولكنه يدرك في الأخير غايته وبفضل الصبر والصمود والكفاح والخلق الكريم يتفوق على الحصول على الشهادات العلمية التي فارق بسببها وطنه "[1].

أما الرواية الثانية التي ظهرت في هذه الفترة هي رواية: **الحريق** لـــ: **نورالدين بوجدرة** التي صدرت سنة **1957م**.

بطل رواية **الحريق** شاب شجاع اسمه **علاوة** ينحدر من ولاية سكيكدة، قرر **علاوة** الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية بعد أن قتل الاستعمار الفرنسي والديه، ولكي ينتقم لهما يجد نفسه مضطرًا بأن يضحي بحبه، تاركًا ابنة عمه وخطيبته **زهور** التي تلتحق هي الأخرى بصفوف الثورة التحريرية لكن تشاء الأقدار أن تصاب **زهور** بمرض عضال أثناء رفقتهما في الجبل، فيحملها **علاوة** قاطعًا بها الجبال إلى أن تستشهد بين يديه عند الحدود التونسية الجزائرية.

وبقي هذا النص الروائي أكثر جدية وتطورًا من النصين الروائيين السابقين **غادة أم القرى** و **الطالب المنكوب**، وقد كان بإمكان الكاتب أن يقدم لنا نصًا متماسكًا مترابط الوشائج، خاصة أن المخزون الفكري واللغوي والثقافي لهذا الأديب كانت تؤهله في كيفية التعامل مع البنيات السردية والفنية لعمله.

أما في فترة الستينات فلا نكاد نعثر إلا على عمل روائي مكتوب باللغة العربية وهو **صوت الغرام** لـــ: **محمد منيع** التي كتبها سنة **1966م**، وذلك نظرًا للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، إذ انشغل الجزائريون بمعركة البناء والتشييد.

وتتميز عن الروايات التي سبقتها أنها ظهرت بعد الاستقلال، ولكن لا تختلف عن غيرها في بنيتها ومضمونها، فالموضوع الرئيسي الذي تعالجه هذه الرواية هو موضوع **الحب** في أبسط حوامله الفكرية والعاطفية.

---

[1]– محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص140.

وكتقييم للكتابات التي سبقت السبعينات نرى "أنها لم تتطور صوب اتجاهات فنية واضحة بل ظلت مجرد محاولات معزولة لم ترق إلى المستوى المطلوب، وهذا الموقف يتناسب والظرف التاريخي السائد، والدارس لهذه النتاجات يلاحظ سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس السطحية ولا نجد أي كاتب أو ناقد أثار مثلًا مسألة الشكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص"[1].

ونرى أن الجيل المخضرم من الروائيين الذين "عاشوا أوائل الخمسينات وسنوات الثورة الجزائرية يدًا لا تنكر في الربط بين ماضي الأدب الجزائري وحاضره، إن لجيل الثورة والجيل الذي سبقه يدًا لا تنكر في توجيه نثرنا الحديث الوجهة التي يتجهها اليوم غير أن هناك أمورًا يمتاز بها أدباؤنا لفترة ما بعد الاستقلال على أدباء ما قبل الاستقلال وأهم هذه الأمور هو اشتداد القاص والروائي المعاصر بدوره في المسيرة الاجتماعية التي تسيرها بلادنا منذ الاستقلال، فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى"[2].

وعليه تبقى النصوص التي ذكرناها سابقًا، البذرة الأولى للرواية العربية في الجزائر، على أنّ هذه النصوص مثلت بحق مرحلة التأسيس للكتابة الروائية العربية في الجزائر "لأن التجربة ومنطق التطور تؤكد لنا أنّ ظهور فن ما مكتملًا طفرةً واحدةً أمر مستحيل لا يرام ولا يوجد على الأقل في ثنايا التجارب الماضية، الأمر الذي يجعل من التعقل العلمي قبول النصوص التي ذكرناها بوصفها مرحلة لا بد منها للوصول إلى مرحلة متطورة، أو كما يمكن أن نسميها: مرحلة التّأصيل الروائي"[3].

---

[1]– أحلام معمري، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، دورية علمية محكمة تصدر فصليا عن كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد20، 2014م، ص60.

[2]– محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م، ص119.

[3]– فايد محمد، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طكسيج للدراسات والنشر والتوزيع، الدويرة، الجزائر، د.ط، 2014م، ص61.

أما في السبعينات فقد شهد الفن الروائي تطورًا وتنوعًا لم يعرف له مثيل من قبل "إذ رجحت كفة الإبداع الأدبي على ما سواه من وسائل التعبير الجمالية، حيث زخرت الحياة الثقافية بكم هائل من القصص القصيرة ودواوين الشعر وعشرات الروايات والمسرحيات في بلد كان يعتبر النطق فيه بحرف عربي جريمة وتخلفًا ثم رجحت هذه الكفة مرة ثانيةً لصالح الرواية على القصة القصيرة والمسرحية والشعر نتيجة لامتلاك الأولى مقومات البعد الوظيفي المأساوي والقدرة على تجسيده فنيا، زيادة على تميزها بتوفير مجالات أوسع للبحث عن الذات وبقدرتها العجيبة على احتواء هموم الإنسان ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا"[1].

غير أن "النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية **ريح الجنوب** وقد كتبها **عبدالحميد بن هدوقة (1925/1996م)** في فترة كان الحديث السياسي جاريًا بشكل جدي عن الثورة الزراعية فأنجزها في **05 نوفمبر1970م** تزكيةً للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعةً للخروج بالريف من عزلته ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، إذًا هذا هو الجو الذي تنفست **ريح الجنوب** طلائعه، وقد جرت أحداثها في الريف، بمنطقة تقترب من الهضاب العليا بين جنوب الوطن وشماله"[2].

**وريح الجنوب** تعالج قضايا كثيرة "تتصل بالأرض وبالمرأة، وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره، تلك هي الخطوط العامة التي رسمها المؤلف من خلال الحدث والشخصيات في هذه الرواية"[3].

---

[1]– مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب وهران، الجزائر، ط1، 2005م، ص50.

[2]– عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص198.

[3]– عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، د.ط، 2009م، ص239.

وتعد رواية **ريح الجنوب** "علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية في هذا البلد، ولعل الرأي الذي يقول أنها تمثل الريادة الحقيقية والتأسيس الفعلي لفن الرواية المكتوب بالعربية في الجزائر يعدو الحقيقة، وذلك لما تنطوي عليه بنية هذه الرواية من تمكن بنائي لافت، ومستوى سردي محكم ومقاربة عميقة لنماذج الشخصيات ومعالجة فنية خاصة، وعلى صعيد الرواية العربية يمكن توصيف هذه الرواية بأنها أصبحت بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على صدورها بطبعتها الأولى، واحدة من كلاسيكيات الرواية العربية ومن بين أبرزها خلال القرن العشرين وعلى الصعيد العالمي نالت هذه الرواية اهتماما واسعا فترجمت إلى عشر لغات عالمية منها: الفرنسية الألمانية الروسية، الإسبانية، فيما حظيت باهتمام مضاعف بعد أن تحولت في أواسط السبعينات إلى فليم سينمائي بالاسم نفسه"[1].

إنها رواية "المرأة بمختلف نماذجها المقهورة والمذعورة والمحتجة، وهي رواية مكتوبة بعربية فخمة وبجزالة متماسكة، ومتمسكة ببلاغة تراثية وعبارات فصيحة حد الصرامة... حتى أن صرامة تعبيراتها وجزالة ألفاظها وفصاحة عباراتها تنسحب بالقدر نفسه على الراعي والمثقف لتضعهما في مستوى واحد "[2].

تبدلت الظروف العامة منذ الاستقلال "فتحقق الاستقلال السياسي، وتأكدت الشخصية الوطنية، وقامت الدولة الجزائرية التي بدأت تعمل من أجل الحفاظ على المقومات الوطنية الحضارية فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى، وكثير من الباحثين يرون أن المواقف ذاتها قد تبدلت، وفي

[1]– محمد مظلوم، ريح الجنوب رواية عبد الحميد بن هدوقة، كتاب في جريدة، أصدرته منظمة الأونيسكو عام 1996م، عدد 115، 2008م، ص03.

[2]– المرجع نفسه، ص03.

الواقع أن هذه المواقف قد تطورت فعلا، فمواقف كتاب اليوم ليست بالضرورة هي مواقف كتاب الأمس"[1].

كانت فترة الاستقلال أدعى لما فيها من هدوء نسبي إلى الميل نحو كتابة الفن الروائي لكن صورة الثورة ظلت هاجس تلاحق كل الكتّاب، سواء من باب الحنين فالوصف، أو من باب الحنين فالنقمة فالنقد.

فروايات مثل: **المؤامرة لـــ: محمد مصايف**، و **البزاة لـــ: مرزاق بقطاش**، و**هموم الزمن الفلاقي لـــ: محمد مفلاح**، نجدها مثلًا لا تتعدى الوصف بهدف التغني بمجد صنعناه بينما نجد **التفكك لرشيد بوجدرة**، و **اللاز لطاهر وطار**، و **نوار اللوز لواسيني الأعرج**، أو **زمن النمرود للحبيب السايح**، أو **صهيل الجسد لأمين الزاوي** "من الكتابات التي لم تبق في حدود التعاطف والوصف، بل تجاوزت ذلك إلى النقد، رغم أن هؤلاء المؤلفين جميعًا عاشوا الظروف نفسها تقريبًا"[2].

فصورة الثورة في أعمال **الطاهر وطار**، و **رشيد بوجدرة**، و **واسيني الأعرج**، و **أمين الزاوي** و**الحبيب السائح** "لم تحضر بوصفها رقعة أرجوانية تزيّن النص الأدبي ولا كجسر يمكّن الكاتب من العبور إلى اكتساب الشرعية الأدبية، وإنما الارتداد إلى صورة الحرب يمثل مرتكزًا شرعيًا نقديًا نقيضًا لشرعية تاريخية يمثلها الخطاب الرسمي بشكل زائف، وهنا يتداخل السياسي والاجتماعي والنفسي والتاريخي وتقصر أية مقاربة نقدية عن ملامسة الإشكالية التي يطرحها النص إذا هي اعتمدت منطلقا أحاديا، وإذا هي لم تتسلح بوعي واقعي وتاريخي"[3].

أما مرحلة الثمانينات فقد شكلت في مناخها الروائي استمرارية لفترة السبعينات سواء على المستوى الفني أو في طبيعة الرؤية التي تبناها أصحابها، حيث لم يلحظ أي

---

[1]– محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، ص120.

[2]– مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013م، ص96.

[3]– المرجع نفسه، ص96.

عمل من هذه الأعمال في هذه المرحلة أنه أحدث قفزة نوعية مع رواية السبعينات، إلا بعض المحاولات التي راحت تبحث عن رحلة الذات، ومحاولة الانفتاح، وكسر قدسية الثورة التي طبعت جل الأعمال الروائية في مرحلة السبعينات ومن هذه الأعمال نذكر: رواية: **الحوات والقصر لـــ: الطاهر وطار** التي كتبها سنة **1980م**، ورواية: **الجازية و الدراويش لـــ: عبد الحميد بن هدوقة** التي كتبها سنة **1983م**، ورواية: **تجربة في العشق لـــ: الطاهر وطار** التي كتبها سنة **1988م**.

أما في مرحلة التسعينات تجاوزت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية مرحلة التأسيس والبحث عن الذات فقد وقفت على رجليها لتنطلق إلى السعي في رحلة البحث عن الإبداع والتميز، مع أن فترة التسعينات كانت من أصعب المراحل التي مرّ بها الشعب الجزائري وعاني فيها الكثير من الويلات والمصاعب، وتفشت خلالها ظاهرة الإرهاب الذي أدى إلى كل صنوف المآسي والأحزان، إلا أنها في الوقت نفسه فتحت الأبواب أمام الأدباء لتناول مواضيع دسمة.

فالأوضاع التي عاشتها الجزائر في حقبة التسعينات جعلت العديد من كتاب الرواية من مختلف الأعمار يستلهمون منها مواضيع لأعمالهم الإبداعية، وهو الأمر الذي أحدث فصلة نوعية في متن تلك الروايات، ولعل من النصوص الروائية التي عالجت موضوع مسألة المحنة رواية: **ذاكرة الجسد لـــ: أحلام مستغانمي** التي كتبتها سنة **1993م**، ورواية: **الشمعة والدهاليز لـــ: الطاهر وطار** التي كتبها سنة **1995م**، وكذا رواية: **المراسيم والجنائز لـــ: بشير مفتي** التي كتبها سنة **1997م**.

أما فترة ما بعد التسعينات تخلصت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية من قيود الماضي وبدأت في مناقشة قضايا الراهن، واستشراف المستقبل، فمثلت التجريب والإبداع وجدّت وجدّدت في أساليبها المختلفة، موظفة التراث فتجاوزته إلى ما بعد التراث وإعادة إنتاجه بطابع الحاضر.

وعجّت الساحة الأدبية بجمع من الأدباء غاصوا في متاهات الحداثة السردية مستخدمين آليات تجريبية جديدة تجديدية أمثال: **واسيني الأعرج، إبراهيم سعدي، الحبيب السايح، أمين الزاوي، عز الدين جلاوجي.**

والحق أنه يسبق هذا الإبداع الأدبي الجديد في الستينات "واقع أخر يتمثل في أن عددًا مهمًا من كتاب القصة القصيرة الجزائرية بالعربية كانوا قد نشروا قصصهم منذ الأربعينيات وأوائل الخمسينيات في صحيفة البصائر وعلى وجه الخصوص، وحين توقفت هذه الصحيفة سنة **1956م** نتيجة لأحداث ثورة **01 نوفمبر 1954م**، اتجه عدد من أولئك الكتاب إلى نشر قصصهم أو مجموعاتهم القصصية في تونس أو في العواصم العربية خاصة القاهرة وبيروت، وحين نعلم أن بعض كتاب الجزائر بالعربية في ميدان القصة القصيرة في الخمسينيات والستينيات، قد أصبح يكتب الرواية إلى درجة أنه أصبح يكتبها أكثر مما يكتب الأنواع الأدبية الأخرى، بما في ذلك القصة القصيرة التي كان قد بدأ الإبداع الأدبي من خلالها، فإنه يمكن القول بأن القصة القصيرة من أهم العوامل التي ساعدت على نشوء الرواية الجزائرية بالعربية، أو مهدت لها منذ أواخر الأربعينات وساعدت على تطورها كمًا ونوعًا"[1].

فمثلًا **أحمد رضا حوحو** و **عبد المجيد الشافعي** وغيرهم هم في البداية كتاب قصة قصيرة ولكنهم اتجهوا بعد ذلك إلى كتابة الرواية، فكتب كل واحد منهم على الأقل عملًا روائيًا.

أما **الطاهر وطار** و **عبد الحميد بن هدوقة** اللذان يمثلان الآن طليعة كتاب الرواية في الجزائر ظهرت أولى كتاباتهما بالصحف والمجلات التونسية في فترة الخمسينات والستينات، فكتب **الطاهر وطار** مجموعته القصصية **دخان من قلبي**

[1]– محمد العيد تاورته، الرواية في الأدب الجزائري المعاصر النشوء والتطور 1947–1984م، أطروحة دكتوراه دولة، ج01، إشراف الأستاذ: سيد البحراوي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2000م، ص266.

وصدرت عن الشركة القومية بتونس سنة **1962م**، وألف **عبد الحميد بن هدوقة** مجموعته القصصية **الأشعة السبعة** التي صدرت هي الأخرى عن الشركة القومية بتونس سنة **1962م**.

وقد أبدع كل من **محمد العالي عرعار** و**جيلالي خلاص** و**مرزاق بقطاش** و**واسيني الأعرج**، و**محمد أمين الزاوي** في مجال القصة القصيرة، ثم اتجهوا إلى كتابة الرواية.

فالقصة القصيرة تعتبر هي اللبنة الأساسية لكتابة فن الرواية عند معظم الروائيين الجزائريين سواء كان ذلك في مرحلة النشوء منذ أواخر الأربعينيات أو في مرحلة النضج والازدهار منذ بداية السبعينيات.

يرى الناقد التونسي **بوشوشة بن جمعة (1955م)** في كتابه **سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية** "أن السرد الروائي الجزائري المكتوب بالعربية يكتسب سمات الظاهرة الأدبية الدالة والتي ما فتئت تشد اهتمام النقاد إليها وتغريهم برصدها ومقاربتها لأنها تحفزهم على السعي إلى اكتشاف نصوصها ومعرفة كتابها بفضل ما حققته مدونتها النصية من تراكم أهلها كي تشغل موقعًا مميزًا في خارطة الإبداع العربي المعاصر في الجزائر ويؤكد **بوشوشة** على أن الإبداع الروائي الجزائري المكتوب بالعربية كان دائمًا وليد تحولات الواقع الجزائري زمن الاستقلال، وصياغة المواقف الفكرية والإيديولوجية وهو ما يكشف عن عمق تفاعل هذا النوع الأدبي مع الواقع الجزائري في شتى تحولاته المتأزمة السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية والثقافية"[1].

أما الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية شهدت بعد الحرب العالمية الثانية "حياةً أدبيةً أكثر ثراءً وأكثر انفتاحًا وتنوعًا وقد جاء ذلك عن صدمة الحرب، وبداية

[1]– زياد العناني، سردية التجريب في وحداثتها في الرواية العربية الجزائرية، جريدة الغد، عمان، الأردن، نشر يوم السبت 10 نوفمبر 2005م، ص14.

الاتصال بثقافات أخرى، وأصبح الأدباء الجزائريون، خاصة الشباب مطلوبين لدى القراء والناشرون، وقد ساعد ذلك على ظهور ما يسمى بالمدرسة الجزائرية وقبل أن تنتهي سنوات الأربعينات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، ولأول مرة يظهر تعبير الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر وقد كان للجيل الذي ظهر في عام **1952م** أكثر شهرة في البلاد العربية حيث أن أغلب أعماله قد ترجم إلى اللغة العربية وخاصة في مصر"[1].

ويعتبر كل من **مولود معمري** و **محمد ديب** و **مولود فرعون** وغيرهم من أبرز أبناء الجيل الأول للحركة الأدبية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية إذ يتسمون بأنهم قد "انتموا إلى المدرسة الواقعية التي تهتم بإلقاء الضوء على مشاكل المجتمع الحقيقية التي يعاني منها البسطاء كالتعليم والفقر والتطلع إلى الأثرياء وكيف يعيشون"[2].

إذاً سنة **1950م** تعتبر بحق سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا بالمدرسة الفرنسية وحصّلوا نصيب كبير من الثقافات الفرنسية إلا أن ذلك لم يفقدهم الإحساس المرهف بمجتمعهم الذي كان يعيش حركة استثنائية على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية، فقد نشر **مولود فرعون** روايته الأولى سنة **1950م** المعنونة بـــ: **ابن الفقير Le fils de pauvre** وهذه الرواية هي أقرب ما يكون إلى السيرة الذاتية للكاتب، تحدث فيها كاتبنا عن معاناة الأهالي في منطقة القبائل كما تناولت الرواية موضوع الفقر الذي كان يتخبط فيه الجزائريون.

---

[1]– محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1996م ص104.

[2]– المرجع نفسه، ص114.

وشكل ظهور رواية: **الدار الكبيرة** لـــ: **محمد ديب** التي كتبها سنة **1952م** "منعطفًا حاسمًا في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون، فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشاتهم الفوقية عن العدالة والمساواة لتنزل إلى الطبقات الدنيا من المجتمع وتتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب وتصف أحوالهم المعيشية القاسية ومعاناتهم من الجوع والفقر والقهر ولأول مرة تتحدث عن النضال السياسي الجزائري، ولأول مرة تطرح تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن، وعن الهوية الحقيقية للجزائريين وقد تأكد هذا التوجه الجديد في أعمال الكاتب اللاحقة لاسيما في روايتي: **الحريق** التي نشرها سنة **1954م** و **مهنة الحياكة** التي نشرها سنة **1957م** فقد كشفت الأولى عن عالم البؤس في الريف ومعاناة الفلاحين وصورت الثانية حياة الحرفيين في المدن التي لم تكن تختلف في شيء عن حياة الفلاحين البائسة"[1].

وظهرت في هذه الفترة نفسها أعمال روائية أخرى لكتاب آخرين، تسير في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه أعمال **ديب** الأولى ومنها رواية: **نوم العدل** لـــ: **مولود معمري** الذي كتبها سنة **1955م** ورواية: **نجمة** لـــ: **كاتب ياسين** التي كتبها سنة **1956م** فقد كشفت الرواية الأولى عن حالة التخلف والفقر والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة الناس من جهة، ووطأة الاستعمار واستغلاله لحالة الجهل والتخلف، في حين عرضت الرواية الثانية لحالة البطالة والفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن، والاستغلال والإهانة التي يتعرض لها العمال الجزائريين من طرف المعمرين، وقد

[1]– أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2007م، ص107.

تناول الكاتب في جانب من الرواية مظاهرات **08 ماي 1945م** وصور وقائع من القسوة والوحشية التي قمعت بها تلك المظاهرات"[1].

وهناك بعض الأعمال الروائية التي نجد فيها النزعة النضالية الثورية، كما في أعمال **مالك حداد** و**آسيا جبار** وغيرهم "في توافق مع الأحداث السياسية التي تطورت بداية من سنة **1954م** إلى كفاح مسلح دام سبع سنوات ونصف، بحيث لم يعد هناك ما يدعو إلى أية مهادنة للاستعمار، أو أية مصالحة معه، إلا على أساس انفصال الجزائر عن فرنسا واستقلالها عنها استقلالًا تامًا، وهذا هو المعنى الذي عبرت عنه الأعمال الروائية اللاحقة التي ظهرت بدءً من سنة **1958م** مثل رواية **الانطباع الأخير** لـــ: **مالك حداد** التي كتبها سنة **1958م** التي تعد أولى الروايات التي صورت وقائع الثورة المسلحة ورواية: **صيف إفريقي** لـــ: **محمد ديب** التي كتبها سنة **1959م** التي قدمت نماذج من صور المقاومة الشعبية أبطالها فلاحون من الأرياف وحرفيون في المدن، وقد عاد **محمد ديب** إلى تصوير أحداث الثورة من جديد في روايته: **من يذكر البحر** التي كتبها سنة **1962م** ولكن بأسلوب مغاير حيث لجأ فيها إلى استعمال الرمز والتكثيف الشديد للأحداث ليعبر بذلك عن أجواء التوتر والرعب التي كانت تسود المدن، وعن حالة الخراب والدمار التي آلت إليها القرى والمداشر.

أما الأعمال الروائية التي ظهرت بعد الاستقلال معظمها ينتمي إلى هذا الاتجاه الثوري وهذا ما نجده في رواية: **أطفال العالم الجديد** لـــ: **آسيا جبار** التي كتبتها سنة **1962م** من تصوير لعمليات المقاومة الفدائية في المدن، كما صورت لنا رواية: **الأفيون والعصا** لـــ: **مولود معمري** التي كتبها سنة **1965م** من ضرب للقرى والمداشر بالمدافع والطائرات، وتهديم المنازل على رؤوس سكانها، ونجد في روايتي: **أصابع النهار** لـــ:

[1]– أحمد منور، روايات الجزائريين باللغة الفرنسية، أعمال الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، 2004م، ص109.

**حسين بوزاهر** التي كتبها سنة **1967م** وراوية: **أسلاك الحياة الشائكة لـــ: صالح فلاح** التي نشرها سنة **1967م** التي وصف لنا الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون وتنظيم عمليات الهروب منها"[1].

وهذه الأعمال الروائية صورت لنا بطش الاستعمار وبشاعة أعماله، كما أشادت بنضال وكفاح الشعب، وعمقت الإحساس بالوعي الوطني ووحدة الأمة.

لقد شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية طفرة نوعية في المضامين وهذا أثناء الثورة وبعدها، فقد أخذت على عاتقها تصوير كل صنوف الثورة، كما سلطت الضوء على نوايا الاستعمار الفرنسي الحقيقية.

بعد منتصف الستينات ظهر توجه جديد في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية غلبت عليها النزعة السياسية الانتقادية ومن بين هذه الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة أعمال **محمد ديب** كروايته: **رقصة الملك**، ورواية: **معلم الصيد.**

واستمر هذا التوجه السياسي الانتقادي حتى بعد وفاة هواري بومدين، وهذا ما نلاحظه في روايات **رشيد ميموني** كرواية: **النهر المتحول** التي كتبها سنة **1982م.**

تطورت موضوعات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بتطور الأوضاع وصولًا إلى فترة حاسمة ألا وهي فترة التسعينات وأخذت الرواية منحى آخر عالجت فيه موضوع الأزمة فحاولت أن تؤسس لنص إبداعي جديد مرتبط بالمرحلة التاريخية وبالواقع الاجتماعي.

ومهما يكن من أمر فالرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي هي نظيرة الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي، فكلتاهما نسجتا أحداثهما وشخوصهما من عبقرية الأرض

[1]– أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص110.

والعروبة وكلتاهما عبرتا على مأساة الإنسان الجزائري، وكلتاهما توحدت فيهما عناصر اللغة والفكر والبيئة والتاريخ والإنسان الجزائري، في صورة شديدة التعقيد والثراء.

## الفصل الأول: بين النص والخطاب والتواصل

المبحث الأول: مفهوم النص.

المبحث الثاني: مفهوم الخطاب.

المبحث الثالث: بين النص والخطاب.

المبحث الرابع: مفهوم التواصل.

المبحث الخامس: التواصل الحجاجي.

المبحث السادس: البلاغة والتواصل.

المبحث السابع: بين التواصل والخطاب.

## المبحث الأول: مفهوم النص:

إنّه لمن النادر أن يكون "مفهوم النص، المستعمل بشكل واسع في إطار اللسانيات والدراسات الأدبية، قد حدد بشكل واضح، إنّ بعضها يحدد تطبيقه على الخطاب المكتوب، بل على العمل الأدبي، وبعضها الآخر يرى فيه مرادفًا للخطاب وأخيرًا فإن بعضها يعطيه توسعًا سيميائيًا منتقلًا فيتكلم عن نص فيلمي، وعن نص موسيقي، إلى آخره"[1].

إنّ هذه المهمة الصعبة لتحديد مصطلح النص "يواجهها النقد المعاصر في تحديد مصطلح النص بدقة ورسم حدودها المنهجية والإجرائية حتى تكون أكثر فعالية عند مواجهتها لموضوعها"[2].

ومن المتعارف عليه عند جميع الباحثين والمفكرين والدارسين أنّ لكل بحث مجاله الذي يدور فيه والمفاهيم التي يعتمد عليها، فبذلك يعرف مكانه وموقعه من الاختصاصات المتفرقة والمتنوعة والمتداخلة، فتحديد مفهوم النص أو تعريفه، أمر يصعب على الدارس أو الباحث أن يضبطه على أحسن حال أو وجه، وهذا نظرًا لتعدد وتداخل معايير هذا التعريف، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات.

### أولا-مفهوم النص في الفكر العربي:

لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية تامة باستثناء الممارسة النصية مع القرآن الكريم ولذلك وجدنا الدلالة التي تحملها مادة **نَ.صَ.صَ** بعيدة كل البعد عن الدلالة المستعلمة أو المستحدثة في عرف الدراسات الأدبية.

فقد جاء في **لسان العرب لابن منظور (630ه/1133م-711ه/1311م)** في مادة **نَ.صَ.صَ** ما يأتي:

---

[1]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ص119.

[2]- حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2007م، ص43.

"النص: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصه نصًا: رفعه وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَ. وقال **عمرو بن دينار:** ما رأيت رجلًا أنص للحديث من **الزهري** أي أرفع له وأسند. يقال نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه. وكذلك نصصته إليه. ونصّت الظبية جيدها: رفعته"[1] .

"ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة ما تُظهَرُ عليه العروس لترى ونصّ المتاع نصا: جعل بعضه على بعض. ونصّ الدابة ينصها نصّا: رفعها في السير وكذلك الناقة. وفي الحديث: أن النبي **صل الله عليه وسلم** حين دفع من عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نصّ أي رفع ناقته وقد نصّصت ناقتي رفعتها في السير"[2].

"والنص والنّصيص: السير الشديد والحث، ولهذا قيل: نصصت الشيء رفعته ومنه منصة العروس. وأصل النّص أقصى الشيء وغايته. **ابن الأعرابي:** النّص الإسناد إلى الرئيس الأكبر. والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما، ونص كل شيء منتهاه. وفي الحديث عن **علي رضي الله عنه** قال: إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم ويريد بذلك الإدراك والغاية. قال **الأزهري:** النّص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها"[3].

وقد جاء في معلقة **امرئ القيس (500/540م)** قوله: [من الطويل]

**وَجِيدٍ كَجِيد الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَتْهُ وَلَا بِمُعَطَلِ**[4].

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج07، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت مادة: نَ.صَ.صَ، ص97.

[2]– المصدر نفسه، ص97–98.

[3]– المصدر نفسه، ص 98.

[4]– ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5 2003م، ص115.

الرئم: "الظبي الأبيض الخالص البياض. والنّص: الرفع، ومنه سمي ما تجلى عليه العروس منّصة ومنه النّص في السّير، وهو حمل البعير على سير شديد، ونصصت الحديث أنصه نصّا: رفعته"[1].

يقول: "وتبدي عن عنق كعنق الظبي غير متجاوز قدره المحمود إذا ما رفعت عنقها وهو غير معطل عن الحلي، فشبه عنقها بعنق الظبية في حال رفعها عنقها، ثم ذكر أنّه لا يشبه عنق الظبي في التعطل عن الحلي"[2].

وجاء في **مختار الصحاح للرازي(250 هـ/864م-311هـ/923م)** في مادة **نَ.صَ.صَ:**

"نصّ الشيء رفعه، ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه، ونص كل شيء منتهاه. وفي حديث **علي بن أبي طالب** إذا بلغ النساء نص الحقاق يعني منتهى بلوغ العقل، ونصنص الشيء حركه. وفي حديث **أبي بكر رضي الله عنه** حين دخل عليه **عمر رضي الله عنه** وهو ينصص لسانه ويقول: هذا أوردني الموارد"[3].

وجاء في **القاموس المحيط للفيروزبادي(729هـ/1329م-817هـ/1415م)** في مادة **نَ.صَ.صَ:**

"نصّ الحديث إليه: رفعه وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير والشيء: حرّكه ومنه: فلان ينص أنفه غضبًا، والمتاع جعل بعضه فوق بعض وفلانًا: استقصى مسألته عن الشيء والعروس: أقعدها على المنصة وهي ما ترفع عليه"[4].

---

[1]- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2010م ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص24.

[3]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، د.ط، 1986م مادة: نَ.صَ.صَ، ص276.

[4]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2008م، مادة: نَ.صَ.صَ، ص632.

"والنص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والتوقيف، والتعيين على شيء ما ونصيص القوم عددهم والنّصة: العصفورة، وبالضم: الخصلة من الشعر، أو الشِعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها. وانتص انقبض، وانتصب، وارتفع. ونصنصه: حركه وقلقله والبعير: أثبت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض"[1].

ومنها يدل النص على معان عدة منها: الظهور، الارتفاع، البروز، وضم العناصر إلى بعضها البعض.

أما النص في **المعجم الوسيط** جاء يحمل دلالات ومعان عدة منها:

"نصّ الشّواء. نصيصًا: صوّت على النّار والقدر: غلت. وعلى الشيء نصّا: عينه وحدّده. ويقال: نصوا فلانًا سيّدًا: نصّبوه. والشيء: رفعه وأظهره. يقال: نصّت الظّبية جيدها. ويقال نصّ الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدّث عنه"[2].

"النّص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف مالا يحتمل إلا معنى واحدًا، أو لا يحتمل التأويل ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النّص. وعند الأصوليين: الكتاب والسنة"[3].

وقد جاءت مفردة النص في معجم **تكملة المعاجم العربية** بصيغ مختلفة وهي كالآتي:

"نصّ: أملى رسالة، يقال نصّ الكتاب لفلان وعلى فلان. نصّ: النصوص في الأحاديث التي رواها الثقات المعروفة وقت الرسول **صل الله عليه وسلم** والمعروفة عند أصحابه ومن تبعهم، والنص بمعنى أعم، هو الذي يعد حجة والذي يوجد في القرآن الكريم أو

---

[1]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص 632–633.

[2]– مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص956.

[3]– المصدر نفسه، ص956.

الحديث أو في كتب الفقه، أو علوم الدين. نص والجمع نصوص: هو ما قاله المؤلف حرفيًا وتقابله الشروح والتفاسير"[1].

أما معناه في "معجم المحيط يطلق على الكلام المفهوم من الكتاب والسنة والنص يعني في معجم المصطلحات في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس: الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي"[2].

وقد جمع **الشريف الجرجاني (740هـ/1339م-816هـ/1413م)** في تعريفه للنص المعنيين معًا، المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث يقول: "النّص ما ازداد وضوحًا على الظاهر بمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغم بغمي كان نصًا في بيان محبته"[3].

"النص مالا يحتمل إلا معنى واحدًا قيل مالا يحتمل التأويل"[4].

ويفهم من التعريف الأول أنّه من الشروط الأساسية اللازم توفرها كي يتم الإفهام ويحدث التواصل شرط الوضوح ليفهم المخاطب المعنى المقصود بدقة ويحتاج إلى التأويل، لأن مفهوم النص كما تطرق إليه **الشريف الجرجاني** في تعريفه الثاني الذي سبق ليس هو التعريف المتعارف عليه الآن في ثقافتنا الحالية لأن له معنى واحدًا ولا يحتمل التأويل كما جاء في التعريفات، ولكن النص في الثقافة المعاصرة يقبل التأويل وتعدد القراءات خاصة إذا كانت المعرفة أدبية، وبالمقابل قد لا يقبل التأويل والتعدد إذا كان النص ينتمي إلى المعرفة العلمية الصارمة الدقيقة.

---

[1]- رينهار تدوزي، تكملة المعاجم العربية، ج10، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، 1980م، ص227.

[2]- محمد مصابيح، بين النص والخطاب مساءلة في المفاهيم، مجلة أيقونات: مجلة دورية محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الثالث، 2011م، ص67.

[3]- علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1985م، ص260.

[4]- المصدر نفسه، ص260.

أما علماء الأصول يطلقون كلمة نص "على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة أي: أن كلّ ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص"[1].

ويعرّف **السيوطي (849هـ/1445م-911هـ/1505م)** النص "من منطلق الوضوح والغموض أيضًا، فيربط في تعريفه بين المنطوق اللفظي والمفهوم الذهني الناتج عن هذا المفهوم، بحيث يصبح النص ما أفاد معنى لا يحتمل غيره"[2].

أما النص عند النحاة القدامى يعني عندهم "لفظ دال على معنى الحدث لا يفارقه"[3].

فنحاة العرب استعملوا مصطلح النص للدلالة على ما يدل عليه في ثقافتنا اليوم بل يدل على أنه كان دالًا على الحدث.

والنص عند الباحثين والدارسين والمفكرين والأكاديميين العرب المحدثين والمعاصرين تعريفات عديدة تعكس توجهات معرفية ونظرية ومنهجية مختلفة، كاشفة عن مصادر متعددة للتلقي المنهجي العربي عن الآخر.

فالنص عند الدكتور **حسين خمري** هو "أنه شكل لغوي يمتاز بطول معين كأن يكون قصة أو رواية أو مقامة أو معلقة أو كتابًا، ويعرف باستقلاليته وانغلاقه"[4].

يفهم من هذا التعريف أن النص له نقطة بداية ونقطة نهاية، ويضيف الدكتور **سعيد بحيري** في تعريفه للنص بأنه "مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من

---

[1]- أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014م، ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص17.

[3]- يسرى نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، دار النابغة، الإسكندرية، مصر، ط1 2014م، ص15.

[4]- حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص43.

مرسل للفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل"[1].

فهو حدث، أي أنه يقع في زمان ومكان محدّدين، لا يعيد نفسه، شأنه شأن الحدث التاريخي، وفعل تواصلي، بمعنى أنه يهدف إلى إيصال معلومات ونقل التجارب والخبرات إلى المتلقي، وتفاعلي أي أنه يؤدي علاقة تفاعلية بين أفراد المجتمع محافظا عليها.

في حين نجد **سعيد يقطين** يعده "شكلا لساني لـــ: **التفاعل الاجتماعي** وهو تبعًا لذلك ترهين للمعنى المحتمل، بما أن المعاني منتخبة من صنع المتكلم ومن الخيارات التي تشكل المعنى نفسه"[2].

ومن الباحثين من يعرف النص بمعناه الحداثي من القراءة التراثية للمعجمات العربية، فهذا **منذر عياشي** يعرف النص انطلاقًا من قراءته التراثية، مازجًا ذلك بما تحقق له من القراءات الحداثية الأوروبية للنص فيقول: "فالنص دائم الإنتاج لأنه مستحدث بشدة، ودائم التخلق لأنه دائمًا في شأن ظهورًا وبيانًا، ومستمر في الصيرورة لأنه متحرك وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية"[3].

وعرّفه الدكتور **سعد مصلوح** بأنه أي: "النص ليس إلا سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله"[4].

---

[1]– سعيد حسين بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1 1997م، ص121.

[2]– سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت، ص18.

[3]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2006م ص18.

[4]– أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص19.

وعرّفه **محمد عزام** أي النص بأنه: "عالم دلالات وبنيات يتم إنتاجها من خلال ذات النص، كما تتجلى من خلال الكاتب والقارئ، فالكاتب ينتج نصه ضمن بنيات نصية كبرى **سوسيو نصية** والقارئ يتلقى النص ضمن بنيات كبرى **سوسيولوجية** وبذلك يجعل النص منفتحًا على دلالات أعمق وأكبر، ويحول القراءة إلى نوع من التأويل"[1].

أما النص في نظر **حامد أبي زيد** هو "منتج ثقافي والمقصود بذلك أنّه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما"[2].

ويعرّفه **الأزهر الزّناد** بقوله: "إنّ النّص نسيج من كلمات يترابط بعضها ببعض وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد"[3].

إن النص في حده الأدنى "هو ذلك النسيج من القول وتسلسل الجمل والمتواليات التي تتعالق فيما بينها لتخلق شروط التمظهر اللغوي والاشتغال على اللغة"[4].

ويعرّفه **أحمد المتوكل** بقوله: "مجموعة من الجمل البسيطة والمعقدة تشكل خطابًا أي وحدة تواصلية تامة"[5].

---

[1]– محمد عزام، فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1996م، ص11.

[2]– خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 2008م، ص144.

[3]– الأزهر الزّناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1993م، ص12.

[4]– بشير القمري، شعرية النص الروائي، شركة البيادر للنشر والتوزيع، أكدال، الرباط، المغرب، ط1، 1991م، ص11.

[5]– أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط د.ط، 2001م، ص225.

ومن التعريفات التي جمعت بين الشكل والمضمون وتحقيق الاتصال تعريف **باسل حاتم** الذي يعرف النص بأنه "تتابع من الجمل تؤطر مجموعة من النوايا الاتصالية بين طرفين لتحقيق غرض إبلاغي"[1].

-النص عند **إبراهيم الفقي:**

"ففي دراسته للتماسك النصي يعيد **إبراهيم الفقي** آراء العالم اللغوي **روبارت دي بوجرند Robert de Bogrand** الذي يرى أن النص حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوافر له شروط سبعة، لا يكون النص نصا إلا إذا تواجدت جميعا وهذه الشروط هي:

**السبك:** أو الربط النحوي.

**الحبك:** أو التماسك الدلالي وقد سماها **تمام حسان** الالتحام.

**القصد:** وهو الهدف من ميلاد هذا النص.

**القبول:** ويتعلق بموقف المتلقي.

**الإعلام:** بمعنى الاتصال والإبلاغ.

**المقام:** وهو متعلق بمناسبة النص للموقف والمقام.

**التناص:** وهو تقاطع عدة نصوص بعضها ببعض"[2].

هذا التعريف الذي جاء به **الفقي** تعريف شامل لا يلغي أحد أطراف الحدث الكلامي فهو يجمع المرسل والمتلقي والسياق وأدوات الربط اللغوية.

---

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سلسلة الرسائل العلمية الموصي بطبعها، ط1، 1432هـ، ص256.

[2]- حمودي السعيد، الانسجام والاتساق النصي المفهوم والأشكال، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية يومي 22و 23 فيفري، جامعة المسيلة، الجزائر، 2012م، ص109.

ويعرّفه الدكتور **جميل حمداوي** بقوله: "النص بناء كلي متسق ومنسجم ومتشاكل خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية، ومن ثم فالنص ليس له طول محدد إلا في الشعر"[1].

والنص في نظر **عبد المالك مرتاض (1935م)** هو "نسج أنيق من الألفاظ الصامتة التي تحتمل المعاني في ذاتها، فهو كتابة سحرية أو كتابة كأنها السحر. النص هو نسج الألفاظ بجمالية الانزياح، وأناقة النسج، وعبقرية التصوير...غير أنّ النص أولًا وأخيرًا ليس ينبغي له أن ينصرف إلى أصله الأوّل وهو النسج الأدبي الأنيق الذي يقدم للقارئ صورا جميلة تخلب لبّه، وتأسر عقله"[2].

والنص كما جاء في كتاب **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: لنعمان بوقرة** أنّه: "وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية ومعنى ذلك أن النص وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها، والمقصود بالمستوى الأول الأفقي أن النص يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، أما الثاني فيتكون من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"[3].

وبهذا تكون للنص صفات عامة نجملها في "النص بنية مركبة العناصر موحدة بمعنى منضمة إلى بعضها كلية يتكامل بعضها مع بعض متجانسة ومتسقة ضمن نظام توزيعي خاص وتتكفل القراءة والتحليل بكشفه ذات أفق دلالي تؤدي إليه المستويات المتعددة للبنية"[4].

---

[1]– جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، مكتبة المثقف، أستراليا، ط1، 2015م، ص09.

[2]– عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2007م، ص47.

[3]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدار للكتاب العالمي عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص141.

[4]– حاتم الصكر، ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1998م، ص42.

إن كّل تعريف من هذه التعريفات للنص في عرف الدراسات العربية قديمًا أو حديثًا يعكس وجهة نظر خاصة بالمعرفة، وبالمرجعيات الفكرية والتراكمات الذهنية والمعرفية التي ينطلق منها الباحثون، والخصوصيات الاجتماعية والنفسية والحضارية.

**ثانيا-مفهوم النص في الفكر الغربي:**

إذا كان النص يعني: الظهور والبروز والتأويل في المفهوم اللغوي العربي فإنّ النص في الأصول الغربية **Le texte** تعني: **النسيج** وعدّ النص نسيجًا من الكلمات يرتبط بعضها ببعض والربط هو بمثابة الخيوط التي تجمع عناصره المختلفة مما يؤهله لأن يكون نصًا.

ونجد تعريف النص في معجم **لاروس العالمي** حيث جاء فيه أن كلمة **نص** "أتت من فعل نصّ **Texcére** ومعناها نسج، وهذا ما يعني أنّ النصّ هو النسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوال للكلمات"[1].

إنّ ما نستنتجه هو أن النص مرتبط في مفهومه الأوّلي "بمفهوم النسيج، والحياكة لما يبذله الكاتب فيه من جهد في ضم الكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة، وكذلك لما يبذله من جهد في تنظيم أجزائه، والربط بينهما بما يكوّن كلا منسجمًا مترابطا"[2].

وفي"المعجم الصغير للمصطلحات اللغوية لا يوجد مصطلح نص مادة من مواده، ومع ذلك فإننا نجد تحت نظرية النص التوضيح التالي: تنظر نظرية النص إلى النص بوصفه وحدة كلامية تامة مستقلة نسبيًا يحققها المتكلم بهدف معين وفي إطار ظروف مكانية وزمنية محددة، ويفرق بينهما مجرد توال لأي عدد من الجمل"[3].

---

[1]- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ط1، 2008م، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]- زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار القاهرة، ط1، 2003م، ص53.

فالنص من هذا المنطلق ينتج في إطار مكاني وآخر زماني تمليه ظروف معينة.

أما النص في المفهوم الاصطلاحي عند الغربيين أن تعريفه غير مستقر، ولقد تعددت قراءته وتنوعت مفاهيمه وتلونت بتلوّن النظريات الأدبية والمدارس النقدية، وبحسب الخصوصيات الثقافية والنفسية والحضارية والاجتماعية التي تميز دارسًا عن دارس آخر وقد استقر البحث على مفهوم النص أكثر تحديدًا، قدمه **روبرت دي بوجراند Robert de Bogrand** و**دريسلر Dreisler**، حيث يشيران إلى أن النص "حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك، الحبك، القصدية، المقبولية، الإعلامية، الموقفية التناص"[1].

ويقول **فاولر Fowler** في كتابه **اللسانيات والرواية:** "إنّ النص يعني البنية السطحية النصية الأكثر إدراكًا ومعاينة، وعند اللساني هذه البنية هي متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها، تشكل استمرارًا وانسجامًا على صعيد تلك المتوالية"[2].

يفهم من هذا التعريف أن النص حصره في البنية الشكلية الخارجية المتمثلة في الكتابة كمظهر خارجي نشاهده بأم أعيننا.

أما **فان دايك Van Dyck** في مادة **نص** في **معجم الآداب:** "إنّ الخطاب هو في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي، ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه، وبتعبير آخر إنّ الخطاب هو الموضوع المجسد أمامنا كفعل، أما النص هو الموضوع المجرد والمفترض إنه نتاج لغتنا العلمية"[3].

---

[1]– حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م ص15.

[2]– سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص12.

[3]– المرجع نفسه، ص16.

من خلال هذا التصور يرى **فان دايك** أنّ للنص مستويات عديدة منها: المستوى الدلالي، والمستوى النحوي، والمستوى التركيبي، والمستوى التداولي.

ويعرف **كلاوس برينكر klaus Brinker** النص بأنه: "تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة"[1].

والنص عند **هاليداي Haliday** وزميلته **رقية حسين:** "متتالية من الجمل شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"[2].

فالنص من هذا المنطلق ما هو إلا وحدة دلالية، والجمل ما هي إلا وسيلة يتحقق بها النص.

ويصف **هاريس Harris** النص بأنه: " تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية "[3].

وإنّ العالم الألسني **هيمسليف hymslif** يستعمل مصطلح نص بمعنى واسع جدًا فيطلقه "على أي ملفوظ قديمًا كان أو حديثًا، مكتوبًا أو محكيًا، طويلًا أو قصيرًا، فإن عبارة Stop أي قف هي في نظره نص، كما أن جماع المادة اللغوية لرواية بكاملها هي أيضا نص"[4].

أما **رولان بارت Roland Barthes ( 1915/1980م)** فيعرف النص أو بعبارة أكثر دقة بأنه "تميمة، وأنه لا ينشأ عن رصف كلمات تولد معنى وحيدًا، وإنما هو فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة، وتتعارض من غير أن يكون فيها ما

---

[1]– كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005م، ص27.

[2]– محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م ص13.

[3]– أحمد عزت يونس، المعايير النصية في لغة القرآن الكريم، ص19.

[4]– يسرى نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، ص18.

هو أكثر من غيره أصالة، فالنص نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة"[1].

**فبارت** ينطلق في تعريفه للنص من الدلالة الاشتقاقية لمصطلح **text** والتي تعني في اللاتينية النسيج، والنص أيضًا عنده مجموعة من نتاج متعددة من الخطابات الثقافية التي يتوقف عليها فهم النص.

أما **جوليا كريستيفا Julia kristeva (1941م)** تعرف النص بأنه: "ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافي ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[2].

والملفت للنظر في تعريف **جوليا كريستيفا** أنها تركز على معيار مهم من معايير النصية وهو معيار التناص، وهو ما عبرت عنه بقولها بأنه ترحال للنصوص، وتداخل نصي.

ومن خلال هذه المفاهيم النصية لمفهوم النص تتضح لنا عدة أمور:

- النص يتميز بالتماسك والترابط، وهذه الصفة تتحقق من خلال المعايير النصية أو العلاقات النصية.
- النص يكون بسيطا، وقد يكون مكونًا من مجموعة نصوص أو تتخلله نصوص أخرى وهذا ما حدّ بمعيار التناص.
- النص يتحقق من خلال تفاعل موقف اجتماعي تواصلي، بغرض تحقيق رغبة تواصلية يبتغي بها غاية ما.
- النص عبارة عن علامات لغوية، له بداية ونهاية محددة.

[1]– يسرى نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، ص20.

[2]– جوليا كريسطيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م، ص21.

في الحقيقة إنّ كل هذه التعريفات السابقة للنص هي على جانب كبير من الأهمية، إلا أنني لم أجد تعريفًا جامعًا بينها، فكل منها يضيء جانبًا واحدًا، ويترك جوانب أخرى مهمة، كان من الممكن الإشارة إليها وتسليط الضوء عليها.

## المبحث الثاني: مفهوم الخطاب.

### أولا–مفهوم الخطاب في الفكر العربي:

دلالة هذا المصطلح ومعرفته في تراثنا العربي القديم هو العودة إلى نص القرآن الكريم والمعاجم العربية، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الأكثر تطابقًا وتجانسًا مع اللسان العربي، كما أنّ المعاجم العربية خاصة القديمة منها تساعدنا بالرجوع بالكلمة إلى أصلها اللغوي على فترة زمنية كبيرة.

وإذا تصفحنا القرآن الكريم نجد أنّ مادة **خَ.طَ.بَ** ترددت اثنتي عشرة مرة موزعة على اثنتي عشرة سورة، أما في كتب الحديث والسيرة يصعب علينا مدى تواتر هذا المصطلح.

ونورد فيما يأتي بعض صيغ ورود مادة **خَ.طَ.بَ** في القرآن الكريم:

- **خاطبهم:** قال الله تعالى:﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾[1].

**أي:** "إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا"[2].

- **تخاطبني:** قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُخَطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا﴾[3].

**أي:** "لا تراجعني في إهلاكهم"[4].

- **الخطاب:** قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[5].

---

[1]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، سورة الفرقان، الآية 63.

[2]– أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج03، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 2006م ص1342.

[3]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة هود، الآية 37.

[4]– عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 2002م، ص262.

[5]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة ص، الآية 20.

قال مجاهد: "هو الفصل في الكلام وفي الحكم"[1].

- **خطابا:** قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَوَتِ وَالَارْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[2].

**أي:** "لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفًا منه"[3].

أما مصطلح الخطاب في المعاجم العربية تبدو لنا استعمالاته العامة مختلطة باستعمالاته الخاصة، حيث نجده في **لسان العرب** يفيد: "خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم وقيل: هو سبب الأمر، يقال ما خطبك ؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة. والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان"[4].

وجاء في **مختار الصحاح** في مادة خطب " خطب. الخطب سبب الأمر تقول ما خطبك. قلت: قال **الأزهري:** أي ما أمرك وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب. انتهى كلام **الأزهري** . وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا"[5].

وكلمة الخطاب في **أساس البلاغة للزمخشري (467هـ/1074م-538هـ/1143م)** نجدها أنها تفيد "خطب: خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"[6].

---

[1]- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج04، ص1598.

[2]- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة النبأ، الآية 37.

[3]- جلال الدين محمد أحمد المحلّي، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت، لبنان ط1، 2003م، ص583.

[4]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج02، مادة: خـَـ.طَ.بَ، ص 262.

[5]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مادة: خـَـ.طَ.بَ، ص76.

[6]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج01، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، مادة: خـَـ.طَ.بَ، ص255.

إنّ مفهوم الخطاب حسب ما ورد في المعاجم العربية القديمة لا يخرج عن دائرة التخاطبية بين شخصين، إذ تستوجب المخاطبة مرسل ومرسل إليه، فذلك يعني تبادل الكلام، ما عدا في الحالات الاستثنائية التي تفتقد فيها الإجابة، مثل المخاطبة الذاتية، أو مع إنسان لا يرغب في الإجابة.

- **ملامح الخطاب عند ابن جني(1002م):**

لقد ارتبط مصطلح الخطاب بالقناة المؤدية له، وهي اللغة التي عرّفها **ابن جني** على أنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فنجد في هذا التعريف ثلاثة عناصر أساسية ترتبط بالخطاب ومن صميم الدرس اللساني وتحليل أغراض الخطاب وأقسامه:

- طبيعة اللغة حيث إنها أصوات.
- وظيفتها تعبيرية ووسيلة من وسائل التواصل الإنساني.
- اجتماعية ومرتبطة بالجماعة اللغوية.

أما الخطاب عند **أبي حامد الغزالي (450هـ/1058م-505هـ/1111م)** فقد حصره في وضع شروط للمخَاطَب وذلك "بأن يخلق الله تعالى في السامع علمًا ضروريًا بثلاثة أمور: بالمتكلم، وبأن ما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لابد منها وأن تكون معلومة"[2].

معنى هذا أن عملية التخاطب أو العملية الخطابية في نظر **أبي حامد الغزالي** أن تكون بين شخصين بين مرسل ومتلقي بين متكلم وسامع، ويجب على المخاطَب أن يسمع جيدا كلام المخاطِب فاهمًا مراده وقصده من كلامه، حتى تتم علمية التواصل وعملية إنتاج المعنى والدلالة ومتى سقط شرط من هذه الشروط لن تتم عملية التواصل.

---

[1]- ابن جني، الخصائص، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د.ت، ص33.

[2]- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج01، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1997م، ص229.

والكفوي(1618م) يحدد مصطلح الخطاب لفظًا ودلالةً بقوله: "الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه "[1].

مما لاشك فيه أنّ **الكفوي** قد رسم حدودًا دقيقةً وكاملةً ومعايير علمية لحلقة الخطاب فالمخاطِب لابد من توفر قصد الإفهام وإبلاغ الرسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع عليه عامة الناس، وأما المخاطَب أو السامع لابد عليه أن يكون مستجيبًا لصاحب الخطاب.

أما مصطلح الخطاب في النقد العربي الحديث وفي الدراسات العربية المعاصرة ليس امتدادًا وتطويرًا للمفهوم العربي القديم، إذ ظل المصطلح محصور في إطاره دون رعاية أو تطوير، حيث استبدل مصطلح الخطاب عند النقاد العرب المحدثون بالمفهوم الغربي، فمفهوم الخطاب "مصطلح واضح الدلالة في الأصول، ولا يثير فيها دلالة وممارسة أية إشكالية، إنما تكمن الإشكالية الأساسية في اجتذابه القسري خارج حقله وشحنه بدلالات غريبة عنه، وذلك بتأثير مباشر من المحمول الدلالي لمصطلح الخطاب **Discour** الذي تغلغل في ثنايا الشبكة الدلالية لمصطلح الخطاب العربي"[2].

وعلة ذلك أن النقد العربي الحديث يتكئ على النقد الغربي وينقل مفاهيم ومصطلحات تتصل بذلك الموروث الثقافي الغربي لا بالموروث العربي الأصيل.

**ثانيا-مفهوم الخطاب في الفكر الغربي:**

ظهر مصطلح الخطاب في حقل الدراسات اللغوية في الغرب، ونما وتطور في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات ولاسيما بعد ظهور كتاب **محاضرات في اللسانيات العامة لـــ: فرديناند دي سوسير ferdinand de saussur (1857/1913م )**

---

[1]- الكفوي، الكليات، القسم الثاني، تح: عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1982م ص286.

[2]- عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1999م، ص117.

الذي تضمن المبادئ العامة والأساسية التي جاء بها هذا الأخير وأهمها تمييزه وتفريقه بين الدال والمدلول، واللغة كظاهرة اجتماعية والكلام كظاهرة فردية وبلورته لمفهوم النسق أو النظام والذي تطور فيما بعد إلى البنية، وفي كل هذه الاستعمالات تبقى لفظة خطاب غامضة في زمن كثر فيه استعمال هذا المصطلح في علوم اللسان، وكثرة استعمال هذا المصطلح تعود لكونه علامة من التحولات التي طرأت على إدراكنا وتصوراتنا لمفهوم الكلام، وهذا التحول ناتج عن تأثير مجموعة من العلوم الإنسانية والاجتماعية ونظرًا لتعدد الاتجاهات والمدارس اللسانية الحديثة الغربية فقد تعددت مفاهيم ومدلولات هذا المصطلح.

يعرّف **بنفنست Benveniste (1902/1976م)** الخطاب على أنه: "كل حديث يفترض متكلمًا ومتلق، للأول نية التأثير على الثاني، فالحديث يشمل قبل كل شيء الخطابات الشفوية بتنوعها من كل طبيعة ومن كل مستوى"[1].

والخطاب عند **رومان جاكبسون Roman Jakobson (1896/1982م)** يتمحور حول ما جاء به هذا العالم الألسني وفق نظريته في وظائف اللغة، الذي توصل إلى أنّ للغة ست وظائف وهي على التوالي **المرسل، المرسل إليه، القناة، الرسالة، شفرة الاتصال، المرجع**، وهذه العناصر الستة تقوم بدورها بفعل وظائف ستة، فإذا كانت عملية التواصل تهدف إلى توضيح موقف المرسل من الرسالة كانت الوظيفة تعبيرية، وإذا كان هدف المرسل التأثير على المتلقي كانت الوظيفة إفهامية أو إبلاغية، وأما إذا كان الهدف من العملية هو لفت انتباه المرسل إليه فهي وظيفة تنبيهية، أما إذا كان الهدف من العملية التواصلية هو التركيز على شكل الرسالة كانت الوظيفة شعرية لأنها تركز على شكل الرسالة، أما إذا كان الهدف من الرسالة هو فك الشفرات اللغوية كانت الوظيفة معجمية أما إذا كانت الرسالة تركز على ما هو موجود خارجيًا كان

[1]– ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، د.ط، 2005م، ص143.

الهدف منها هو المرجعية وبهذا يكون رومان جاكسون قد رسم خطوطا عريضة للعملية التواصلية أو العملية التخاطبية بشكل دقيق ومفصل.

أما **فان دايك** ذهب إلى أن الخطاب "يرتبط ارتباطا وثيقًا بفعل الكلام الذي ينجز بواسطة التلفظ بذلك الخطاب في سياق التحاور"[1].

الخطاب عند **فان دايك** يتجسد في كل ما يتلفظ به الإنسان في حياته وما يمكن أن ينطقه ويصدر منه من ألفاظ وعبارات قد تعبر عن أحواله الخارجية، مؤسسًا على ثنائية المخاطِب والمخاطَب، تحكمها الوظيفة أو الميزة الحوارية.

أما الخطاب في البحث النقدي فهو "فعل النطق، أو فاعلية تقول، وتصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله، الخطاب إذن كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس ورغبة النطق بشيء ليس هو تمامًا الجملة، ولا هو تمامًا النص، بل هو فعل يريد أن يقول"[2].

إذًا الخطاب فاعلية ينتجها مخاطِب في مكان وزمان تاريخي تحكمها علاقات اجتماعية بين الناس.

الخطاب "يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة أي كل ما هو من قبيل نوع خطابي معين: نقاش متلفز، مقالة صحفية، رواية "[3].

الخطاب "الاتصال اللفظي الشفهي، الحديث والمحادثة"[4].

---

[1]– فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 2000م، ص323.

[2]– رابح بحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، د.ط، د.ت ص85.

[3]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص38.

[4]– سارا مليز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، تر: عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، د.ط، 2003م، ص 06.

والخطاب يتنوع بتنوع الأساليب التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب، فتنتج بذلك أنواع من الخطابات مثل: الخطاب الديني، الخطاب السياسي، الخطاب العلمي.

وأخيرًا يمكننا القول على الرغم من تعدد مفاهيم مصطلح الخطاب انطلاقًا من تعدد تصورات المهتمين به فإن هذا التعدد والتمايز والاختلاف قد حقق التكامل لمصطلح الخطاب، وإعطائه بعدًا ومفهومًا واسعًا تضمن جل الخصائص اللسانية والمنطقية والتواصلية التي شكلت وكونت الخطاب.

**المبحث الثالث: موازنة بين النص والخطاب.**

إنّ التمييز بين النص والخطاب "في ضوء المناهج النقدية الحديثة يطرح إشكالًا كبيرًا، نظرًا لتعدد الآراء واختلافها وكثرة التصورات وتضاربها، مما يجعل البحث أمام صعوبة تأطيرها وفرزها وبالتالي تحليلها ومناقشتها"[1].

ومن الباحثين من يرى أنّ الخطاب والنص يستخدمان بذات الدلالة وهما وحدة لغوية تتعدى حدود الجملة وأدى اهتمام اللسانيات "بالإجراء التواصلي وبتجسيده إلى ظهور تحديدات عديدة للنص في علاقته بالخطاب، تختلف هذه التحديدات باختلاف التوجهات النظرية وأهداف التحليل، وهو الأمر الذي جعل من التمييز بين النص والخطاب معطى بديهيًا في علوم اللغة في فرنسا، وذلك في حقول معرفية مختلفة، سواء تلك التي تشتغل بتحليل الخطاب أو تلك التي تشتغل في إطار السيميائيات المنبثقة من أعمال **كريماس Greimas (1992/1917م)** وفي هذا الإطار يقيم **كريماس وكورتيس Curtis** تمييزًا بين النص والخطاب انطلاقًا من صيغة التعبير، فقد ركزا على البعد المكتوب والمنطوق في الفصل بين الخطاب والنص"[2].

ويمكن أن نبين الفرق بين الخطاب والنص بما يلي:

- الخطاب يفترض وجود متلق الذي يتلقى الخطاب، بينما النص يوجه إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق القراءة.
- الخطاب يتأسس على اللغة المنطوقة أما النص يتأسس على الكتابة.
- الخطاب يرتبط بلحظة إنتاجه بينما النص له سلطة الكتابة والقراءة في كل زمان ومكان.
- الخطاب يكون من نتاج اللغة الشفوية بينما النص يكون من نتاج اللغة المكتوبة.

---

[1]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص19.

[2]– ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، كلية الآداب، أكادير، المغرب، د.ط، د.ت، ص41.

- النص له بداية ونهاية، فهو عبارة عن جمل متراكمة أما الخطاب فهو يقوم على طرفين أحدهما مخاطب والثاني مخاطِب فهما يتحاوران.
- يتميز الخطاب عادة بالطول، وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية، أما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة مثل: **سكوت**، ويطول حتى يصبح مدونة كاملة مثل: **رسالة الزوابع والتوابع لابن شهيد الأندلسي.**
- النص في الأصل هو النص المكتوب، والخطاب هو الكلام المنطوق، ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع، فيطلق النص على المنطوق، كما يطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الروائي.

**المبحث الرابع: مفهوم التواصل.**

لا يختلف اثنان من "أنّ الإنسان خلق مستعدًا بيولوجيًا للكلام إلا إذا حال بينه وبين ذلك عاهة من العاهات الطبيعية، ولكنه لم يخلق متكلمًا، وإلا كان عدد اللغات يقارب عدد المتكلمين أو يعادلهم، عندما نأتي إلى هذا العالم نجد قرب مهدنا اللغة التي تسبقنا وجودًا لدى من يحيطون بنا، إنها نصب تذكاري محترم محفوظ في القواميس والقواعد، إنها نظام لا يتغير وسنخضع له طوعًا أو كرهًا، غير أن هذا النظام كُيف شيئًا فشيئًا من قبل الأجيال المتعاقبة، وإذا كان البحث في أصل اللغة المظلم يميل اليوم إلى الاعتقاد بأن الجيل الأول من الإنسان شرع في التواصل عن طريق حركات وصراخات ونداءات ومحاكاة صوتية، كتلك الكلمات البدائية القليلة التي قد يصاحب دالها مدلولها فإنه أصبح مؤكد أنه من غير الممكن أن نعرف كيف توصل هذا الجيل إلى التكلم، لكن هذا لا يمنع من القول بأن اللغة المنطوقة خاصة بالإنسان"[1].

والذات الإنسانية لا توجد وحدها في هذا العالم بل الحياة تفرض عليها أن تكون علاقات بأشخاص آخرين تتبادل معهم التجارب، والإنسان ليس ذاتية محضة، فالإنسانية لا تتحقق إلا بالتواصل والانفتاح ومشاركة الغير، وهنا تبرز اللغة كضامن لهذا التواصل لأنها ليست ملكًا للشخص الذي يتكلم بها فحسب.

فالتواصل يعد من الحقول المعرفية والمباحث التي اهتم بها الفكر الإنساني منذ القدم، وهذا كون التواصل يدخل ضمن العلاقات التي يقيمها الإنسان.

**أولا–مفهوم التواصل في الفكر العربي:**

تناولت المعاجم العربية التواصل من الجانب اللغوي فقد جاء في**لسان العرب لابن منظور** "وصل: وصلت الشيء وصلًا وصلة، والوصل ضد الهجران، ابن سيده:

---

[1]– عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، 2000م، ص20.

الوصل خلاف الفصل. وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة...واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع"[1].

فالتواصل في اللغة لابد أن يكون بين شيئين وهذا ما يعزز العملية التواصلية، كما يظهر مفهوم التواصل في تراثنا من خلال الإبانة عن المعاني، حيث يقول **الجاحظ (159هـ/776م-255هـ/868م)**: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنمّا هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2].

**فالجاحظ** بكلامه عن البيان، والذي يقصد من ورائه الإبانة بأي طريقة كانت وبذلك يكون قد حدد الجاحظ خمسة عناصر للعملية التواصلية وهي: **المتكلم، السامع الرسالة، القناة، الشفرة**، فالرسالة تكون من متكلم إلى سامع، وغاية كل منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة والمتكلم "يمثل حجر الزاوية في ربط حبال الاتصال بغيره، ثم بما يمارسه من سلطة على المتلقي يحوله في أحسن الأحوال من منفعل بدلالة الخطاب أو فحواه إلى متفاعلٍ يبادله الكلام، ومن ثم رأى الجاحظ أن البلاغة والبيان يرتبط أكثر ما يرتبط بذلك المتكلم، أي أن يكون واعيًا لقصده ويضمن نجاح التواصل أن تستقيم لغته وفق قوانين أصحابها، أو العرف اللغوي"[3].

فمراعاة الجانب اللغوي شرط ضروري في كل كلام وفي كل فن.

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج 11، مادة: وَصَلَ، ص726.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط7، 1998م، ص76.

[3]- نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م، ص29.

ويعتقد **الجاحظ** أن المتكلم هو أهم من السامع باعتباره هو الصانع للحدث التواصلي عما اصطلح عليه أبناء اللغة وأن تكون "أداة النقل معلومة للناقل وللمنقول إليه وأن تكون مضبوطة وثابتة وأمينة"[1].

وكما اشترط **الجاحظ** في المتكلم أن يكون مثاليًا، فإن الشرط نفسه يقع على السامع "ومن وجوه المثالية عدم تعمد عرقلة الحوارية أو السيرورة التواصلية، كأن يتظاهر السامع بعدم الفهم، أو أن يحمل كلام السامع على محامل مخالفة للقصدية لديه"[2]، وأما الشفرة فهي كشف قناع المعنى وهتك الحجاب.

فالعملية التواصلية **الجاحظية** أخرجت من دائرتها الضيقة التي اعتمدت على المنطوق فقط فجعل "جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبة "[3].

فالتواصل في نظر **الجاحظ** لا يكون بالمنطوق فقط، بل يكون بالكتابة، فالكتابة عند الجاحظ نعمة من نعم الله تعالى كاللسان تمامًا منّ بها على خلقه أجمعين، وإذا كان للسان الفضل الكبير في التواصل الإنساني، فإن الكتابة هي الأخرى أدت وظيفة أساسية في التواصل ولذلك قالوا: "القلم أحد اللسانيين وقالوا: القلم أبقى أثرًا، واللسان أكثر هذرًا"[4].

وبالرغم من أن الكتابة تأتي في المرتبة الثانية بعد اللسان بل إنها تفوقه في الأمور الآتية:

---

[1]– طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 2000م، ص39.

[2]– نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، ص40.

[3]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص76.

[4]– المصدر نفسه، ص79.

- ضمان التواصل رغم بعد المسافة بين المرسل والمرسل إليه، عكس اللسان الذي هو "مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره"[1].
- الدلالة على شخصية صاحب الكتاب بشكل أكثر وضوحًا كما قال: **أبو علي** "رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله، وأصدق شاهدًا على غيبه لك، ومعناه فيك، من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة"[2].

والإنسان في المشافهة التي تكون ارتجالًا قد يخطئ، أو لا يستطيع أن يوضح معنى، فلا يمكننا أن نحكم عليه وعلى مقدار عقله، فنلتمس له العذر، أما الكتابة فإن الإنسان يجد أمامه الوقت الكافي للتصحيح والتغيير، وحسن اختيار المعاني والألفاظ، ومن هنا لنا الحق في الحكم على عقل صاحب الكتابة، أو يكون بالإشارة والإماءة وقد يكون بالعقد أو الحال.

أما **سيبويه (148هـ/765م-180هـ/796م)** فقد ركز على وصول المعنى إلى المتلقي، من خلال تقسيمه للكلام من حيث الاستقامة حيث قسم الكلام إلى حسن ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب، مفصلًا في ذلك بقوله: " فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدًا وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدًا، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل شربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[3].

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص80.

[2]- المصدر نفسه، ص221.

[3]- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1988م، ص25-26.

وهنا نلاحظ **سيبويه** ركز على استقامة الكلام حتى يصل المعنى إلى ذهن السامع أو المتلقي، فالكلام المستقيم الحسن هو الذي يفهم بطريقة بسيطة من خلال حسن الألفاظ واستقامة المعنى، والكلام المستقيم الكذب مستساغ كذلك حيث حمل على المجاز، أما الكلام المستقيم القبيح فإن السامع يجد صعوبة كبيرةً في فهمه، لأن الألفاظ وضعت في غير مكانها وموضعها، وأما الكلام المحال الكذب والمحال فتنقطع فيهما العملية التواصلية لغموض العبارة وعدم استقامة الكلام والتشويش على السامع والمتلقي، لأن الغاية من اللغة هي عرض الأفكار والتعابير بطريقة بسيطة مستقيمة حتى يفهم الذي يتلقى الرسالة ومن هنا يبدو لنا اهتمام النحاة بالعملية التواصلية.

أما **ابن وهب** فقد قسم التواصل إلى مستويات ثلاث: المستوى الأول وهو مستوى الاعتبار، والمستوى الثاني وهو مستوى الاعتقاد، والمستوى الثالث وهو مستوى العبارة وهذا هو النوع الثالث من التواصل وهو تواصل الإنسان مع أخيه الإنسان، وهو أوسع الأنواع على الإطلاق "لأن الكاتب يرى أن الإنسان كائن اجتماعي بالدرجة الأولى فهو يعيش في مجتمع يتعاون فيه الأفراد على قضاء مصالحهم، ولا يشتغل أحد بتنظيم حياته بمفرده حتى في جانبها التعبدي، وإذا كان التواصل عند الإنسان ضرورة اجتماعية ملحة فهو يؤديه بجميع الوسائل المتاحة له بداية باللغة المنطوقة وهي أولى وأعظم الأدوات أصالة في هذا الأمر، ثم تأتي اللغة في صورتها المكتوبة، وأخيرًا الإشارة، وكل هذه الأمور لصيقة بالإنسان فلسانه هو الأداة والوسيلة الأولى، ويده أو قلمه هو أداة الوسيلة الثانية، وجوارحه من تقاسيم وجه وعينين ويد، وما إلى ذلك هي أداة الوسيلة الثالثة ألا وهي الإشارة"[1].

[1]– بلقاسم حمام، آليات التواصل في الخطاب القرآني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، إشراف الأستاذ: محمد خان، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005م، ص88.

والتواصل الإنساني عنده نوعان:

**أ-تواصل لساني:** يعتمد اللغة بتقنياته.

**ب-تواصل غير لساني:** ويذكر تحت عنصر الوحي ويقول عنه: "فإنه الإبانة عما في النفس بغير المشافهة"[1].

ويدخل ذلك تحت: الإيماء، الكتابة، الإشارة سواء كانت باليد أو بالحاجب، أو بالعين ويبقى التواصل اللساني والكتابي عنده هو سيد وسائل التواصل جميعًا ويذكر أنه أوسع الأبواب.

ويتميز التواصل الكتابي عن التواصل الشفوي بـــ:

- الديمومة: فاللغة الشفوية تتلاشى وتندثر بعد التلفظ بها، عكس الكتابة.
- إقامة الحضارة وتأسيس العلوم لأن الأمة التي ليس لها كتب قليلة العلوم والآداب.

ويورد **طه عبد الرحمن** تعريفًا للتواصل على اعتبار تداوله في مختلف القطاعات المعرفية، ويرى أنه لفظ يكتنفه الغموض والإبهام، فقد يدل على معان ثلاثة متمايزة فيما بينها: "أحدها نقل الخبر ولنصطلح على تسمية هذا النقل **بالوصل** نظرًا لأن هذا المصطلح يفيد معنى الجمع بين طرفين بواسطة أمر مخصوص، والثاني نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ولنطلق على هذا الضرب من النقل اسم **الإيصال** والثالث نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم واعتبار مقصده الذي هو المستمع معا، ولندع هذا النوع من النقل باسم **الاتصال**"[2].

---

[1]- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، 1969م، ص113.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1998م، ص254.

فالتواصل يهتم بكل أطراف العملية التواصلية: من متكلم، وسامع، والسياق اللغوي والواقعي الذي يتم فيه التواصل.

نستنتج من خلال ما سبق أنّ العملية التواصلية تقتضي التفاعل بين طرفين على الأقل ولتستمر عملية التواصل، يجب أن يكون أطرافها يتعاملون بشيفرة لغوية واحدة يفهمون صيغها وتراكيبها.

**ثانيا-مفهوم التواصل في الفكر الغربي:**

انطلقت الدراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل في الولايات المتحدة الأمريكية في الأربعينيات من القرن العشرين "فقد ساهمت أبحاث متنوعة في اختصاصات محددة الفيزياء والرياضيات في بلورة نظرية حول الأنظمة التواصلية، وبعد المحاولات التمهيدية تمكنت نظرية التواصل من تحديد موضوعها وتأسيس منظوراتها الجديدة، وقد شكل التواصل اللساني فرعًا من الفروع المدروسة في نظرية التواصل، وتمت في هذا الإطار عمليات تحديد دقيقة لمفاهيم عدة وحدود كثيرة، ومن هنا تبلورت الأعمال المهمة حديثًا بفضل اشتراك علماء الرياضيات ومهندسي التواصل، حيث تم تحديد موضوع نظرية التواصل باعتبارها بحثًا تأمليًا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين حيين يهدف إلى غايات تواصلية، ويقتضي هذا التعريف أطرفًا مكونة تؤثر في كل سيرورة تواصلية، تبدأ من السنن **Code** المشترك بين المتكلمين إلى قناة الاتصال وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية، وقطبي التواصل المحوريين: المرسل والمتلقي"[1].

فالمرسل هو مصدر تكون وتحقق الرسالة، فهو العقل الإنساني للغة المنطوقة والمكتوبة، وتتم صيرورة فك السنن على مستوى المرسل إليه، بواسطة بحث في الذاكرة عن العناصر المنتمية للسنن المختار لتسجيل الرسالة.

[1]- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، سورية، ط1، 2003م، ص23-24.

أما كلمة **Communication** في اللغة الأجنبية تعني "إقامة علاقة وتراسل وترابط وإرسال وتبادل، وإخبار وإعلام"[1] .

أي هناك نقطة تشابه في الدلالة والمعنى بين مفهوم التواصل في الفكر العربي والفكر الغربي.

يعرّف **شارل كولي charlesCooley (1929/1864م)** التواصل قائلًا: "التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان ويتضمن أيضًا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات"[2].

من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن التواصل هو جوهر العلاقات الإنسانية ويظهر من خلال هذا التعريف أيضًا أن للتواصل وظيفتين:

**أ-وظيفة معرفية:** تتمثل في عملية نقل الأفكار والتجارب والرموز الذهنية، وتبليغها في الزمان والمكان عبر وسائل لغوية وغير لغوية.

**ب-وظيفة وجدانية:** تقوم على تبادل المعارف والمشاعر بين الأفراد والجماعات وتفعيلها على المستوى اللفظي وغير اللفظي.

فالعلمية التواصلية لا تقتصر على ما هو ذهني معرفي فحسب، بل تتعداه إلى ما هو وجداني، حسي، حركي، آلي.

وإنه من الصعب علينا أن نعثر على تعريفات للتواصل تتفق في كل جوانبها مع رضاءات الباحثين، "فمعجم اللسانيات الذي أشرف عليه **ج دبوا j dubuu** يقترح علينا تعريفين:

---

[1] - جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مكتبة المثقف، أستراليا، ط1، 2015م، ص09.

[2] - المرجع نفسه، ص10.

أ-التواصل **La Communication** تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظًا أو قولًا موجهًا نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية، وذلك تبعًا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم.

**ب**-التواصل حدث نبأ ينقل من نقطة إلى أخرى، ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عددا من الأشكال المفكوكة"[1].

يستنتج من خلال التعريفين السابقين أن **ج.دبوا** قد ركز في العملية التواصلية على عناصر اللغة الستة السالفة الذكر.

في حين نجد التواصل في "المعجم الذي أشرف عليه **A.Molesdenoél** نجد فيه أن التواصل هو عملية جعل فرد أو مجموعة متموضعة في عصر من نقطة **س** يشارك في التجارب التي ينشطها محيط فرد آخر متموقع في عهد آخر وفي نقطة **ص** من مكان آخر مستعملًا عناصر المعرفة المشتركة بينهما"[2].

يبدو من هذا التعريف أن صاحب المعجم ركز على التواصل بنوعيه المنطوق والمكتوب كما يبدو تركيزه واضحًا على الشفرة من خلال تبادل عناصر المعرفة المشتركة بين المتكلمين.

يعرّف **أبراهام مولر Abraham Muller** التواصل بأنه: "إشراك شخص أو هيأة **Organismc** مموضع في فترة ما في نقطة معينة في تجارب منشطة لمحيط شخص آخر أو نسق آخر مموضع في فترة أخرى ومكان آخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما"[3].

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، ص78.

[2]- المرجع نفسه، ص79.

[3]- أبراهام مولز، كلود زيلتمان، في التداولية المعاصرة والتواصل فصول مختارة، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق المغرب، د.ط، 2014م، ص7.

إذا أردنا أن نعرف ما يجري في الساحة الأدبية قل مثلا في دولة الأردن فإن سلوكنا الأول لن يكون طلب تذكرة الطائرة، لكنه سيكون فتح الجهاز التلفزي أو استعمال الانترنت ونحصل على جزء كبير من المعلومات التي نود معرفتهما، هذه المشاركة بالطبع ليست مشاركة كاملة لكنها كافية بأن نشارك في هذا الحدث بآرائنا وانطباعاتنا، ولا يمكن لهذه السيرورة أن تحصل إلا إذا كان المرسل والمستقبل يملكان لغة مشتركة بينهما.

التواصل عند **جاكبسون** "بناه على الحوار بين المرسل والمستقبل فنظام التواصل القائم على المرسل المنجز للكلام والمرسل إليه مستقبل الرسالة والرسالة تحتاج إلى مرجع وقناة اتصال ورامزة مشتركة كليًا أو جزئيًا بين المرسل والمرسل إليه تسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه ومن منظور النموذج التواصلي عند **جاكبسون** فإن **الخطاب الأدبي** بوصفه خطابًا لغويًا فهو **تواصلي** تهيمن فيه الوظيفة الشعرية دون أن يفقد وظيفته الإبلاغية أو باقي الوظائف باعتباره خطابًا لغويًا"[1].

إنّ التواصل عند **لوهمان Lohan** هو العنصر الأخير للأنظمة الاجتماعية "فالتواصل لا يقوم على الإرسال والاستقبال، إنّه مركب من ثلاثة عناصر أو اختيارات: الإخبار المعلومة الفهم، ويفرق **لوهمان** بين المعلومة والإخبار، فالمعلومة هي معالجة اختيارية للاختلافات إنها ليست إرسالًا فالأنا لا تمتلك المعلومة، والآخر يتوصل بها، إنّها نتاج للعملية التواصلية، والإخبار أحد المكونات الثلاثة للتواصل، إلّا أنّه ليس أهمها ولكن فقط حين يكون هناك إخبار تصبح للمعلومة قيمة داخل العملية التواصلية، إن المرء يتحدث عن التواصل حين تفهم الأنا أن الآخر قد أخبرها بمعلومة

[1]– نور الدين صدار، سيميائيات التواصل الفني بحث في إشكالات المقصدية، مجلة أيقونات، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الثالث 2011م، ص123.

فالفهم في النهاية لا يحقق فقط تواصلا معينا، بل يفتح الباب لعمليات تواصلية أخرى"[1].

فالعلمية التواصلية عند **لوهمان** تقوم أساسًا على عنصر **الفهم** متى فهمت الأنا قصد الآخر يتحقق التواصل ويتحقق التفاعل ويتحقق الوعي وتتحقق المشاركة سواء كان ذلك على مستوى اللغة المنطوقة أو المكتوبة.

أما **فرديناند دي سوسير** فيصف عملية التواصل بين **أ** و **ب** وهما يتبادلان حديثًا فيما بينهما على النحو التالي:[2]

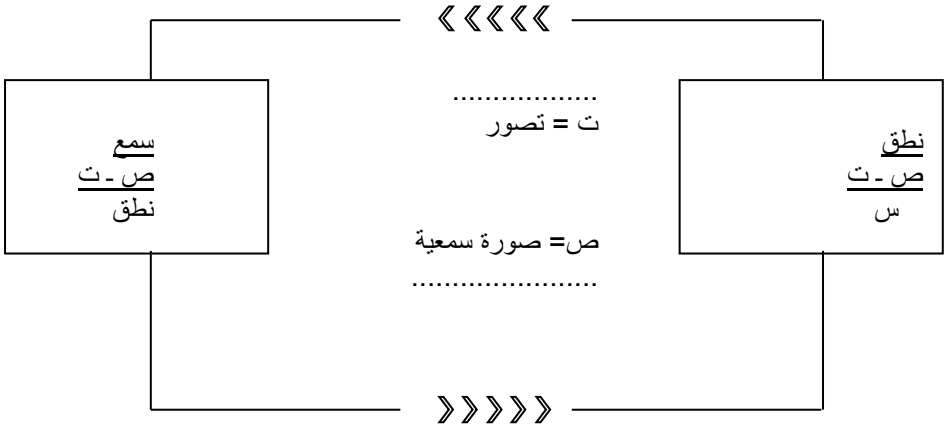


وبعد تحليل علمي نفسي وفيزيولوجي وفيزيائي لهذه الدارة الكلامية تبين بأن **دي سوسير** أخذ العناصر الجوهرية بين الباث والمتلقي ناسبًا النطق والسمع إلى الأجزاء الفيزيولوجية والصور الشفوية مقسمًا الدارة إلى:

أ-جزء خارجي يتمثل في اهتزاز الأصوات المنتشرة بين الفم إلى الأذن.

---

[1]- محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص42.

[2]- فرديناند دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة د.ط، 1986م، ص23.

**ب**-جزء نفسي وآخر غير نفسي، النفسي متصل بواقع الإنسان، وغير النفسي فهو خارج عن واقع الفرد ويضم الوقائع الفيزيائية الخارجة عن الفرد والوقائع الفيزيولوجية التي تتموضع في أعضاء النطق.

**جـ**-جزء فاعل وآخر منفعل.

فاعل الباث ـــــــــــــــــــــــ منفعل المتلقي"[2].

**ثالثا-أنواع التواصل:**

ينقسم التواصل إلى قسمين رئيسيين هما:

**أ-التواصل اللفظي:** يكون عن طريق اللغة المنطوقة أو اللغة المكتوبة، اللغة المنطوقة تكون بين متحاورين أو أكثر، أما اللغة المكتوبة تكون بين الذات المبدعة المنتجة لرواية أو قصة ...الخ وبين ذات قارئة ناقدة.

**ب-التواصل غير اللفظي:** يكون عن طريق اللغة الجسدية والسيميائية، الحركات الإشارات والعلامات.

**رابعا-أنماط التواصل:**

يمكن الحديث عن أنواع عدة من التواصل الإنساني، فهناك "**التواصل مع الذات** الذي يكون عن طريق وعي الذات بوجودها وكينونتها، ووعيها الداخلي بالعالم، **والتواصل بين الفرد والآخرين**، لأن إدراك الآخر يساعد الفرد على إدراك ذاته، **والتواصل بين الجماعات** الاجتماعية الذي يسعى إلى تنمية الروح التشاركية وتفعيل المبدأ التعاوني وتحقيق التعارف المثمر البناء"[1].

**خامسا-النص الأدبي إبلاغ تواصلي:**

ترى المقاربة التواصلية أنّ النص الأدبي تحكمه مجموعة من الوظائف، وأبرزها الوظيفة التواصلية، ومثّل هذا الاتجاه التواصلي الذي يرى أنّ النص الأدبي

---

[2]- ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص38.

[1]- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص24.

إبلاغًا وتواصلًا **رومان جاكبسون** الذي تحدث "في مقاربته التواصلية الوظيفية عن ستة عناصر في عملية التواصل: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية والرسالة وظيفتها جمالية، والمرجع وظيفته مرجعية، والقناة وظيفتها حفاظية وتواصلية واللغة وظيفتها تأويلية وتفسيرية وصفية، وعليه إذا أردنا مثلا دراسة عنوان نص أو خطاب ما في ضوء تواصلية **رومان جاكبسون** فالعنوان كما هو معلوم عبارة عن رسالة وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، فيساهمان في التواصل المعرفي والجمالي وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل، ويؤولها بلغتة الواصفة، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال"[1].

فالعنوان وظيفة "مرجعية ترتكز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعًا وواقعًا أساسيًا تعبر عنه الرسالة، وهذه الوظيفة موضوعية لا وجود للذاتية فيها نظرًا لوجود الملاحظة الواقعية، وهناك الوظيفة الانفعالية التعبيرية التي تحدد العلائق الموجودة بين المرسل والرسالة وتحمل هذه الوظيفة في طياتها انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما ومواقف عاطفية ومشاعر وإحساسات يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة، وهناك الوظيفة التأثيرية التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي وإثارة انتباهه وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهناك الوظيفة الجمالية أو الشعرية التي تحدد العلائق الموجودة بين الرسالة وذاتها، وتتسم هذه الوظيفة بالبعد الفني والجمالي والقناة إذ تهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد التواصل واستمرارية الإبلاغ وتثبيته أو إيقافه علاوة على الوظيفة الوصفية المتعلقة باللغة وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية بعد تسنينها من قبل المرسل، والهدف

[1]– جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص81.

من السنن هو وصف الرسالة لغويا وتأويلها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية والنحوية المشتركة بين المتكلم والمرسل إليه"[1].

[1]– جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ص 82.

**المبحث الخامس: التواصل الحجاجي.**

تحدث العملية التواصلية بين طرفين، ولكنّ أقوال المناطقة بعزلها عن المجال التداولي اللساني لا ترتقي إلى القيام بهذه الوظيفة، فالفعل التواصلي "يفترض دائمًا إمكانية الحجاج والمناقشة النقدية والحق في الرفض والموافقة، وإنه من دون هذه القاعدة لا يمكن للفعل التواصلي أن يقوم أو يتأسس أصلًا لذا فإن وجود تداولية عامة للغة، تشكل نوعًا من المنطق الذي يضمن الشروط المعيارية وإمكانيات نجاح الفعل التواصلي"[1].

**أولا-التواصل وأبعاده:**

يكون دائمًا الخطاب الحجاجي في سياق تاريخي معين، ويكون لهذا السياق تأثير في نظام الحجاج على مستوى بنيته العامة وبنيته الصغرى، وعند دراسة الخطاب الحجاجي بوصفه ممارسة يجب أن تؤخذ في الحسبان تلك العوامل التواصلية التي لها من التأثير الكبير في الخطاب الحجاجي.

فالسياق التواصلي يسهم في عرض الدّعوى، واختيار الحجج وترتيبها وتنظيمها، وذلك باعتبار طرفي الخطاب الحجاجي والظروف المحيطة به، كما يعمل على مقصدية المخِاطب فيجعل من معناه مرتكزًا حجاجيًا.

ويتألف سياق التواصل من أبعاد كثيرة، يمكن إعادتها إلى طرفي الخطاب الحجاجي والخصائص الثقافية، فلا خطاب إلا بين طرفين وفيه تنتج سمو التفاعل بين الأطراف فكل طرف يؤثر في الآخر.

وللسياق التواصلي مكونات هي:

[1]- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص211.

**أ-المخاطِب:**

يعتبر المخاطِب مصدر الخطاب الحجاجي، وإن توارى وراء خطابه، ولم يسم ذاته لغويًا، بوصفه أحد ركائز الخطاب الحجاجي، إن لم يكن العنصر الرئيس فهو المدّعى سواء كانت "دعواه ابتدائية، أم كانت اعتراضية، وبما أنّ الدّعوى تشير إلى اختلافه مع الآخر، فلا يخلو في أي من الحالتين من أن يكون صادرًا في رؤاه عن تكوين طبيعي خاص، وتكوين اكتسابي معرفي معين، فتكوينه الطبيعي يتركز على ما وهبه الله من خصائص خِلقية بإمكانات عقلية، تتجلى بها طرقه الاستدلالية، وآلائه المعرفية، مع سعة في ذاكرته الاستيعابية، تتبلور فيها غزارة ذخيرته العلمية"[1].

أما تكوينه الاكتسابي يتضمن مجموعة التجارب والخبرات والمعارف، وأبعاد موضوعه وخصائص ثقافته، كل هذه الأمور عندما تجتمع تنتج دعواه واعتراضاته بما ينم عن اختلاف رؤيته، وهو ما يكون خطابًا حجاجيًا له من السمات النابعة من سمات شخصيته وما قدرته الحجاجية إلا ثمرة لهما، فالخطاب الحجاجي هنا ليس مجردًا من صاحبه بل هو ثمرة لتفكيره، وصورة لتدبيره.

**ب-المخاطَب:**

لا يقدم المخاطِب دعواه إلا على غيره، ولا يعترض إلا على دعاوى غيره فما كان للدعوى أن تقدّم وللحجج أن تكون لو لم يكن هناك طرف آخر، وما هو إلا المخاطَب، فحضوره في الخطاب الحجاجي أمر لازب سواء كان حضورًا في الأعيان أم استحضارًا في الأذهان.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط1، 2013م، ص443.

وسواء أكان هذا أم ذاك فالخاطِب لا يغفل خصائص المخاطَب "يستوي فيها الخصيصة الطبيعية والخصيصة المكتسبة، لما ينعكس على إنتاج الخطاب الحجاجي في صورته المنطقية وفي مادته اللغوية"[1].

لذلك فقد أولاه عدد من الباحثين أهمية كبيرة ومنحوه الدور المؤثر في كل خطاب حجاجي وعليه فمعرفة المخاطَب يعد نقطة قوة يسعى المخاطِب إلى امتلاكها، لأن امتلاكها سيوجه خطابه ويحدد كلامه.

وقد التفت **الجرجاني** إلى دور المخَاطب في التواصل فساق المناظرة الشهيرة التي جرت بين الفيلسوف **الكندي** واللغوي **أبي العباس** "روي عن **ابن الأنباري** أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوًا فقال له أبو العباس في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إنّ عبد الله قائم، ثم يقولون: إنّ عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقوله: إنّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرّر المعاني قال فما أحار المتفلسف جوابا"[2].

فالبلاغة العربية لم تستثن المخاطَب وأولته عناية خاصة بالنظر إلى دوره في تحقيق التواصل.

**جـــ-الخصائص الثقافية:**

تتمحور حول بيئة الحجاج العامة التي تؤثر في تكوين الحجاج مثل: اللغة، الدين، بوصف أفراده ينتمون حتمًا إلى بيئة معينة، ثقافة معينة، وكذلك خصائص

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، ص445.

[2]- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر د.ط، د.ت، ص215.

موضوعات الحجاج، أو حقوله، وخصائص المجتمع، بوصفها أبعادًا تعمل على توجيه الخطابات الحجاجية وممارستها.

فللحجاج علاقة مشتركة بين أطراف اجتماعية، فاللغة والدين والمجتمع هي منطلق الحجاج، بما تؤسسه من اتفاق أو تثيره من افتراق.

ويقود النظر في هذه المكونات إلى معرفة مستوى معرفي وفكري أعمق يستقر في القدرة الحجاجية وهي تمثل وجهًا من وجوه العملية التواصلية، بوصف الخطاب الحجاجي مظهرًا من مظاهرها، إذ يجب أن تتوفر لدى المتكلمين القدرة التواصلية باعتبارها مجموعة من الاستعدادات الضرورية التي تمكن المتخاطبين من التواصل بكفاءة في مواقف متنوعة وتتكون هذه القدرة التواصلية بالإضافة إلى القدرة اللغوية من القدرة الحجاجية التي تمكن المتخاطبين من تطوير خطاباتهم الحجاجية وتوسيعها وتمكنهم من تأويل الخطابات الحجاجية وتحديدها.

وتتألف القدرة التواصلية من خمس ملكات وهي: **الملكة اللغوية، والملكة المعرفية، الملكة الإدراكية، والملكة الاجتماعية،** كل هذه الملكات مجتمعة تسهم في بناء الخطاب الحجاجي بوصفه عملًا لغويًا تواصليًا.

**ثانيا-التواصل الحجاجي خصائصه وآلياته:**

لعل من الخصائص الأساسية للتواصل الحجاجي هو مبدأ القصدية وهذا ما ذهب إليه **طه عبد الرحمن** حيث تحدث عن القصدية أو المقصدية، ومفاده أنه لا كلام إلا مع وجود القصدية في الكلام، وبهذا يصبح القصد إستراتيجية ضرورية للتواصل الحجاجي ترتبط بشكل مباشر بدور المتكلمين.

وإلى جانب القصدية نجد من خصائص التواصل الحجاجي خاصية السياق على اعتبار أن كل خطاب يحمل سمة الحوار وكل حوار يجري في سياق معين.

وعليه فالسياق خاصية أساسية من الخصائص التي تقوم عليها استعمال أي لغة طبيعية ويكون مقاميًا، فالسياق اللساني تحكمه الجوانب الصوتية والصرفية والخصائص

الأسلوبية أما السياق المقامي فهو كل ما من شأنه أن يجعل عملية التواصل أمرًا طبيعيًا، تحدده أطراف المتخاطبين وكذا طبيعة الخطاب وطريقة التخاطب أو ما كان مضمرًا يرجع إلى البيئة الاجتماعية والمعارف المشتركة.

**ثالثا-الحجاج ودوره في التواصل اللساني:**

إن عملية التواصل بين المرسل والمتلقي لن تصل درجة التحقق المطلوبة أو درجة الإقناع إلا إذا كان "الخطاب المرسل مدعومًا بأساليب وتقنيات حجاجية تجعل المخاطَب يقتنع بكلام المرسل، وبالتالي يتحقق التواصل بشكل فعلي سواء كان مسموعًا أو مقروءًا أو سواء كان مباشرًا أو غير مباشر"[1].

ومادام التواصل يبنى على أساس العلاقة اللفظية أو السيميائية بين المتلقي والمرسل، فهو في تصورهم لا يختلف عن السلوك يقول **جاكبسون:**

بالإضافة إلى ذلك فإن موضوعنا، لا يتعلق فقط بالكشف عن التأثير الذي يخلفه جانبًا من التواصل في المتلقي، بل يجب الكشف عن التأثير الذي يخلفه رد فعل المتلقي فالجانب النفعي للتواصل في نظر **جاكبسون** لا يتمثل فقط في التأثير على سلوك المتلقي بل يتعداه إلى أكثر من هذا وهو دراسة رد فعل المتلقي على الباث.

**أ-الحجاج في التواصل اللساني المباشر:**

إن الخطابات الحجاجية المسموعة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، فالخطاب الحجاجي المباشر هو الذي يكون بين المتكلمين وجهًا لوجه أو عبر قنوات كالهاتف أو الإنترنت وتكون نسبة الإقناع في الخطابات الحجاجية أعلى منه في غير المباشر.

ولنتأمل المثال التالي:

**إن حصلت على نقطة جيدة في الامتحان سأشتري لك دراجة مثل هذه.**

---

[1]- محمد القاسمي، دراسات معاصرة في اللغة والأدب والتواصل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2016م، ص126.

خطاب موجه من أب لابنه محاورًا إياه وجهًا لوجه مشيرًا بإصبعه إلى دراجة معروضة للبيع في إحدى المحلات التجارية.

فإذا حالنا تحليل هذا الخطاب نجد أنه يضم مجموعة من الآليات التي تعمل على تحقيق المقصدية الحجاجية ومن هذه الآليات نجد:

السياق والمقام ويتمثلان في الحيز المكاني الذي جمع المرسل والمتلقي وجهًا لوجه أمام الدراجة في اليوم الأخير من أيام الاستعداد للامتحانات.

الحجة المادية: وتتمثل في الدراجة الماثلة أمام المرسل والمتلقي كحجة صادقة ومقنعة للمتلقي على صدق كلام المرسل.

التواصل اللساني: وهو مجموع الألفاظ والأساليب الحجاجية المكونة للخطاب وهي

-أسلوب الشرط: المكون من جملة الشرط -إن حصلت- وجواب الشرط -سأشتري لك-.

اسم الإشارة هذه وهي للقريب وتعتبر تقنية من التقنيات الحجاجية اللسانية التي تشد الخطاب وتزيد في سرعة إقناع المخاطَب والتواصل معه.

من خلال هذا المثال نجد أن المتكلم جعل من نص الخطاب ومن ظروفه السياقية والمقامية تقنيات حجاجية لإقناع مخاطبه والتواصل معه.

وهناك من التقنيات الحديثة التي تساعد على نقل الخطاب بأمانة وبشكل مباشر من مرسل إلى مرسل إليه كالهاتف والإنترنت وغيرها ولكنها تكون أقل درجة في الحجاج وفي التأثير من التواصل وجهًا لوجه لغياب مجموعة من التقنيات والآليات المساعدة كالإشارات وغيرها.

**ب-الحجاج في التواصل اللساني المكتوب:**

وهو التواصل الذي يتحقق عبر كل أنواع الخطابات المقروءة كالرسائل والمجلات والروايات والقصص فكل خطاب مكتوب يريد منه إقناع الآخر بفكرة ما، ويحمل في ثناياه أساليب حجاجية تزيد من قوة الخطاب ومن قوة الإقناع والتواصل.

فإذا كان الخطاب الحجاجي المسموع يتميز بتقنيات تزيد في قوة الحجاج والتأثير على المتلقي كالتحكم في الصوت وغيرها، فإن الخطاب الحجاجي المكتوب يستبدل ذلك بأساليب ينفرد بها هو الآخر، كعلامات الترقيم وتنوع الألوان وتغليظ الخط وترقيقه.

فالتواصل الحجاجي هو إستراتيجية خطابية وتداولية وبلاغية، ,وإذا كان كل خطاب توفرت فيه شروط التواصل: **مرسل، ومرسل إليه، والسياق، والمقام**، يجمعها قصد معين يعتبر خطابًا حجاجيًا، لأن كل باث يرغب في إقناع مخاطبه مستعملًا كل الإمكانيات الحجاجية من أجل التواصل وتحقيق الإقناع.

**المبحث السادس: البلاغة والتواصل.**

احتلت البلاغة مكانة مرموقة في الدراسات الأدبية اللغوية والنقدية، إذ أصبح ينظر إلى البلاغة ليست كعلم لتحليل النصوص في بعدها الجمالي، بل أصبحت علمًا واسعًا للمجتمع، فقد تطورت في العصر في العصر الحديث ويرجع ذلك إلى استفادتها من مناهج البحث في مختلف الحقول المعرفية، وهذا ما أشار إليه **هانريش بليث** الذي قال: "إن سبب هذه النهضة البلاغية يرجع في مجال التنظير إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية ونظريات التواصل والسيميائيات والنقد الأيديولوجي، وكذا الشعرية اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص وتقويمها"[1].

وهذا التقارب بين هذه العلوم يكمن سره أن البلاغة تبحث عن التأثير في الآخر وكيفية إقناعه، وتبيان كل المقاصد التي يهدف المرسل إلى تحقيقها، وهذه النقطة تعد من أهم مباحث التداولية التي تدرس التفاعل التواصلي بين المرسل والمرسل إليه، وما يحدثه الفعل الكلامي من تأثير.

هذا التقارب بين البلاغة والتواصل بررتها مجموعة من الأبحاث والدراسات واستعانت في ذلك بالتراث البلاغي من جهة، ونتائج العلوم من جهة أخرى.

وهناك من الباحثين من قدّموا بحوثًا متنوعة ربطوا فيها بين البلاغة والتواصل، معتمدين في ذلك على بعض المفاهيم التي تظهر الصلة الوثقى بينهما، وتتعلق بماهية البلاغة والكيفية التي يكون عليها المتكلم وتحديد سمات الكلام البليغ.

ويرى **ليش** أن البلاغة تداولية في صميمها لأنها تعمل على التواصل بين المتكلم والسامع، مستخدمين وسائل معينة للتأثير على بعضهما.

بعد عرض هذه الأفكار نلاحظ أن البلاغة ارتكزت على فكرة جوهرية وهي أن التواصل تمثله البلاغة بكل شروطها كونها تهتم "بالكلام الذي يرسل إرسالًا، فتطلب منه

---

[1]– هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، د.ط، 1999م، ص22.

الإفادة والإصابة وإفهام المعاني على وجه بديع، وتركيب لطيف، وهي المعايير التي بها الأسلوب على نحو ما يتحقق به غرض المنشئ حيث يستخدم الكلمة في تحقيق ما يريد"[1].

وهذا ما يقودنا إلى تحديد أبعاد التواصل الأدبي أو الإبداعي والتي ترجع إلى:

-**الكلام:** وهو الملفوظ الذي يرسل من طرف المخاطِب.

-**الإرسال:** يتم عن طريق قناة سواء كانت مسموعة أو مكتوبة.

-**الرسالة:** وتكون من المتكلم وما يريد إيصاله إلى الآخرين وتقتضي حسن التأليف وجمال التركيب.

-**الكلمة:** يجب أن تستخدم في مكانها المناسب وفي سياقها حتى تؤدي دورها الفعال في تحقيق مقصدية المرسل.

قد تتعدى مقصدية المتكلم حدود الإفهام إلى الإقناع وهو عبارة عن محاولة واعية من قبل المرسل ليغير سلوك المتلقي من خلال إرسال رسالة تواصلية تكون ذات محتوى مقنع ويمكن الحكم على مدى نجاح التواصل المقنع بقدر نجاحه في تغيير السلوك المرغوب فيه، أو فشله في التعبير، وقد يتم التغيير في السلوك بشكل فوري أو يأتي متأخرًا ويعتمد التواصل المقنع بشكل أساسي على خصائص المصدر ومحتوى الرسالة التواصلية وطريقة عرضها، وطبيعة الوسيلة المستخدمة وخصائص الجمهور المستقبل[2].

فالبلاغة الإقناعية متصلة بالقدرة التي يستطيع من خلالها المتكلم أن يغير سلوك الجمهور ويتم ذلك بآليات وتقنيات تضمن له ذلك وهي:

---

[1]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1994م، ص41.

[2]- ينظر: سامية بن يامنة، الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص198.

**أولا-مراعاة مقتضى الحال:**

يقتضي التواصل الإقناعي البلاغي امتلاك القدرة على مراعاة مقتضى أحوال الجمهور التي تعكس رجاحة فكر المتكلم وبعد نظرته، كما تعكس في الوقت نفسه فطنة حادة وإلمامًا كبيرًا بمقتضيات التواصل الإقناعي المباشر، وهذه الصفات لا تتوفر إلا في متكلم يتوفر على قدر مهم من الثقافة والفكر، ومن خصائص هذه الثقافة ما يتعلق بوعيه البلاغي وقدرته على أفانين القول وقدرته على التنويع في رسم خطابه بسمات الإيجاز والإطناب عند الضرورة.

كما يستدعي المقال التواصلي من المتكلم ضبط لغته المتداولة مع المتخاطبين وإدراك خصائصها التعبيرية لإنتاج خطاب لغوي متميز.

وبصفة عامة فإن قدرة المتكلم على مراعاة مقتضى الحال هي في حد ذاتها نموذج يجسد صورة مهمة من وعيه التواصلي والذي من خصائصه أيضًا الإلمام بألفاظ المتكلمين حتى يدفع بالمخاطب إلى الافتنان بقوله أو بنصه.

**ثانيا-الرسالة:**

تعتبر الرسالة سواء كانت قصة أو رواية أو شعر الرابط المادي للتواصل الإقناعي ولها أهمية قصوى لأنها تشكل صلة الوصل بين المخاطِب والمخاطَب ويتوقف التواصل هنا على طبيعة الرسالة الملقاة لا من حيث الشكل فقط بل من حيث المضمون أيضا.

فالجانب الشكلي للرسالة يتضمن البنية التركيبية كتسلسل الفقرات وتتابعها وله من الدور الكبير في إبقاء التواصل قائمًا، كما للبنية الدلالية جانبًا مهمًا في شد انتباه القراء وضمان ارتباطه بالنص الملقى عليه.

فالرسالة تنجز أصلًا لجمهور يراد منه التأثير والإقناع بما يلقى عليه، وعليه فإن أسس بلاغة إقناعه راجعة حسب **أرسطو** إلى الأدلة والبراهين، والبناء اللغوي أو الأسلوب، لأنها تدعو العقل إلى الانسجام مع مبادئه.

إن الرسالة تطبعها جمالية الألفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في التواصل بخلاف الغرابة التي تفقدها ذلك الجمال والحسن.

ويجب أن تضمّن الرسالة بوسائل إقناعية أخرى كالنصوص الدينية وأبيات الشعر الأمثال والحكم، حتى يضمن للتواصل بلوغ فاعليته التأثيرية.

**ثالثا-المرسل إليه:**

في التواصل القائم على تقنية الإقناع والتأثير يبدو أن أبرز سمة تتسم بها الرسالة هي أنها تتوجه إلى الجمهور، مقيمة معهم علاقة تواصلية تحكمها التفاعلية، ولهذا يمكننا القول بأن الجمهور يلعب دورًا رئيسيًا في بناء أي رسالة كيفما كانت نوعيتها.

لذلك إذا أراد المتكلم بلوغ غايته فليتوخ طباع الناس لأن لكل زمان طريقة ولكل إنسان خليقة، فالإقناع لا يحصل إلا عبر معرفة طباع الناس مع مراعاة الزمان أي الظروف التاريخية والاجتماعية التي تحيط به.

**رابعا-التأثير والإمتاع:**

لا يمكن أن يتم التواصل دون غرض معين، وأن صنعة المتكلم لا تكتمل من دون تحقيق الأهداف التي يبتغيها، لأن بلاغة الكلام تقتضي تحقيق غرض المتكلم من أجل كسب التأييد الآخر أو التأثير فيه، فلا يشكل المتكلم خطابه إلا من أجل غاية معينة تمليها المقصدية.

وإذا حاولنا أن نتوجه بالمقصدية نحو منطلقها التداولي فإننا نلحظ أنها ترتبط بنمط أساسي له صلة مباشرة بالمتكلم وهو التأثير والإمتاع.

ويقصد بالتأثير كل ما قد يدخل في" إثارة العواطف والإحساسات عند السامع، على شرط أن يكون متصلًا بالحقيقة أو بالموضوع الذي يراد البرهنة عليه، وهدف ذلك التأثير هو تصوير تلك الحقيقة، أو ذلك الموضوع بصورة محبوبة وجذابة" [1].

وعليه فإن الإمتاع يساهم في إحداث التأثير المقصود وهما غرضان يتعلقان بالمتكلم إذ لابد أن يتحلى بمجموعة من الصفات التي تمكنه من تحقيق المقصد المطلوب، كالفطنة والقدرة على إمكانية التعبير عن أفكار الموضوع والقدرة على البرهنة والمحاججة.

وقد نبّه **أرسطو** إلى ثلاث مسائل إذا استوفاها المتكلم عرف طريقه إلى عواطف السامعين وكيفية إثارتها في نفوسهم ومن هذه المسائل "الاستعدادات النفسية التي تحمل المرء على الغضب أو الخوف أو الرحمة أو غيرها من العواطف، ومنها أن يعد الذين يشعر عادة بتلك العواطف نحوهم، وثالثهما أن نعد الأشياء التي تثير فينا هذا الشعور"[2].

فهذه المسائل عندما تجتمع تؤثر في المتلقي وتجعله يتفطن ويتدبر الفكرة أو القضية التي يعالجها المتكلم.

ولإحداث التأثير والإمتاع في الرسالة الإبلاغية من الضروي الإحاطة بمسائل الموضوع ولابد أن يكون المتكلم على قدر من الكفاية اللغوية حتى ينجذب من خلاله المتلقي فيتفاعل مع الموضوع المطروق.

فالخطاب التواصلي البلاغي الإقناعي، هو فن مخاطبة القراء بالدرجة الأولى مما يعني أن المتلقي يكون دائمًا حاضرًا في ذهن الكاتب أو الراوي وحتى قبل أن يولد نصه.

---

[1]– سامية بن يامنة، الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص264.

[2]– محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص122.

يبقى أن نشير أن تحقيق الفاعلية التواصلية البلاغية يظل مرتبطًا بموضوع الرسالة الإبلاغية وبالموقف الذي يكون فيه المرسل، والذي يتطلب منه حسن انتقاء الأفعال الكلامية لتحقيق المقصدية.

**المبحث السابع: بين التواصل والخطاب.**

إنّ العملية التواصلية أو النظرية التواصلية تقوم أساسًا على تبادل الأدوار بين متكلم وسامع، بواسطة نسق معين يضمن التفاعل بينهما، في حين أن العملية التخاطبية إذ هي أيضًا "تقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل فائدتها التواصلية"[1].

وقد يرى بعض الدارسين أنّ هناك فرق بين التواصل والتخاطب "وهو أنّ التواصل ينبني على التطويل، في حين ينبني التخاطب على الاختصار، إذ يكون الانتفاع المطلوب سبب في إطالة المقال"[2].

وما يمكننا قوله هو أن التواصل هو التخاطب على الرغم من أنه قد توجد بعض الفروق بينهما ولكنها لا تصل إلى درجة تجعلهما متمايزين ومن هذه الفروق:

- أن التواصل يكون لغويًا وغير لغوي، أما التخاطب لا يكون إلا باللغة.
- التواصل يعتمد التفصيل في حين أن التخاطب يعتمد الإجمال أي يستغرق وقت أقل.

وفي الأخير يمكننا القول بأن العملية التواصلية تقتضي طرفين هما المرسل والمرسل إليه والمرسل قد يكون متحدثًا أو كاتبًا، والمرسل إليه قد يكون سامعًا أو قارئًا.

ومن هنا يتضح أن العملية التواصلية تقوم على أربع عناصر أساسية وهي الاستماع، الكلام، القراءة ، الكتابة.

فالاستماع والكلام يجمعهما الصوت الذي يحتاج إليه الفرد للتواصل مع الآخرين والقراءة والكتابة يجمعها الخط الذي بفضله يحفظ تراث الأمم، وينقل أفكار الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة.

---

[1]– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص237.

[2]– المرجع نفسه، ص217.

# الفصل الثاني: في الحجاج

المبحث الأول:في مفهوم الحجاج.

المبحث الثاني: الخطاب الحجاجي.

المبحث الثالث:أبعاد الكلام في الحجاج.

**تمهيد:**

يكتسي الحجاج اليوم أهميةً قويةً في "تحليل الخطابات بمختلف أنواعها، حيث يمنح الدارسين خلفيات نظرية عميقة وآليات مقاربة فعالة تسعفهم في فهم الخطابات وتفسيرها وتظهر كفاءة التحليل الحجاجي أكثر في كشفه لمقصديات الخطابات ولطرق اشتغال المقومات الاقناعية فيها، لهذه الأسباب انفتحت الدراسات العربية على الحجاج ونهلت من مدارسه واتجاهاته، كما اعتمدت أدواته الإجرائية في التحليل"[1].

ويتخذ الحجاج أشكالًا مختلفة وغير متوقعة، وهذا ما يجعل منه مبحثًا يتوزع بين "مباحث فلسفية وبلاغية واجتماعية متعددة المشارب والأهداف، وبما أن الحجاج يمثل لحمة التواصل الإنساني، فإننا نحتاج إلى فحص بعض المفاهيم الفلسفية الموجهة في الحجاج مثل التعارض بين الواقع والقيمة، ومثل العلاقة بين التفاعل والتبادل، ومثل العلاقة بين التضحية والجزاء ومثل العلاقة بين الفعل وفهم الفعل، يعالج هذا التصور الثقافي للحجاج ظواهر أهمها التصور المنطقي الصرف، صحيح أن مبحث الحجاج قد نحج في إعادة الاعتبار إلى الجدل والخطابة والشعر داخل المتن المنطقي الأرسطي لكنه حاول إخضاع ظواهر الحجاج للآليات الصورية نفسها التي يخضع لها القياس والاستدلال والفرق الوحيد يتمثل في توسيع متن البحث وإضافة الثوابت وأدوات الربط والاستنتاج اللغوية إلى الثوابت المنطقية المعروفة"[2].

والحجاج آلية تداولية حديثة، ولكن هذه الآلية تملك جذورًا ضاربة في القدم، ويذكر الباحثون أن أساطير الحجاج من أقدم الأساطير والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد إذ يحكى بشأن ذلك "أن صقلية كان يحكمها طاغيتان انتزعا الأراضي من أصحابها، لتوزيعهما على جنودهما، ولما أطاحت ثورة بالطغيان سنة **467 ق.م** طالب

---

[1]– عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش المغرب، ط1، 2017م، ص05.

[2]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج03، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص128.

المالكون باسترجاع أراضيهم المغتصبة، وأفضى ذلك إلى رفع قضايا لا نهاية لها، وهذه الظروف حسب ما يقال هي التي وضع فيها **كوراكس Curax** و**تيزياس Tizias** طريقة معقلنة للكلام أمام المحكمة، وتذكر حكايات أخرى ومصادفات مختلفة تحاول أن تضع بداية لولادة هذا العلم سواءً منها ما روي عند الغرب أو عند العرب، حيث يذكر أنه كان طريقة مبتدعة عند المعتزلة، وأنهم أول من مارسوا التفكير العقلي في معالجة المسائل الدينية، وعنهم أخذ **الجاحظ** طريقته في التفكير وعرض القضايا المختلفة"[1].

أما في العصر الحديث فقد كانت البداية من التقاسم المعرفي، الذي طبع هذا العصر ونتج عنه ظهور تحديات جديدة في مختلف الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية، حيث أصبح كلّ فرد يسعى إلى نشر دعوته من خلال الخطاب أو الكلمة التي تعدّ وسيلة من وسائل الإقناع، ويمكن أن نلحظ ذلك ضمن مجالات متعددة كالقضاء والسياسة وغيرها.

إنّ الحجاج نمط إقناعي حاضر في كل مكان من خلال حواراتنا اليومية ومناقشاتنا، وهذا ما دفع بالباحثين والمفكرين إلى وضع نظريات تعنى بالحجاج، انّطلاقًا من العملية الخطابية واصفةً أدواتها وتقنياتها محددة أغراضها وأهدافها.

[1]– ليلى جغام، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، دار النابغة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2015م، ص21.

## المبحث الأول: في مفهوم الحجاج.

ليست بالمهمة السهلة أن نضع حدًا وتعريفًا واضحًا للحجاج "في ظل تعدد استعمالاته وتمايز مرجعياته من حقل معرفي إلى آخر، كالقضاء والفلسفة والبلاغة وعلوم الكلام وغيرها من الحقول، ومن ثم أضحى من الصعوبة بمكان وضعه في إطار تعريفي واضح خاصة مع كثرة مرادفاته، أو التي عدّها كذلك معظم الدّارسين قديمًا وحديثًا، والتي اكتظت بها المعاجم اللغوية فضلًا عن عدد غير قليل من الدراسات الحجاجية"[1].

وقد سعى الباحثون في العصر الحديث إلى تأسيس نظريات خاصة بالحجاج "تستمد حدودها ووظائفها من مرجعية خطابية محددّة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية، وهذه المرجعية الخطابية كانت سببًا في تنوّع مضامين الحجاج، ولهذا نجد حجاجًا خطابيًا لسانيًا فقط، وحجاجًا خطابيًا بلاغيًا وآخر قضائيًا أو سياسيًا أو فلسفيًا"[2].

ومن هذا التعدّد كثرت التعريفات حول مفهوم مصطلح الحجاج، وللوصول إلى تعريف موحد من بين هذه التعريفات يخدم هذه الدراسة، سأتطرق في البداية إلى المفهوم اللغوي للحجاج ثم إلى مفهومه الاصطلاحي.

### أولا-المعنى اللغوي للحجاج:

### 1-مصطلح الحجاج في المعاجم العربية:

نتطرق في هذا الجزء من البحث للفظ الحجاج من حيث دلالته اللغوية عند علماء اللغة ولمعرفة الأصول الأولى لمادة **حَ.جَ.جَ** يجب علينا أن نتغلغل في بطون

---

[1]- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2015م، ص23.

[2]- حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1 2018م، ص79.

أمهات الكتب والمعاجم اللغوية العربية التي أسهبت الكلام في هذا الجذر الثلاثي، حتى يتسنى لنا ضبط دلالته اللغوية.

ففي لسان العرب وتحت مادة **حَ.جَ.جَ** نجد الكثير من المشتقات الفعلية والاسمية دالة على تنوع السياق اللغوي الذي يعكس سياقات ثقافية مختلفة وهي كالآتي:

**حجج:** "الحج: القصد. حجّ إلينا فلان أي قدم، وحَجَهُ حجا: قصده.

وحججت فلاناً واعتمدته أي قصدته ورجل محجوج أي مقصود.

**الأزهري:** ومن أمثال العرب: لجّ فحجّ، معناه لجّ فغلب من لاجه بحججه. يقال: حاججته أحاجه حجاجًا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجة: البرهان، وقيل: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة"[1].

والتحاج: "التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجًا: نازعه الحجة.

وحجّه يحجُه حجّا: غلبه على حجّته. وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة.

والحجّة: الدليل والبرهان. يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل.

ومنه حديث **معاوية:** فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة"[2].

تبين هذه التحديدات القاموسية أن لفظ الحجاج في مضمونه يحمل دلالةً ومعنى متمثلًا في النزاع و الخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج.

ولا بأس أن نستأنس بمعاجم لغوية أخرى حتى نعطي هذا المصطلح بما يحمله من دلالات ومفاهيم فقد جاء في **مختار الصحاح:**

الحجة "البرهان وحاجّه فحجه من باب ردّ أي غلبه بالحجّة. وفي المثل: لجّ فحجّ فهو رجل مِحجاج بالكسر أي جدل والتحاج التخاصم"[3].

وجاء في معجم **مقاييس اللغة لابن فارس** "حج الحاء والجيم أصول أربعة.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مج02، مادة:حَ.جَ.جَ، ص228.

[2]– المصدر نفسه، ص228.

[3]– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، مادة: حَ.جَ.جَ، ص52.

فالأوّل القصد، وكل قصد حج.

وممكن أن يكون الحجّة مشتقة من هذا، لأنها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب.

يقال حاججت فلانًا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج. والمصدر الحجاج"[1].

قال **الزمخشري:** "حجج: احتجّ على خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شهب، وحاجّ خصمه فحجّه وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجة"[2].

فالزمخشري حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظفر.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة للمدلول اللغوي لمادة **حَ.جَ.جَ** التي استفاضت في تفسيرها أمهات الكتب العربية واللغوية وما حملته من دلالات يمكننا القول بأن مادة **حَ.جَ.جَ** تفرعت منها معاني جزئية ثلاث:

"المعنى الأول: المحاج وهو صاحب الغلبة، الغالب، والثاني: المحجوج أي المغلوب والثالث: الحجج التي يتبادلها المتخاصمان"[3].

وهكذا فالتفسير اللغوي يبقى قاصرًا وضيقًا وتشوبه بعض النقائص لا يحوي مفهوم الحجاج لكونه علمًا قائمًا بذاته له أركانه وطرائقه.

**2-مصطلح الحجاج في المعاجم الغربية:**

جاء الفعل **arguer** في المعاجم الغربية بمعان عدة: **كالبرهنة، الاستنتاج، الجدال المعارضة.**

أما الفعل**argumenter** جاء يحمل دلالة الحوارية.

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج02، تح: عبد السلام محمد هارون،دار الفكر ، بيروت، لبنان، د.ط، 1979م، ص30.

[2]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج01، مادة: حَ.جَ.جَ، ص169.

[3]- سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، د.ط،2011م، ص14.

ومن الفعل **arguer**، والفعل **argumenter**، اشتق مصطلح الحجاج **argumentation** والتي تدل على معاني متقاربة كالتي استعملت في اللغة العربية حسب ما جاء في قاموس **روبير:**

"القيام باستعمال الحجج، مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة"[1].

ومما ورد في قاموس **oxford** أن الفعل **argue** يعني: **جادل، ناقش، دلّل، برهن، زعم.**

كما يشير لفظ **argue** إلى وجود اختلاف بين شخصين أو متكلمين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم جملة من الأسباب والعلل والحجج والبراهين التي تكون مع أو ضد فكرة ما.

ومن خلال ما ورد في الدلالة اللغوية لمصطلح الحجاج في المعاجم العربية والغربية، أنه ظهر رديفاً لمصطلحات أخرى منها: **الجدل، البرهان، النقاش، الاستدلال** تجمعها قضية مشتركة وهي: وجود فكرة محل خلاف، ووجود طرف يجابه بالحجة طرف آخر، لتكون نتيجة المحاجة هي الغلبة والإفحام لصالح أحدهما على الآخر.

**3-مصطلح الحجاج في القرآن الكريم:**

إذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد أن مصطلح الحجاج ذكر **عشرون** مرة موزعًا على سبع سور وهي كما أوردها صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم **محمد فؤاد عبد الباقي: سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة النساء، سورة الأنعام، سورة غافر، سورة الشورى، سورة الجاثية**، نوردها في الجدول التالي:

[1]- Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue française, Paris, 1989, p535.

| نص الآية | رقمها | السورة | تفسيرها |
|---|---|---|---|
| ﴿وَإِذَا لَقُوْا الذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ **لِيُحَاجُّوكُمْ** به عند رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. | 76. | سورة البقرة. | ليخاصموكم[1]. |
| ﴿قُلَ **أَتُحاجُّونَنَا** فِي الله وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمُ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾. | 139. | سورة البقرة. | في دين الله والمحاجّة: المجادلة لإظهار الحجة وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا، وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم[2]. |
| ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ **حُجَّة** إِلَّا الذِينَ ظَلَمُوا مَنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. | 150. | سورة البقرة. | أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين[3]. |
| ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي **حَاجّ** إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنَ أَتَاهُ الله المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَّا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَاتِي بالشّمس مِنَ | 258. | سورة البقرة. | هذا تعجيب من الله تعالى لرسوله كأنه يقول: هل رأيت مثل هذا أو كهذا؟ والمعنى ألم تر يا محمد |

[1]– مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، مج01، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص134.

[2]– المصدر نفسه، ص209.

[3]– عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص31.

| | | | |
|---|---|---|---|
| المَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَالِمِينَ﴾. | | | بقلبك إلى الذي خاصم إبراهيموجادله في ربه[1]. |
| ﴿فَإِنْ **حَاجُّوكَ** فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءاسْلَمْتُمْ فَإِنَ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِنَ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ واللهُ بَصِير بِالْعِبَادِ﴾. | 20. | سورة آل عمران. | أي إن جادلوك يا محمد في شأن الدين فقل لهم: أنا عبد قد استسلمت بكليتي لله وأخلصت عبادتي له وحده[2]. |
| ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ **تُحَاجُّونَ** فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. | 65. | سورة آل عمران. | اجتمعت نصارى نجران، وأحبار اليهود عند رسول الله صل الله عليه وسلم، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت ماكان إبراهيم إلا نصرانيا[3]. |
| ﴿هَآنْتُمْ هَؤُلَاءِ **حَاجَجْتُمْ** فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمُ فَلِمَ **تُحَاجُّونَ** فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِه عِلْمُ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. | 66. | سورة آل عمران. | ها أنتم يا معشر اليهود والنصارى خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم، الذي وجدتموه في كتابكم ولم تجادلون وتخاصمون في |

[1]– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج01، تح: محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط2، 1987م، ص82.

[2]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج01، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1981م، ص192.

[3]– جلال الدين السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، ج02، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ط، 2011م، ص235.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه[1]. |
| ﴿وَلَا تُومِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُوتَى أَحَد مِّثْلَ مَا أُوتِيتُم أَوْ **يُحَاجُّوكُمْ** عِنْدَ رَبِكُمْ قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ واللهُ وَاسِعُ عَلِيم﴾. | 73. | سورة آل عمران. | يقولون ولا تؤمنوا بمحمد ودينه، لئلا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الوحي، أو يحاجوكم عند ربكم أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم[2]. |
| ﴿رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ **حُجّةُ** بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. | 165. | سورة النساء. | لئلا يحتج الكفار فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسلا!! فقطع الله تعالى بإرسال الرسل كل مبطل ألحد في في دينه لتكون لله الحجة البالغة على جميعخلقه[3]. |
| ﴿وَ**حَاجَّهُ** قَوْمُهُ قَالَ **أَتُحَاجُّونِي** في اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. | 80. | سورة الأنعام. | وجادله قومه في توحيد الله، قال أتجادلونني في توحيدي لربي، وقد وفقني لمعرفة وحدانيته وبصّرني طريق الحق[4]. |
| ﴿وَتِلْكَ **حُجَّتُنَا** ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمُ عَلِيم﴾. | 83. | سورة الأنعام. | ذاك في الخصومة التي بينه وبين قومه والخصومة التي كانت بينه وبين نمرود[5]. |

[1]- أبو جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج01، ص109.

[2]- المصدر نفسه، ص110.

[3]- المصدر نفسه، ص183.

[4]- المصدر نفسه، ص237.

[5]- جلال الدين السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، ج03، ص310.

| | | | |
|---|---|---|---|
| ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا **حُجَّةَ** بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ المَصِيرِ﴾. | .15 | سورة الشورى. | أي لا خصومة لأنّ الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة[1]. |
| ﴿وَالذِينَ **يُحاجُّونَ** فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ **حُجَّتُهُمْ** دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾. | .16 | سورة الشورى. | يخاصمون في دينه[2]. |
| ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ **حُجَّتَهُمْ** إِلّا أَن قَالُوا ايتُوا بِئَابَآئِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. | .25 | سورة الجاثية. | أي ما كان متمسكهم في دفع الحق الصريح إلا أن يقولوا: أحيوا لنا آباءنا الأولين، إن كان ما تقولونه حقا سمّي قولهم الباطل حجة على سبيلالتهكم[3]. |

فالحجاج في القرآن الكريم عبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب والمفردات التي دلت على الحوار وهدفت إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية.

ولعل مجموع ما أمكن رصده من تلك المفردات هي: **الجدل، المخاصمة، التحاور المنازعة.**

---

[1]– أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م، ص976.

[2]– المصدر نفسه، ص976.

[3]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج03، ص187.

**ثانيا-المعنى الاصطلاحي للحجاج:**

حين نقارب مفهوم الحجاج لأول وهلة "يتضح أنه مفهوم عائم، يصعب حصره وتحديده داخل ركام هائل من الكتابات والمرجعيات النظرية، إذ نجده متواترًا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصر"[1].

فتحديد مفهوم الحجاج يختلف وتعريفه يتنوع "ولا غرابة في ذلك البحث واسع والعوامل التي تساعد في إنتاج الحجاج عديدة ومتراكمة ويضع له دارسوه محددين اثنين:

-الحجاج خطاب إقناعي: أي هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه، وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد، سواءً كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أو يقتضي فعلًا ما ومن ثمة فالمحدد الأول للحجاج لا يتعلق بالشكل اللغوي أو بمحتوى الخطاب ولكن بوظيفته الكلية، فالنص الحجاجي لا يمكن أن يعرف من خلال خصائص شكلية لغوية مثلما يفعلونه بالأشكال الخطابية الأخرى كالوصف والسرد، فالحجاج شكلًا من الأشكال الخطابية إذ أنه يمكن أن يتواجد مع الوصف أو مع السرد أو مع الشعر أو غيرهما"[2].

-ويعرّف الحجاج في محدده الثاني "بأنه بعد جوهري في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة نعمد إليها، لغويًا، وعقليًا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته، وهي تستمد خصوصيتها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه، ويعطيها الشرعية، وقد يكون هذا

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص06.

[2]- كورنيليا فون راد- صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، تحت إشراف فريق البحث في البلاغة والحجاج، برئاسة حمادي صمود، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، د.ط، 2003م، ص13.

الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر، والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدًا وتجريدًا"[1].

إن الحجاج هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضًا، وأساسًا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[2].

وللتوضيح نسوق الأمثلة التالية:

"أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.

إذا نظرنا في هذه الجمل، فسنجد أنها تتكون من حجج ونتائج، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة، فالتعب مثلًا، في الجملة الأولى، يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها، فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى الراحة ونقول الشيء نفسه عن المثال الثاني، فجمال الجو يدعو ويدفع إلى التنزه، ويعتمده المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى النزهة من أجل الترويح عن النفس، فالمتكلم يقدم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلًا لصالح النتيجة المقصودة"[3].

فالحجاج أيضا "عمل حواري ينهض على فكرة استمالة المتلقي عبر الخطاب أو إقناعه وفكرة الاستمالة هي هدف الحجاج عند **بيرلمان Perlman** و**تتيكاه Ttekeh**

---

[1]– ليلى جغام، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ص24.

[2]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج01، ص57.

[3]– المرجع نفسه، ص58.

ويهدف الحجاج إلى جذب المتلقي إلى فضائه فهذا يعني أنه يناهض بشكل واضح الجبر أو الإذعان، كما أنه يقف على النقيض من فكرة المناورة والمغالطة"[1].

وإذا تعاملنا مع الحجاج من منظور حواري عقلي، فإنه "نشاط لغوي واجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية وجهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ وذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة أمام قاض عقلاني"[2].

ومن أبسط التعاريف اللسانية للحجاج كونه "فعلًا لغويًا أو عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع، الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح"[3].

هذا التعريف يجعل من الحجاج ذا ميزة اجتماعية كونه لا يخص فردًا واحدًا وإنما يتجه نحو جماعة متنازعة، وهو يدخل في مجال النشاط القولي مستبعدًا الطرائق غير اللغوية وبعبارة أخرى "فإن دراسة الحجاج أخذت تهتم باستراتيجية الخطاب الهادف إلى الأسر والاستمالة استنادًا إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية"[4].

الحجاج "هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معًا وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية"[5].

---

[1]– محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2013م، ص12.

[2]– باتريك شاردو، دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، 2008م، ص70.

[3]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج03، ص270.

[4]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2006م، ص67.

[5]– محمد الولي، مدخل إلى حجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد02، المجلد40، أكتوبر–ديسمبر، 2011م، ص11.

إن الحجاج هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[1].

وعلى ذلك فإن المقصود بالحجاج هو "علم يدرس أشكال ووسائل التأثير في المتلقي التي في إطار النص اللغوي أو في الإطار السيميائي العام بهدف الإقناع بفكرة ما، أو الدفاع عن فكرة ما، أو الهجوم على فكرة ما، للوصول إلى الاقتناع أو الإفحام"[2].

وضمن هذه المحددات تأتي جملة من تعريفات الحجاج بوصفه نمطًا من أنماط الخطاب من ذلك أنه: "كل منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصومة يحق ّ له الاعتراض عليها"[3].

وأنه: "طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوي المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات، واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك"[4].

وانطلاقًا من هذين التعريفين العامين للحجاج تأتي بعض التعريفات المرتبطة بنظريات حجاجية معينة، ويلاحظ أنه هناك نوعين من الحجاج في النظريات المعاصرة "حجاج عادي عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية من أجل الإقناع وهذا الحجاج ارتبطت فيه البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، وحجاج لغوي يعتمد على الروابط اللغوية في الإقناع والمحاجة"[5].

---

[1]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م، ص16.

[2]– جمعان بن عبد الكريم الغامدي، الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، مجلة دورية علمية محكمة نصف سنوية، العدد العاشر، ماي 2013م، ص286.

[3]– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226.

[4]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج04، ص04.

[5]– أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016م ص22.

يمثل الاتجاه الأول، منظّران من أصحاب مدرسة البلاغة البرهانية هما: **بيرلمان** و**تتيكاه** اللذان عرّفا الحجاج انطلاقًا من موضوعه بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1].

أما الغاية من الحجاج عندهما "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب انجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقلّ في جعل السامعين مهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[2].

ويمثل الاتجاه الثاني كل من **ديكرو Decro** و**أنسكومبر anskumibir** و**بلانتان Blantan**، من أصحاب التصوّر اللساني التداولي للحجاج فقد قالا: "إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولًا ق1، يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2، إن ق1 يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2 ويكون هذا قولًا صريحًا أو ضمنيًا، وإذن فالحجاج عندهم: هو عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواءً كانت النتيجة مصرّحًا بها أو مفهومة من ق1"[3].

ويفرق الباحثان **ديكرو** و**أنسكومبر** بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، ويعني الحجاج بمعناه العادي "طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعًا فعالًا، أما الحجاج

---

[1]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص107.

[2]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص13.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة تونس، ط1، 2001م، ص33.

بالمعنى الفني، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالي"[1].

أما **بلانتان** فيعرف الحجاج بأنه "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات عند مخاطبيه بواسطة الوسائل اللغوية"[2].

فالحجاج "آلية تواصلية هدفها الإقناع، وهو من ثم يقع في دائرة التداولية، باعتبار أن الخطاب الحجاجي لا يمكن تصوره إلا في وضع يشغل الإنسان من خلاله كل مكتسباته في وضعية تواصلية معينة ضمن شروط التداول: مكونات السياق التواصلي ويظهر قدرته على التكيف مع تلك الوضعية، بمعنى أنه لا يمكن تصور الحجاج إلا ضمن وضع كلي له خاصية التركب، وتتجلى فيه في الوقت نفسه النوايا المبيتة في التأثير في المتلقي وكسبه إلى جهة الموقف المطروح والفكرة المتبناة من قبل المتكلم"[3].

ينتمي الحجاج "إلى عائلة الأفعال الإنسانية التي تهدف إلى الإقناع، إذ العديد من الوضعيات التواصلية تستدعي وجود شخص، مرسل إليه، أو جمهور يتبنى سلوكًا معينًا أو يقتسم وجهة نظر معينة"[4].

من هذه التحديدات الاصطلاحية للحجاج، يمكن أن ندون عددًا من الملاحظات:

"– الحجاج حشد من الأساليب اللغوية والبلاغية التي يستثمرها المحاجج في الإقناع والتأثير.

– غاية الحجاج تأسيس موقف جديد، أو نقض موقف قار في ذهن المتلقي.

---

[1]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م ص21.

[2]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج04، ص78.

[3]– نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، ص129.

[4] – Philippe breton, l'argumentation dans la communication ,3ème édition, la découverte, Paris 2003.P3.

- تعزى نجاعة الخطاب الحجاجي في مرحلة من مراحله إلى الترتيب المنطقي في عرض الحجج **الأساليب اللغوية** فبقدر ترابطها وتسلسلها، تتحدد درجة مقبوليتها لدى المتلقي، ودرجة إذعانه وتسليمه بها"[1].

وخلاصة ما تقدم ذكره يتبين أن الحجاج جنس من الخطاب يبنى على قضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالحجج والبراهين والأدلة، عبر سلسلة من الأقوال مترابطة ترابطًا منطقيًا، قاصدًا إلى إقناع الآخر بهدف التأثير في موقفه وسلوكه تجاه تلك القضية.

**ثالثا-الإقناع وعلاقته بالحجاج:**

ليس غريبًا ولا بعدًا في موضوعنا أن نفرد الكلام عن ذلك العضو المهم والآلة الخطيرة ذاك لأنّه بحق ذو أثر كبير في حياة كل إنسان، وإن اختلفت اللغات بينهم فالناس صناديق مغلقة وأقفالها ألسنتها.

ولنا بعض الوقفات التي نستدل بها ونوضح فيها أهمية اللسان وأثره في المعاملات الخاصة والعامة، ونرى عند أول وقفة مع سورة **ص** الشيء الكثير، إذ "يحتكم إلى نبي الله **داود** عليه السلام خصمان، أحدهما شريك ومخالط للآخر في شياه ونعاج فكان من أمر الشركة أن انتهى الأمر بينهما بأن يكون لأحدهما نعجة واحدة، وللآخر تسع و تسعون نعجة، فيقهر الثاني الأول ويغلبه بقوة لسانه، وقدرته على الخطاب والمجادلة حتى يذعن الأول للثاني على الرغم من وضوح حقه وبيانه، فاختصما إلى نبي الله **داود** فقال المظلوم والمغلوب: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابْ﴾*"[2].

---

[1]- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص27.

* القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة ص، الآية، 23.

[2]- طه عبد الله محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط د.ت، ص203.

يقول أهل التفسير: أي أنه غلبه وقهره في الجدال والمخاصمة والقدرة على الاحتجاج[1].

فبيت القصيد من هذا الاستشهاد اعتراف الأول بأنه كان عاجزًا عن أخذ حقه من شريكه الظالم، وسبب عجزه هو ضعف لسانه وقصور بيانه في الدفاع عن حقه وقلة بضاعته في أسلوب الخطاب.

وفي قصة سيدنا **موسى** عليه السلام مع **فرعون** ندرك من خلال القصة مكانة اللسان في الإنسان، وخصوصًا إن كلف بمهمة دعوية أو فكرية أو دينية أو إصلاحية فهذا **موسى** عليه السلام يدعو ربّه، بعد أن أمر بالذهاب إلى **فرعون**، أشياء حدثنا عنها القرآن الكريم وهي: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِّسَانِي. يَفْقَهُواْ قَوْلِي. وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي. هَرُونَ أَخِي﴾[2].

هنا ومع الآية الأولى والثانية التي دلتنا على انشراح الصدر للأنبياء والمرسلين والذي يعني سعة الصدر لتحمل الرسالة ورديء الأخلاق من فرعون وجنده، وأنّ الله قد منّ عليه من العلوم والحكمة، وهذا الطلب الأول مازال داخل سيدنا موسى ولا يعلمه إلا الله، إذ لا يعرف علم العالم وفقه الفقيه وما فتح عليه من العلوم حتى يتكلم لسانه.

ثم ننتقل إلى الطلب الثاني من دعاء سيدنا موسى، فنجدها تعالج أمرًا داخليًا في نفسه وذاك في قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

إن سيدنا **موسى** على الرغم مما آتاه الله تعالى من معجزات إلا أنّه طلب قوةً إضافية يعزز بها ما أوتي من فضل، فإنّه لم يكتف بهذا القدر من فضل ربّه "إنّما زاد على ذلك أن يكون معه أخوه **هارون** عليه السلام، وذلك ليكون عضيدًا وقوة إضافية، لا لحمايته من جنود فرعون وسيوفهم، إنّما قوةً ودرعًا للسان، الذي له دوره وفاعليته

---

[1]- ينظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج03، تح: سيد زكريا الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، 2013م، ص1008.

[2]- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة طه، الآية 25-30.

في خطاب الطاغية المتكبر **فرعون**، فجاء التعزيز لما له شأن وخطر في أداء مهمته، ذاك أن **موسى** عليه السلام يعلم بفصاحة أخيه وقوة لسانه"[1].

وفي العصر الحديث، عصر التقدم والتكنولوجيا، اهتم العلماء بعلم الصوت والكلام اهتمامًا كبيرًا "إذ أنشئت الدول و الجامعات والكليات التي تعنى بهذا الأمر، وإن أردنا الخوض فيما وصل إليه علم الصوت وما فيه من نظريات وتطبيقات طال بنا المقام، إلا أنّنا نكتفي بالإشارة إلى اهتمام الدول المتقدمة بذلك اللسان اهتمامًا فائقًا، فمسألة تربية الصوت وفن الإلقاء في عصر الحضارة والتقدم غدت منهجًا تدرسه وتؤكد عليه الجامعات العالمية كافة لطلابها الذين تعدهم لقيادة العالم وسياسته، كي يكونوا ناجحين في حياتهم متكاملين في شخصيتهم، مؤثرين في غيرهم"[2].

ولهذا يعدّ الإقناع مقصدًا من مقاصد الخطاب الحجاجي للتأثير في متلقيه واستمالتهم إلى فعل معين انطلاقًا من القضية الخلافية التي تكون بين المرسل والمرسل إليه، فهو ضرورة منهجية أي الإقناع يتطلبها الحجاج، لأنه يرتبط بالسياق التخاطبي وبالمرسل إليه في الوقت نفسه، فهو محاولة واعية من المرسل للتأثير في المرسل إليه. تحدث **ميشال ماييرMichlle Meyer** أحد منظري نظرية الحجاج عن علاقة الحجاج بالإقناع حيث عرّف الحجاج بأنه جهدًا إقناعيًا افحاميًا، معتبرًا بأن الحجاج له بعد جوهري في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه.

وعلى هذا الأساس يصبح الحجاج له بعد جوهري في اللغة ذاتها، فحيثما وجد خطاب اللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة نعتمد عليها لغويًا وعقليًا، إما لإقناع أنفسنا أو غيرنا وهذه الإستراتيجية تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس.

---

[1]– طه عبد الله محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص205.

[2]– المرجع نفسه، ص205.

إن الإقناع آلية معتمدة في كل خطاب وهو عملية كلامية وآلية منهجية يهدف إلى التأثير العقلي والعاطفي في المرسل إليه، لاستمالته لفعل معين، ويتحقق هذا الفعل الإقناعي باعتماد جملة من البراهين والأدلة والحجج التي تتلاءم مع السياقات الخطابية ومع طبيعة المرسل إليه لأن غاية الوظيفة الحجاجية هي "حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"[1].

إذًا علاقة الحجاج بالإقناع تتجسّد أساسًا في أنّ أهميّة الحجاج تكمن فيما "يولّده من اقتناع لدى المرسل إليه الذي لا يتأتى له إلاّ باستعمال اللغة، مما يؤكّد أنّ نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلم عامّة بقصد التأثير، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجيّة"[2].

وبهذا فإنّ المرسل لا يعمد من خلال الحجاج إلى مجرّد إثارة انفعالات المرسل إليه أو دغدغة أحاسيسه وعواطفه، أو التحايل عليه، بل يهدف إلى إقناعه واستمالته حتى لا يكون أثر الحجاج سلبيًا.

وهذا ما يجعل من الإقناع جهدًا لسانيًا مؤسس على مقاصد واستراتيجيات مسبقة تعتمد مخططًا يهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه تبعا للسياق المحيط بالخطاب الحجاجي.

ومن أجل تحقيق الفعل الانجازي من عملية الإقناع، كان من الضروري توفر كفاءة اقناعية لدى المرسل، وهي ناشئة من مهارات يمتلكها هذا الباث وأهمها:

"– مهارة التحليل والابتكار.

- مهارة التعبير والغرض المنظّم للأفكار.

- مهارة الضبط الانفعالي.

---

[1]– سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م ص21.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2003م، ص457.

- مهارة فهم دوافع نقد الآخر وغياب هذه المهارات يؤثر سلبًا في قدرة المرسل إليه، كما يؤثر أيضًا في مدى اقتناع المرسل إليه بمقاصد الحجاج، وقد تصدر عنه ردود أفعال عكسية لم تكن في حسبان المرسل، وهذا ما يؤدي إلى نتائج غير مرجوّة من العملية الحجاجية أثناء التواصل، لذا فإن المرسل مطالب بامتلاك هذه الكفاءة الاقناعية وما تتطلبه من مهارات، إضافة إلى ذلك وجود تهيئة نفسية وسياقية مسبقة للمرسل إليه كي يتقبل الحجج والأدلة التي تفضي إلى النتائج المرجوة"[1].

وإذا كانت النصوص السابقة لا تفرق بين الإقناع والحجاج، وترى أنهما متلازمان في أي وحدة خطابية، وأنهما مرتبطين ارتباط الوسيلة بالغاية، ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد، إذ يولي الحجاج الدّعاوي المنطقية أهمية خاصة، أما الإقناع فإنه ينعكس على التوكيد الذي يبطل ضده، و هناك من يفرق بينهما "على اعتبار أنّ الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة، مما لا يدع مجالًا لإعمال العقل ولحرية الاختيار"[2].

وهناك فرق آخر وهو أن "الإقناع يقصد التأثير في مستمع سلبي، بينما الحجاج يشرك مستمعًا فعالًا ونشيطًا في عملية البحث عن الأفضل، ذلك أنه فضاء للحوار والنقاش مع الآخر، لا فضاء للإلزام والإرغام"[3].

وخلاصة القول إن الحجاج والإقناع متلازمان، إلا أن الفاصل بينهما يكمن في طبيعة نتائجهما "فالحجاج هو محاولة المرسل إقناع المرسل إليه، أما الإقناع فهو محاولة المرسل إقناع نفسه بما يعتقد، لينقله إلى المرسل إليه ويثبته في ذهنه أو معتقده أو سلوكه"[4].

---

[1]- حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص97.

[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص15.

[3]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج03، ص346.

[4]- حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص99.

فالحجاج يطمح إلى عرض القضايا بطريقة منطقية مرفوقة بالبراهين والضمانات أما الإقناع فإنه يسعى إلى دحض الآراء واقتراح البدائل، والسعي إلى التأثير في المتلقي وتعديل موقفه.

**رابعا-الحجاج والجدل:**

يعيش الإنسان في عالم يدفعه دفعًا إلى ملاقاة الآخرين ومواجهتهم والتواصل معهم ومدّ الجسور إليهم، وإذا كان الأصل في الاجتماع "أن يحصل البيان لتتكشف الحاجات وتقوى الأسباب وترفع الشبهات وتداوى الحيرة وتعالج معضلات الأمور، فإن الحاصل هو أن البشر متى اجتمعوا وتخاطبوا اختلفوا واحتجوا احتجاجًا يضحي معه إظهار الحق أمرًا عسيرًا وتحقيق التواصل مطمحًا عصيًا، لأن المتخاطبين عامة، المشاركين في الحوار والمعرضين عنه، والمكتفين بالإصغاء والمحرّكين لدواليبه، مختلفون طباعًا وأهواءً ومشاعر وعقائد وأفكارًا، متباعدون مراتب، متفاوتون حظًا من العلم والأدب وقويم الخلق والعمل"[1].

فالناس منهم المتعاون ومنهم المناور، ومنهم الهادئ والمنفعل، ومنهم من يغفر الهفوة ومن يرصد الزلة، ومنهم الحليم المتسامح ومنهم السالك مسالك التشنيع، هذا دأب الناس جميعهم "بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم، وضد لضد وإن لم يعقلوا عدم، ينشأ بينهم الاختلاف فتنفتح أبواب الحوار والنقاش والجدل ويشتد فتنشأ الخصومات ويكثر الإدّعاء والاعتراض والدّعم والدّحض والإثبات والنفي، أو يخفت حيناً فهم إلى تآلف وانسجام وسكون وسلام، وهم في الحالات جميعها يتداوون بالذي كان هو الدّاء، منتقلين من وفاق إلى طلاق، ومن تلاق إلى افتراق، يتجادلون ويحاجون لمحو أسباب الخلاف أو قد يكونون في تناغم وانسجام حتى إذا ما تجادلوا هلكوا، فالجدل من هذه

[1]- عبد الله الهامل، الحجاج الجدلي، ط1، 2013م، ص07.

الجهة بعد من أبعاد الإنسان وميزة من ميزاته وطبع غالب عليه ولهذا نسب الإنسان إلى الجدل واشتهر به وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا"[1].

فمادة **جدّل** في اللغة العربية تدور حول مراجعة الكلام وامتداد الخصومة كما هو الشأن عند **ابن فارس** والجدل عند **ابن منظور** هو طريقة في المناقشة والاستدلال.

وتعرضت كتب التفسير إلى بيان آلية الإقناع في الخطاب القرآني وتفسير دلالة لفظتي **الحجاج** و **الجدل** من خلال مدونة القرآن الكريم أشار إليه **محمد الطاهر بن عاشور**، فقد قال في شأن **حاج** وما اشتق منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[2].

"ومعنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى مع أنّ حاج لا يستعمل غالبًا إلّا في معنى المخاصمة"[3].

وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله عز وجل ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[4].

"والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[5].

---

[1]– عبد الله الهامل، الحجاج الجدلي، ص07.

[2]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية 258.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج03، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م، ص32.

[4]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة النساء، الآية، 107.

[5]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج05، ص194.

وجاء في موضع آخر المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ اِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البُشْرى يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[1].

وتكون في الشر كقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى الَحجِّ﴾[2].

إنّ الجامع بين معنييّ اللفظين "هو المخاصمة، لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادةً كما أشار إلى ذلك **ابن عاشور** معتمدًا مدّونة القرآن، في حين أنّ الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل كما يفهم من شاهدي القرآن المذكورين ضمن قول **ابن عاشور**"[3].

فالجدل هو نوع من الحوار والمناقشة دائم الصراع والخصام والنزاع الكلامي يهدف لتحقيق الغلبة بإظهار الاتجاهات والمذاهب والآراء، من أجل إحقاق حق أو إبطال باطل أو من أجل إبطال حق وإحقاق باطل، وهذا يتوقف على براعة المتجادلين وما يستندون إليه من أدلة وحجج.

ومهما يكن من أمر فإن الحجاج والجدل يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء فقد تعرضت كتب علوم القرآن مثل: **البرهان في علوم القرآن للزركشي** وكتاب **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي** لجدل القرآن باعتباره علمًا من علومه، وتقيم لفظة **الحجاج** مقام الجدل وتسد مسده.

ونجد في كتاب **المنهاج في ترتيب الحجاج لـــ: أبا الوليد الباجي** أنه استخدم في العنوان لفظة **الحجاج**، لكنه في المقدمة ذكر بأنه كتاب في **الجدل**.

وتشير الدراسات إلى أن الحجاج أوسع في دلالته من الجدل "فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلًا "[4].

---

[1]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة هود، الآية، 74.

[2]– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية، 197.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص11.

[4]– المرجع نفسه، ص17.

فالحجاج كما أشرنا سابقًا هو عرض للرأي مع تقديم الأدلة والحجج بغرض الإقناع والجدل هو المخاصمة، ويكون في الباطل كما يكون في الحق.

**خامسا-التواصل والحجاج:**

إنّ التواصل يعتمد على تبادل الأدوار بين المتكلم والسامع بسنن معين يضمن بينهما التفاعل، فتواصلنا ليس من أجل لا شيء، ولكن من أجل أن ننتج معرفة مشتركة.

من هذا المنطلق كان الحجاج شكلًا من أشكال التواصل والتخاطب والحوار كون هذا الأخير "ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق محايث لنظام اللغة الداخلي ومنفتح على العالم الخارجي ومرتبط بدواعي القول"[1].

فالحجاج إذًا ظاهرة اجتماعية لأنّ موضوعاته تمس كل القضايا التي تدخل في إطار المعرفة الإنسانية، وعليه كان التواصل هو جوهر العملية الحجاجية.

يقال بأن لفظ الحجاج لا يدور على الألسن مثلما يدور عليه لفظ التواصل ولو أنه لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل فمثلًا لو قال قائل: "اعلم أن الشرق مهد الحضارة، فإن السامع الذي لا يعلم بمضمون هذا القول، قد لا يسلم له ذلك فيطالبه بأن يثبت صدق قوله، قد يقول هذا القائل: لقد ضم الشرق أقدم مراكز الحضارة وأكثرها عددا فيعد جوابه هذا إثباتًا للقول الأول، وكل إثبات هو حجة القائل"[2].

فالحجاج يحاول أن ينقل معارف معينة هدفها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك للتعامل مع المواقف، بغرض الإقناع وليس إثراء معارف المتلقي.

أما التواصل يبنى أساسًا على نقل المعارف بين المتكلم والمتلقي، فالحجاج هو عالم يتفاعل فيه كلا الطرفين لفهم الكثير من القضايا، وهكذا يصبح الحجاج ممارسة

---

[1]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص55.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص255.

خطابية ذات فاعلية تواصلية، تثير الطرف الآخر، وتستميله حتى يتحسس ذلك الأفق الأصفى من الحياة فالأصل في الحجاج أنه "نشاط إقناعي خطابي، يقوم على الاعتقادات والوقائع، ذو كفاية نصية وسياقية، يشتغل كاستراتيجيات توظف العوامل الذاتية، والقدرات الخطابية، ليحقق النجاح والفعالية"[1].

ثم إذا كان الكلام أصل كل عملية تواصلية بين المرسل والمرسل إليه فهو يقف على قصدين اثنين هما قصد التوجه به إلى المرسل إليه وقصد إفهامه، ولما كان الحجاج خطابًا إقناعيًا هدفه التأثير في الآخر لبناء موقف معين أو تغيير سلوك ما، استدعى ذلك وجود قصدين حواريين هما قصد الإدعاء وقصد الاعتراض.

فقصد الادعاء يرتبط بالمرسل الذي يدعي أمرًا ويكوم مستعدًا له تمام الاستعداد لتبرير موقفه، وأما قصد الاعتراض فيرتبط بالمرسل إليه الذي له حق المطالبة بالأدلة والبراهين من قبل المتكلم على صحة إدعائه.

ومن فقد هذا الحق فيكون إما دائم التسليم بما يدعيه المتكلم وإما عديم المشاركة في مدار الكلام[2].

ويمكن القول: إن العلاقة الخاصة التي تجمع بين التواصل والحجاج هي علاقة عموم وخصوص مشتركة بين طرفين، ولما كان الحجاج فعالية تواصلية تسعى إلى التأثير في الآخرين، فإن الذي يحقق نجاح هذه الفعالية التواصلية مجموعة من القوانين والاستراتيجيات هي:

- تقسيم الألفاظ إلى جميع معانيها، وتحديد المعاني الملائمة والصادق عنها.
- وجود مفاهيم وأفكار ورؤى مشتركة بين الناس تبنى على حدود قوية وصحيحة.
- إعطاء بعض القضايا صفة العموم، لأن كثيرًا من القضايا تفقد معانيها وحجيتها إن تم تداولها على نحو خاص.

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص170.

[2]- ينظر: محمد القاسمي، دراسات معاصرة في اللغة والأدب والتواصل، ص123.

- الابتعاد عن استخدام كل قول غامض متعدد الدلالات.

الحجاج استراتيجية تواصلية تسعى إلى التأثير في الآخرين، وذلك بالاعتماد على أنماط حجاجية تكون في شكل أفكار وآراء، ليصبح الحجاج نظامًا تواصليًا وسيلته اللغة، وغايته الإقناع.

فمفهوم الحجاج يقترب من مفهوم التواصل بحيث يصبح المفهومان معًا تداوليين وبالتالي يصعب التفريق بينهما: وهذا ليس من الناحية التعريفية التي قدمت لهما وإنما في مجال استخدامهما.

**سادسا-الحجاج والتداولية:**

يرى الباحثون أن الحجاج ظاهرة متجسدة في العملية الخطابية وبها يتحقق فالحجاج ملتقى تتقاطع فيه مقاربات متباينة أشد التباين، منها اللسانيات، والأسلوبية والتداولية والبلاغة.

ويعتقد البعض أن دراسة الحجاج في الخطابات اللفظية هو شأنه شأن التداولية ولهذا الاعتقاد ما يبرره، إذ نجد أن العملية الخطابية الحجاجية تخضع ظاهريًا وباطنيًا لشروط القول والتلقي، التي تبرز فيها مكانة القصدية والتأثير والانفعالية.

ذهبت الباحثة **أرمينيكو فرانسواز Armenico Franoise** إلى القول: إن التداولية كبحث في طريق ازدهاره لم يتحدّد بعد في الحقيقة، ولم يتفق الباحثون بعد فيما يخص تحديد افتراضاتها، واصطلاحاتها.

وعلى الرغم من تشعب وتداخل اختصاصات التداولية حاولت **أرمينيكو فرانسواز** الإجابة عما يلي:

من يتكلم؟ وإلى من؟

ماذا تقول بالضبط حين تتكلم؟

كيف تتكلم بشيء وتريد شيئا آخر؟

فالإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي استحضار مقاصد الكلام وأفعال اللغة وبعدها التداولي فالباحثة تحاول أن تستعلم المرسل والمرسل إليه، ثم عن نوع الخطاب، ثم كيف نوظف الأشكال البلاغية من استعارة ومجاز وكناية وغيرها.

فالتداولية منهج من من مناهج دراسة اللغة لها أسسها ومفاهيمها، فهي ضرورة في كل تحليل لغوي، لأنها تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي للعملية التخاطبية بين الأفراد، واقفة على أغراض القائل المقامية محددة معنى الكلام المنطوق في موقف معين أو في مقام محدد.

توازيًا مع التداولية نجد أن الحجاج واحد من الخطابات وفاعلية لسانية يستمد معناه ووظائفه من مرجعية خطابية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلي.

فالحجاج تقنية من تقنيات الخطاب والخطاب مبحث من مباحث التداولية والتداولية تهتم بجميع عناصر العملية التواصلية لأنها تدرس اللغة وهي تؤدي وظيفتها التخاطبية قائمة على التفاعل بين أطراف الخطاب المختلفة، واللغة وسيلة تواصلية تقوم على الربط بين أطراف النشاط اللغوي، وكيفية استعمال العلاقات اللغوية بنجاح، والسياق المقامي الذي ينجز ضمنه الخطاب، كما تبحث عن الأسباب التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية ناجحة.

ولهذا فإن العملية الحجاجية في منظور التداولية هو العملية الحوارية وما تتطلبه هذه الأخيرة من عمليات حجاجية تتنوع وتتباين بتباين أنماط العملية الحوارية، وهذا ما دفع بـــ: **طه عبد الرحمن** إلى أن يسلم بأن الحوارية تنقسم إلى: الحوار، المحاورة التحاور وكلها تخضع إلى منهج حجاجي استدلالي وآلية خطابية وشواهد نصية وبنية معرفية.

ومن هنا فإن الدراسات التي تناولت العملية الخطابية الحجاجية، قد تمحورت حول الميكانيزمات والآليات التي تضمن نجاحه وفعاليته، وقد تجسّدت هذه الآليات في عدة مستويات أهمها:

مستوى أفعال اللغة المتداولة، حيث يمكن التوسع الذي عرفته الأفعال الكلامية من إدراج الحجاج فيها، بعد أن كانت الأفعال اللغوية أو أفعال الكلام عند **سورسل sursil** و**أوستين Austin** تعتمد على الأفعال اللغوية البسيطة ثم المركبة، أي برد وظائف الجملة إلى الفعل الكلامي الذي يعتبر عندهم مختصًا بالجملة "أمّا الحجّة فهي فعل لا يتعلّق بالجملة الواحدة أو حتّى بمجموعة من الجمل المنتظمة فيما بينها وإنّما تتعلق بحقيقة خطابية هي النّص ولهذا لا تنفع الأفعال اللّغويّة البسيطة الخاصّة في وصف البنية التّنظيميّة، لأنّ الفعل الحجاجي يقتضي بموجب خاصيّته التّنظيميّة الحجاجيّة أن توضع له مقولات متميّزة تكون مستقلّة عن مقولات وقواعد هذه الأفعال اللّغويّة البسيطة الدّاخلة في تركيبه، وتكون حاكمة على هذه الأفعال اللّغويّة لا محكومة بها"[1].

من هنا يتضح قصور نظرية الأفعال اللغوية في وصف البنية التنظيمية الحجاجية مما يتعين إغناء هذه النظرية بإعطاء الأفعال الحجاجية خاصية تنظيمية مستقلة عن قواعد الأفعال اللغوية، ووضع مقولات وقواعد أخرى تكون حاكمة على هذه الأفعال لا محكومة بها لنتجاوز بها النظرة البسيطة لأفعال الكلام، إلى وضع آليات استراتيجية تحكم الخطاب ككل يكون فيه الحجاج أعمّ.

الحجاج آلية حوارية تداولية تنظيمية، تدير الخلاف في إطار تناوب حواري تعاوني تخضع فيه الحجج للنشاط الكلي للأفعال اللغوية.

[1]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص104.

## المبحث الثاني: الخطاب الحجاجي.

### أولا-الحجاج في السياق اليوناني القديم:

#### 1-الحجاج عند السفسطائيين:

من الصعوبة بمكان تحديد المدة الزمنية التي ظهر فيها تيار الفكر السفسطائي لكن يمكن لنا أن نحدد القرن الخامس قبل الميلاد زماناً لظهور هذا التيار في العالم الإغريقي وقوي بأثينا هذا إن سلمنا أن الاشتقاق اللغوي للكلمة جاء من **سوفيستاس sophistes** "كانت في الأصل لقب تقدير، هي تعني في معناها الاشتقاقي الحكيم والرّجل ذا الكفاءة المتميّزه في كلّ شيء"[1].

فضياع أغلب كتب السفسطائيين والحقائق التاريخية من خصومهم يصعب على الدارس الولوج إلى تاريخ ظهور التيار السفسطائي.

فالسفسطائية تيار فلسفي، تميز أصحابه، بالكفاءة اللغوية، وبالقدرة الجدلية، وقد كان لهم الدور الكبير في تطوير البلاغة والخطابة القولية التواصلية والحياة الفكرية عامة فأخذوا على عاتقهم تطوير البلاغة والخطابة من خلال تكوين الخطباء وقدرتهم على النقاشات والمجادلات التي يدخلون فيها، فاهتموا بجماليات الكلام والمادة البلاغية وفنون الحوار وصولًا إلى اللغة الإقناعية "فقد دشنت السفسطائية الوعي المستمر بعالم يمكن أن يكون متعلقًا باللغة، ولم يكتف السفسطائيون بأن يكونوا منظرين أو مفكرين وإنما اختاروا أن يكونوا معلمين محترفين غرباء، متنقلين، يتاجرون بحكمتهم وثقافتهم وقدراتهم، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا أشخاصًا لهم قوة، يعرفون كيف يقنعون القضاة، وكيف يغيرون رأي الجموع وكيف يؤدون المهام على أفضل وجه، وكيف يصنعون القوانين لمدينة جديدة"[2].

---

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، د.ط، د.ت، ص 54.

[2]- فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011م، ص23.

وكان **بروديكوس دوسيوس Prodicoc de Ceos** وهو أحد أشهر الفلاسفة السفسطائيين يذهب من مدينة إلى أخرى لإعطاء الدروس يروي جان فوالكان **Jean voliquin** "أنه كان يطلب خمسين دراخمة للدرس الكامل عن ملائمة المصطلحات في الأسلوب ودراخمة واحدة للدروس المعدّة للاستخدام الشعبي العام، لم يكن عالمًا ولا فيلسوفًا، لقد اكتفى بأن يكون بارعًا في فن الكلام، لقد اتخذ تخصصًا في مسائل المفردات والنحو، وهي جزء مهم من البلاغة التي كان يعلّمها"[1].

فالسفسطائيون يرون أن الحجاج لونًا من ألوان اللعب باللغة، وجاءت ممارستهم للحجاج بهدف النفعية القائمة والمؤسسة على فكرة اللذة لذة " السماع، والقائل، لا الخير"[2] ولذة الظفر عند الخصومة ودحض حجج الخصم وإقناعه.

وكان للسفسطائيين الدور الفعال في ممارسة الخطاب الحجاجي، وساعدهم على ذلك براعتهم في الجدل والحجاج ويرون "أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر، وذلك لإيمان هذه الطائفة بأن الحقيقة ليست شيئًا موضوعيًا قائمًا بذاته، بل هي شيء نسبي، والإنسان هو مقياس كل شيء"[3].

كما استعملوا الإثارة العاطفية وأغاليط القياس وألوانًا من الحجاج والإقناع لدحض الخصم. لقد ألّف السّفسطائي الصقلي **كوراكس Curacas** بمساعدة تلميذه **تيزياس Tizias** أول خطابة في تاريخ الغرب سماها **بارت:** الخطابة الكوركاسية **la rhetorique coracienne**[4].

وألف **كوراكس** كتيبًا مفقود من ذلك الوقت، وجهه في الأساس إلى الكتاب الذين امتهنوا كتابة الخطب والمرافعات، قدّم فيه مجموعة من الآليات التي تساعد على

---

[1]– فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص24.

[2]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص26.

[3]– محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006م، ص154.

[4]– ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص248.

الحجاج بطريقة فعالة أمام المحاكم ولم يصل من هذا الكتيب سوى آثار غير مباشرة، خاصة عن طريق **أرسطو** الذي يستشهد به[1].

وهو كما يعتقد **بنوا Benoit** "مصنف من الحيل والخدع لكل جزء من الخطاب وصيغ للبداية، واحتياطات بلاغية للاستهلال، ومهارات لترتيب الأحداث المسرودة للقضية وحجج متخصصة، وألف وسيلة تفصيلية للإثبات والتفنيد سواء أكان في الاتهام أم في الدفاع"[2].

ويمكن بصفة عامة تلخيص مزايا البلاغة الحجاجيّة التي أنتجها السوفسطائيون كالآتي:

- أضافوا طرقًا فعالة لنظرية الحجاج مثل: تناقض الأفكار، وقولهم بتضاد الأصوات بمعنى أن لكل خطاب خطابًا مضادًا، ولكل حجّة حجّة تناقضها.
- أتقنوا المجادلة، وصنوف الحوارية القائمة على الاستدلال المنظّم على أسس مضبوطة.
- أدخلوا البلاغة في مدونة أوسع من المعارف من خلال اهتمامهم بجماليات اللغة الإقناعية[3].

لقد كان للسفسطائيين ببلاغتهم "أثر حاسم في تحريك التفكير حول العديد من المعضلات الفلسفية، فضلا عن الإثارة المنتجة لأبوي الفلسفة الغربية أفلاطون وأرسطو وليس أدل على ذلك من أن نسقي هذين الأخيرين قد انشغلا، وضمن مساحة هامة فيهما بالإجابة عن أسئلة السوفساطئيين واستشكالاتهم ومجادلاتهم"[4].

ولقد عمد السفسطائيون في ممارساتهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة "النفعية المتعلقة باللذة أي الهوى، وليس النفع المتعلق بالمثل أو الخير، وقد أفضت بهم

---

[1]- ينظر: فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص20-21.

[2]- المرجع نفسه، ص21.

[3]- ينظر: أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، ص44.

[4]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص29.

هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار وذلك اعتمادًا على توظيف سلطة القول في الاحتيال على الحقيقة والخير"[1].

**2-الحجاج عند أفلاطون:**

لقد اشتهر **أفلاطون** "بمعاداته القوية للبلاغة باعتبارها تقوم على الرأي **dox** والآراء تحيل دوما وفق أفلاطون، على وقائع مزعومة، هي في الواقع وفي أغلبيتها ناتجة عن الأهواء والمصالح والرغبات والظروف، إن كل واحد يرى الواقع كما يشتهيه ويدعو واقعًا ما يناسب أحواله الذاتية"[2].

لقد أقام أفلاطون بلاغته، خصوصًا في محاورته **جورجياس**، على أسس مناهضته للسفسطائيين ومحاربتهم متبعًا في ذلك رؤى أستاذه **سقراط**، فأراد عَالمًا تسوده المثل والأخلاق، فابتكر جمهورية جمع فيها كل القيم الفاضلة التي يبقى فيها السيد سيدًا، والعبد عبدًا، والحرفي حرفيًا.

فحجاج السوفسطائيين في نظر **أفلاطون** "يزيّف استعمال القول، القول بما هو فضاء التواصل بين الإنسان والإنسان، فهو حجاج يقوم على التملق، والتملق تسلّط بالقول ماكر مقنع"[3].

اعتمد **أفلاطون** على منهج المحاورة في سبيل دحض آراء السوفسطائيين، معتمدًا على الفلسفة الحقيقية بدل فلسفة السوفسطائيين الخادعة "فكان صراع الفيلسوف مع السفسطائي في أصول بناء الحجاج صراعًا في التصورات والقيم، صراعًا في تصور علاقة القول بالوجود، وعلاقة الإنسان بالإنسان"[4].

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

[2]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر، 2011م، ص21.

[3]- حمادي صمود،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص84.

[4]- المرجع نفسه، ص62.

عرض **أفلاطون** أفكاره من خلال محاورته مع **قرجياس Gargias** " ففرق في محاورته بين القول الخطبي والقول الجدلي، وبين الإقناع الذي يعتمد على الظن والذي يعتمد على العلم لأن الآخر يعتمد على مبادئ ثابتة وصادقة، على عكس الأول الذي اعتبره غير مفيد لأنه لا ينشئ إقناعًا بل اعتقادًا، اعتمد على منهج فحواه علاقة القول بالقيم، ففي المقطع الأول من محاورته وزن القول الخطبي وهو قول حجاجي بمعيار العلم، وزنه في المقطع الثاني بمعيار الخير، والخير عنده الحق، ولا فصل بين هاتين القيمتين"[1].

ونظرًا لأهمية القول الحجاجي في البحث الفلسفي من ناحية وفي التعامل القولي بين الإنسان والإنسان من ناحية أخرى "أفرد **أفلاطون** له محاورة ثانية بعنوان **فيدرو فيدر** شاب كان مفتونًا بالقول ودافعًا في الكثير إلى إنشائه ولذلك استحضره في هذه المحاورة التي تدور في بعض مستوياتها على القول وفتنته"[2].

**فأفلاطون** رأى أن السفسطائيين بالغوا في تجويد العبارة والاحتفاء بالشكل وهذه المبالغة في تحسين العبارة يرى أنها لا تجعل من القول قولًا جميلًا.

يرى **أفلاطون** أن الخطابة تبنى على ثلاثة أركان "اعتماد المنهج الجدلي، معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب"[3].

وهذا ما جعل **أفلاطون** يقول على لسان سقراط في محاورة **قريجاس** "إني أصرح بأن الخطباء والطغاة لا يتمتعون في حواضرهم إلا بسلطة تافهة وأن البلاغة

---

[1]– باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2019م، ص24.

[2]– حمادي صمود،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص68.

[3]– المرجع نفسه، ص81.

ليست في حاجة إلى معرفة ماهية الأشياء التي تتحدث عنها، إنها بكل بساطة قد اكتشفت أنها أداة تستخدم للإقناع"[1].

فالخطابة الأفلاطونية "ليست فضاء تفاعل قولي بين الإنسان والإنسان، بما في ذلك من علاقات معقدة، ومقاصد مختلفة، وتنوع في الرؤى، وإنما هي فعل قولي أخلاقي"[2].

**فأفلاطون** بنى حجاجه على فلسفة مثالية أخلاقية التي تنبذ العالم المادي غير الحقيقي وتسعى إلى عالم المثل، وهو العالم الحقيقي الذي يدرك حسب زعمه عن طريق التأمل العقلي، ولهذا رفض أفلاطون الحجاج السفسطائي الذي يناقض هذه التصورات، ولا يؤمن بالثوابت فعدّه حجاجًا مخادعًا، فهو يرى أن الحجاج هو تحقيق الفضيلة للنفس، ولا يهمه من الحجاج كسب القضية أو دحض الخصم، أو تحقيق النجاح.

## 3-الحجاج عند أرسطو:

تحددت معالم النظرية الحجاجية في اليونان على يد **أرسطو** في مؤلفاته التي جاءت في سياق مواجهته للسفسطائيين ومواصلة الطريق الذي بدأه أفلاطون مع السفسطائيين محاولًا الكشف عن أغاليطهم من زاوية منطقية وأخرى بلاغيّة، فقد استفاد من إسهامات السفسطائيين، وأفلاطون، غير أن بلاغة **أرسطو** أو خطابته اتخذت لنفسها مسارًا جديدًا آخر مختلفًا، وانفصلت عن كل ما سبقها، فكل من **أرسطو** و**أفلاطون** علّق ممارسة القول في المجتمع بنسق من القيم الجامعة "غير أنّ القيم التي علّق بها **أرسطو** ممارسة الخطابة هي قيم اجتماعية بالأساس أمّا القيم التي علّق بها **أفلاطون** ممارسة

[1]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر، 2011م، ص23.

[2]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص79.

الخطابة فهي قيم فكرية وعلى رأسها قيمة الحقيقة التي أراد **أفلاطون** أن يصدر عنها القول الخطبي"[1].

إن **أرسطو** لم يقبل ربط البلاغة بالأخلاق وبالحقيقة دون تمييز، وبهذا اختلف مع **أفلاطون** وذلك انطلاقًا من مسلّمتين جديدتين "فمن جهة، جعل من البلاغة آلية غير مبالية حينًا بالأخلاق، أي أنها تفتقد الحس الأخلاقي، لكنها ليست منافية له أو ضده ومن جهة أخرى جعل **أرسطو** من البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب، وليس للحقيقة هذا الفصل المزدوج عن الأخلاق وعن الحقيقة حرر البلاغة وسمح لها أن تتطور كتقنية ذات مشروعية في المناظرات داخل الفضاء العام للمدينة "[2].

أما الفصل الثاني الذي قام به **أرسطو** هو فصله بين البلاغة والمشاعر، فبلاغة **أرسطو** هي بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر، فإذا كان صناع الكلام من السفسطائيين، استخدموا أساليب الظن، الشفقة، والغضب، وغيرها من المشاعر النفسية للتأثير في القاضي، دون استخدام دلائل متخصصة، فإن بلاغة أرسطو قامت على الإقناع والمنطق والأدلة[3].

بعد القيام بهذين الفصلين "استطاع **أرسطو** أن يوسع حقل البلاغة لأبعد من المجال القضائي، بحيث يشمل كل الأماكن التي يستخدم فيها الحجاج، وذلك بخلاف صناع الكلام الذين حصروه في المحكمة، والأفلاطونيين الذين حصروه في النقاش الفلسفي"[4].

وهكذا أصبحت للبلاغة الأرسطية نظرية منظمة، ولم تعد تعرف بأنها فن الإقناع وإنما القدرة على كشف الأفكار عند كل موقف.

---

[1]– حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص138.

[2]– فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص28.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص29.

[4]– المرجع نفسه، ص29.

**أ-الخطابة والإقناع في الفكر الأرسطي:**

الخطابة عند **أرسطو** صناعة لا تحدد ببعدها الإمتاعي بل بمهمة الإقناع التي تطلع إليها في مجال محتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش لذلك عرّفها بقوله: "إنها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"[1].

فالإقناع مركزي فيها، وغايته الوصول إلى الاعتقاد ويعتمد في إنتاجه على أركان متعددة هي[2]:

- **الخطيب:** وهو حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي بأخلاقها وعنصر الثقة فيها، كل هذه الأمور مجتمعة تمنح الخطاب قوته ومصداقيته.
- **السامع:** لنجاح العملية الإقناعية في الخطابة لابد من توفر التهيئة النفسية والاجتماعية والانفعالية للمتلقين وهذا من أجل استدراجهم وتحقيق انقيادهم للخطيب مخلفة بذلك آثارًا نفسية واجتماعية لدى المقول إليه.
- **القول:** العملية الحجاجية الإقناعية تتوقف على مدى نوعية القول والعمل على تعبئته بالأدلة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها.

انصرف اهتمام أرسطو إلى صناعة الخطابة بوصفها حجاجًا إقناعيًا "الهدف منه استرجاع الحقوق المسلوبة ودفع الضر عن المظلومين بواسطة اللغة، بهدف إنقاذ الخطابة من أزمتها الشكلية التي طغت عليها نتيجة أفكار السفسطائيين، وقسم رؤيته لدور اللغة على مستويين:

الأول: معرفي لغوي، يتم فيه تطوير اللغة واختيار الحجج اللائقة بكل مقام.

الآخر: اجتماعي إنساني يعنى بقضايا الفرد والمؤسسة وعلاقة بعضهما ببعض"[3].

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص54.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص54-55.

[3]- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص19.

قسم أرسطو البلاغة إلى ثلاثة أنواع لاشتغال القول فيها[1]:

- **الخطابة المشورية أو التشاورية:** تتعلق أساسًا بالخطابات السياسية ومقامات النصح، فبصلاح الخطابة يحيا المجتمع، ويبتعد عن كل ما يضره كالحروب وغيرها فيجب على الخطيب الابتعاد عن التحريض وتجنب الأمور التي تدعو إلى الشر.
- **الخطابة المشاجرية:** وهي تتعلق بمجال المرافعات القضائية، ومقامات الاتهام لذلك يجب على الخطيب معرفة الأشياء التي تدفع الناس إلى ارتكاب الظلم والخصائص العقلية والأخلاقية لمرتكبي العداوات.
- **الخطابة التثبيتية:** شأنها شأن الخطابة المشاجرية تتعلق بالنصح، وقد تكون في المدح كما تكون في الذم.

فالعملية الإقناعية عند **أرسطو** تنطلق من مبدأ إرادة وقوة الخطيب البلاغية، وتكون عملية الإقناع ناجحة إذا تحققت هذه الإرادة وهذه القوة بالفعل، فهناك دائمًا مبدأ وغاية ثم وسيلة ونهاية، والخطيب يسعى وينشأ وراء تلك الغاية خطابًا ملائمًا يستدرج به المخَاطب وكأنه يعرفه واعتقد به، ومن ثم يهتدي ويسترشد به علميًا.

**ب-الجدل والخطابة في الفكر الأرسطي:**

جاء في المقالة الأولى من كتاب الخطابة **لأرسطو**، والتي جاءت بعنوان **الخطابة والجدل** قوله: "فأما التصديقات التي تكون بالصناعة فلا يخبرون عنها بشيء، وهذه إنما تكون من قبل التفكير، ومن أجل هذا ما يقول على أن الحيلة أو الصناعة في التفسير والتشاجر واحدة، وأنه إذا كان التشاجر فوليطيا، أي مدنيًا، فهو خير وأشرف مذهبًا من التفسير الذي يجري في الأخذ والعطاء"[2].

---

[1]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص55.

[2]- أرسطو طاليس، الخطابة، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، 1979م، ص06.

التشاجر هنا يفيد أو يقصد به الجدل، والتصديقات على ما يبدو هي الحجج التي يؤتى بها لإثبات أمر أو إقراره، وهي تأتي كما ورد في القول من إمعان الفكر في عرض الأمر أو الموضوع ويضيف "فأما هؤلاء فلم يقولوا في التفكير شيئًا، لكنهم يتكلفون بتزويق الكلام أن يضعوا الحكم في كل شيء من الأشياء، فأما في التشاجر فليس يكتفي بهذا لكن من بوادي العمل في ذلك أن يتحفظ الذي ينصت، فإن الحكم ههنا في الغريبة ويتأمل ما يكون منهم فإنّهم إذا سمعوا من المتكلمين قد يسلمون للذي يثبت، تبرعًا، ولا يستعملون الحكم، ومن أجل أنه معلوم أن هذه الحيلة والصناعية، إنما توجه نحو التصديقات"[1].

ثم يواصل في تعريف التصديق فيقول: "والتصديق إنما يكون بالتثبيت، فإنما نقر بالشيء إذا ظننا أنه قد يثبت عندنا، والتثبيت الريطوري هو التفكير، لأن هذا في الجملة هو الأصل المتقدم للتصديقات، والتفكير شيء من السلجسة "[2].

يفهم من هذا القول أنّ التصديق يقوم على المحاجاة، والإقرار بالشيء كما جاء في القول هو ظننا بصحته، ولكن الظن يقع فيه الاختلاف، فيؤتى بالحجة لإثبات قضية ما ومحاولة الإقناع بصحتها.

لقد ألحّ **أرسطو** في كتابه الخطابة "أن صناعة الخطابة عمدتها التصديقات les preuves لكنّه نزّل القول الخطبي في إطار التفاعل القولي بين الإنسان والإنسان فدرس التصديقات الخطبيّة preuvesoratoires ودرس أخلاق القائل les caracteres وانفعالات المقول إليه les passions"[3].

---

[1]– أرسطو طاليس، الخطابة، حققه وعلّق عليه، عبد الرحمن بدوي، ص06.

[2]– المرجع نفسه، ص07.

[3]– حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص98.

جعل **أرسطو** من الخطابة مجالًا للممارسة الحجاجية "لأنه يضع التصديقات أي الحجج عمدة للعلاقة الخطابية بين القائل والمقول إليه، فدرس أخلاق الأول، وانفعالات الثاني خلال هذه العلاقة"[1].

ركز **أرسطو** في صلة الخطابة بالجدل، وهو في رأيه مجال الحجاج ودائرة حدوثه "فالباعث والمتلقي عنصران متجذران في الخطاب الحجاجي، إذ يراعي المتكلّم استعداد المتلقي لقبول ما يلقى إليه من حجج، وهذا الاعتبار لا يقام له في الخطاب العلمي أي وزن، فلا أحد ينتظر موافقة مخاطب ما على كون زوايا المربّع متساوية، وذات 90 درجة فكل منهما ينخر في التواصل الحجاجي محمّلًا بكل الانفعالات والنوازع والاعتقادات والأيديولوجيات"[2].

ووصل **أرسطو** إلى التفريق بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي، فالحجاج الجدلي مجاله حول مطلوب جدلي، وهو سؤال لا يوجد في خصوصه رأي آخر، بينما مدار الحجاج الخطابي يكون على القضايا التي تتميز بطابع المناقشة، وهي لا تقوم على السؤال والجواب بل غايتها إقناع الجمهور بحكم ما، أو توجيه لسلوك ما[3].

وخلاصة القول إن حجاج **أرسطو** شكل منعرجًا حاسمًا ونقطة تحول كبرى في تنامي مشروع **سقراط** و**أفلاطون**، فعمل **أرسطو** على الارتقاء بالحجاج من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي التنظيري، محققًا بذلك المفاصلة النهائية مع الحجاج السفسطائي، ومع القول العلمي اليقيني الذي ساد في الفكر الأفلطوني.

**ثانيا-الحجاج في البلاغة العربية القديمة:**

اختلفت البلاغة العربية عن نظيرتها الغربية اختلافًا ظاهرًا من حيث ظروف النشأة والبيئة الثقافية، فالبلاغة الغربية نشأت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالجدل في نطاق الفلسفة المنطقية محاولة تصنيف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة ودرجة

---

[1]- ليلى جغام، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص30.

[3]- ينظر: باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، ص30.

الإقناع فيها فهي تقع في مجال الاختلاف والخلاف حيث يمكن للآراء أن تتعدّد وتتباين وحيث يدعي الإنسان إلى مقارعة الرأي بالرأي والخطاب بالخطاب ولا تكون الغلبة إلا من كانت حجته أكثر إقناعا و أوضح في نفس المتلقي، بينما البلاغة العربية ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر العربي وكانت تعبيرًا عن جماليات القول وتصوير المعاني وإخراجها في صورة تسر الناظر وتخلب لب السامع[1].

لقد اهتم العرب قديمًا اهتمامًا خاصًا بالكلام والتخاطب فقسموا الكلام بحسب المتلقي يقول **أبو هلال العسكري (920م/1005م)** في هذا الباب: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السّوقي بكلام السّوقة والبدويّ بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب"[2].

فالمخَاطبْ مدار القول عندهم، يدور الكلام بحسب حالته ووصله في المجتمع وإفهامه غاية المتكلم، ولا يوصف الكلام بالبلاغة والبيان إلا إذا كان مفهمًا "لأنّ مدار الأمر على البيان والتبيّن، وعلى الإفهام والتفهّم، وكلّما كان اللّسان أبين كان أحمدَ، كما أنّه كلما كان القلب أشدّ استبانة كان أحمد، والمفهمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل إلّا أنّ المفهِم أفضل من المتفّهم وكذلك المعلّم والمتعلّم"[3].

كان للحجاج حضوره البارز في الثقافة العربية، ففي عصر الجاهلية الذي مثل صفاء اللغة كانت الخطابة حوت في كثير من نصوصها أبعادًا حجاجية واضحة، كخطب **قس بن ساعدة**، وفي المفاخرات والمجادلات والوصايا والمناظرات الأدبية، وكانت لهم خطب مشهورة "والعرب تذكر من خطب العرب العجوز وهي خطبة لآل رَقبة، ومتى تكلّموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها، والعذراء وهي خطبة **قيس بن**

---

[1]– ينظر: حمّادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص18–19.

[2]– أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، د.ط، د.ت، ص20.

[3]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص11.

**خارجة** لأنّه كان أبا عذْرها والشوهاء وهي خطبة **سحبان وائل**، وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك أنّه خَطَبَ بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يَخْطُبْ خطيب"[1].

إلى أن نزل القرآن الكريم، فكان نصًا حجاجيًا بامتياز، لاسيما أن الغاية من نزوله تغيير الذهنيات والمعتقدات الدينية والاجتماعية وسلب السلطة التي كانت تتحكم بها قريش فكان له لا بد له من منطق عقلي حجاجي يستطيع تغيير تلك المعتقدات وتلك الحريات.

ثم تغيرت الظروف بعد عصر النبوة، وتغيرت معه قوانين الحياة، وظهرت الانقسامات بين صفوف المسلمين، فكثرت المذاهب الكلامية، واعتمدت على المناظرة والجدل في إثبات هويتها ساعد على ذلك "استمداد بني أمية لشرعيتهم من الدين كانت له تبعاته، خاصة حين أشيع عنهم أنهم كانوا يتصرفون في رقاب الناس وأرزاقهم حسب مشيئتهم هم، وليس بوازع الدين، ولتعليل ذلك لجئوا إلى إعطاء تأويل للنصوص يتماشى وأهدافهم من الدولة وكان ذلك مبعثًا لانطلاق الحجاج والتناظر بين المسلمين بعد مرحلة التسليم والتصديق بكل ما جاء به النبي صل الله عليه وسلم وعكسته سنته وأخلاقه على أرض الدعوة إلى الدين الجديد"[2].

هذا الواقع الجديد جعل المسلمون يتوزعون على مذاهب وآراء مختلفة وكان لهذا الاختلاف مجالًا خصبًا لنشوء الحجاج، ومن يطالع المدونات التراثية العربية، يقف على مواطن تأثرها بغيرها من الثقافات الأخرى، كالفارسية، والهندية، واليونانية على وجه الخصوص والتي ساهم فلاسفة الإسلام في احتضانها ودمجها في الثقافة العربية، ونجد في مقدمة هؤلاء **الفارابي (874م/950م)، وابن سينا (980م/1037م)، وابن رشد (1126م/1198م)**، الذين قاموا بالمهمة التوفيقية بين الثقافتين "الشيء الذي شرّع

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص348.

[2]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص84.

لتضام مصطلح الحجاج مع مصطلحات علوم أخرى: كعلم الفقه، وعلم النحو، وعلم المنطق وعلم الكلام، وعلم البلاغة الذي اقترن فيها الحجاج بنظرية البيان"[1].

يمكن أن نتلمس معالم الخطاب في الثقافة العربية في ثلاثة اتجاهات:

- اتجاه أدبي يمثله الجاحظ.
- اتجاه فقهي منطقي يمثله ابن وهب.
- اتجاه بلاغي يمثله السكاكي.

## 1-الحجاج عند الجاحظ:

لقد كان **الجاحظ** "رجل محاجّة ومناظرة ومتكلم عارف بتصاريف الكلام ووجوه الاحتجاج"[2].

كان **الجاحظ** معتزليًا ملمًا باللغة والنحو والأخبار والأديان والثقافات، كما عايش فترة خصبة في تاريخ الفكر الإسلامي، نضجت فيها العلوم وتطورت ونشطت عملية الترجمة، وتمازجت الأجناس، وظهرت الفرق الكلامية، وشاع الإلحاد والزندقة والشعوبية فكان من الطبيعي أن يعزز الجاحظ متنه بالحجة الواضحة والبرهان الساطع لمجابهة ومقارعة الخصوم، ويستميل الأعناق ويجذب النفوس[3].

فوجدنا في كتابه البيان والتبيين حضور الخطبة بشكل لافت "فكان أول من أفاض الحديث عن الخطبة وسياق الخطبة وتوسّع في دور كل طرف من أطراف العملية التخاطبية: المتكلّم والسامع والنص في جعل النص بليغًا مؤثرًا مقنعًا"[4].

ونجده في بعض مناظراته قد رد على الذين رفضوا البيان، فقال: "إنّ إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب، كإنفاق النصارى على البِيَع، ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة، وكتب مقاييس وسنن وتبيُّن وتبيين،..... لكانوا ممن قد يجوز أن

---

[1]- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص31.

[2]- حمّادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص21.

[3]- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص45.

[4]- حمّادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص21.

يظنّ بهم تعظيم البيان، والرغبة في التبيّن، ولكنّهم ذهبوا فيها مذهب الدّيانة، على طريق تعظيم الملة"[1].

إن البعد المذهبي **للجاحظ**، ومجالسته لأئمة الحجة والكلام، دفعاه إلى ربط البلاغة بأهداف إقناعية، محددًا للكلام أدوارًا تكمن في الخصومة، ومنازعة الرجال ومناقلة الأكْفَاء[2]، ومناضلة الخصوم[3]، وغاية الخطيب أن تكون "الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع، وإن كان قد يأتي ما وراء الحاجة، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة"[4]، أي أن غايته التأثير والإقناع.

فالبيان عند **الجاحظ** جاء بمعنى الإيضاح وإظهار المعاني الكامنة في نفوس العباد المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في صدورهم، فالمعاني في نظر الجاحظ موجودة بالقوة لا بالفعل وهذا ما عبر عنه الجاحظ بقوله: "وموجودة في معنى معدومة"[5]، وبقاؤها في هذا الحد يجعل الآخر "لا يعرف ضمير صاحِبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاوِن له على أموره"[6]، وهنا يكون البيان بمعنى الإبانة سواءً كان ذلك لغويًا أم غير ذلك.

إن المشروع البلاغي الذي جاء به الجاحظ يقوم على دعامتين أساسيتين هما: الإفهام والإقناع.

**أ-<u>الوظيفة الإفهامية</u>:** ركز **الجاحظ** على وظيفة الإفهام ضمن كتابه **البيان والتبيين** والتي يقصد بها إيضاح المعاني القائمة في صدور العباد حتى يدركها الآخر مستشهدًا في هذا السياق مما نقله عن جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني من أقوال بينت فضل الإفهام

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م، ص56.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص91.

[3]- المصدر نفسه، ص12.

[4]- المصدر نفسه، ص07.

[5]- المصدر نفسه، ص75.

[6]- المصدر نفسه، ص65.

ودوره وهذا ما جاء في قول **العتابي:** "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ"[1].

وجدير بالإشارة أنّ إلحاح **الجاحظ** على وظيفة الإفهام لم يقد إليه الاعتبار البلاغي الصرف "بل حكمته الاستجابة لشروط عامة وسمت الثقافة والمجتمع الإسلاميين خلال هذه الفترة مصدرها الدين من جهة، وطبيعة الفترة التاريخية التي عاشها **الجاحظ** من جهة أخرى فمناط التكليف في الخطاب الديني كان يتوقف على إفهام المكلفين، فلا تكليف مع انعدام هذا الشرط، أما بالنسبة للفترة التاريخية فإن **الجاحظ** عاش في فترة تعدد اللغات واختلاط الثقافات عرفت ضمن الحاضرة الإسلامية، من ثم كان الدفاع عن الإفهام عند **الجاحظ** وسيلة ضامنة للمحافظة على اللغة وصحتها"[2].

فالوظيفة الإفهامية جعلت من البيان حجاجًا بأبعاد بلاغية وأخرى اجتماعية، فالإفهام يقودنا بالضرورة إلى الإقناع الذي يمثل مطلب كل عملية إفهامية بيانية.

**ب-الوظيفة الإقناعية:** إنّ مفهوم البيان في نظر **محمد العمري** تحكمه وظيفتان: وظيفة إفهامية وأخرى إقناعية وتبدو الوظيفة الإقناعية أكثر بروزًا من الوظيفة الأولى، وهذا واضح في بعض نصوص **الجاحظ** الواردة في كتابه البيان والتبيين والتي تدور حول موضوع الإقناع، وتجلى ذلك في سرد الجاحظ لجملة من الأخبار التي بيّنت فضل وأهمية القول المقنع في إيقاع التصديق يقول الجاحظ: "وذكر الله عزّ وجّل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحّة العقول وذكر العربَ وما فيها من الدّهاء والنكراء والمَكْر، ومن بلاغة الألسنة واللّدَد عند الخصومة"[3].

ولما كانت قريش على هذه الحال من حب للجدل والدهاء ومن بلاغة المنطق وفصاحة البيان، جاء البيان القرآني مقرونًا بالحجّة البالغة والقول المقنع المفحم، ولهذا تحدى الله سبحانه وتعالى فصحاء قريش بأن يأتوا بسورة من مثله.

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص113.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص63.

[3]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص09.

فالإقناع عند **الجاحظ** يعدّ من الوظائف الرئيسية للبيان، وهذا ما لمسناه في شواهده التي تدور ضمن فلك الإقناع، فنجده على سبيل المثال يستحضر بعض الأخبار الواقعية كقصة **النظام** مع **أبي شمر**، حيث "كان **أبو شِمِرٍ** إذا نازع لم يحرّك يديه ولا منكبيه، ولم يقلبْ عينيه، ولم يحركْ رأسَه، حتى كأنَّ كلامَه إنما يخرج من صَدع صخرة، وكان يقول: ليس من حقّ المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتّى كلّمه **إبراهيم بن سيّار النّظام** عند **أيوب بن جعفر**، فاضطره بالحجّة، وبالزيادة في المسألة، حتّى حرّك يديه وحلّ حبْوَته"[1].

عكس لنا **الجاحظ** من خلال هذه القصة وأصحابه المعتزلة للبيان الهادف للإقناع ولذلك نراهم اهتموا بالبيان ضمن إستراتيجيتهم الإقناعية، والتي تهدف إلى التغلب على الخصم بواسطة البيان المقنع وفي هذا الصدد ينقل لنا **الجاحظ** عن شيخ المعتزلة **واصل بن عطاء** عنايته بالكلام المقنع المبين أثناء محاجة الخصوم قائلًا: "أنّه ألثغ فاحش اللّثغ وأنّ مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذ كان داعية مقالةٍ، ورئيس نحلة، وأنّه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأنّه لا بدّ له من مقارعة الأبطال، ومن الخطب الطّوال وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، ..... وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق، وتزيّن به المعاني، وعلم واصل أنّه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن والقوة المتصرفة،.... رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه"[2].

يفهم من هذا الكلام مدى اهتمام **واصل بن عطاء** والمعتزلة بصفة خاصة بالبيان وإقامة اللسان لمقارعة ومجادلة أهل الملل والنحل، إذ لا تتحقق الغلبة والتأثير إلا من خلال البيان المقنع.

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص91.

[2]- المصدر نفسه، ص14-15.

وعليه فإن ارتباط البيان عند الجاحظ بالإقناع ضمن ميادين الخطابة التي تعتبر أهم جنس قولي احتفى به الجاحظ في مشروعه البلاغي الحجاجي باعتبارها بناء متكاملًا "رأسها الطبع، وعمودها الدّربة وجناحاها رواية الكلام، وحلْيها الإعراب، وبهاؤها تخيّر الألفاظ"[1].

هذا ناتج عن توجه **الجاحظ** المذهبي الاعتزالي الذي يتخذ من البيان سلاحًا في الردّ على الخصوم وإقامة الحجج والأدلة والبراهين.

**2-الحجاج عند ابن وهب:**

على الرغم من أن نظرية **الجاحظ** في البيان ظل صداها في البلاغة العربية واضحًا، إلا أن ما يميز ما جاء به **ابن وهب** في نظرية البيان قد عكست بعمق الثقافة الفلسفية التي ضربت بجذورها في القرن الرابع الهجري.

وعلى أية حال، فإن التفات الرجلين إلى نظرية البيان وربطها بالوظيفة الإقناعية في وقت مبكر عن زمن ظهور شروح الفلاسفة لمؤلفات **أرسطو** بصفة خاصة وكتب اليونان بصفة عامة "لتؤكد أن العرب كانت لهم جهود تنظيرية تناولت أهم مكونات الخطاب الإقناعي ووظيفته وقيمته، والمقام الخطابي بما يشمله من أحوال المتخاطبين وتوظيف الإشارات الجسدية"[2].

لقد كشفت جهود **ابن وهب** عن عناية الفلاسفة بالعلم والمعرفة، وبحثهم الدائم عن شروط المعرفة وأسبابها، إذًا قامت نظرية البيان عند **الجاحظ** أساسًا على الخطاب الشفهي والوسائل البلاغية للإفهام والإبلاغ، في حين وجهت نظرية البيان عند **ابن وهب** عنايتها "بقيام المعاني في النفس أساسًا، ذلك أنه يرى أن الأشياء بذواتها أو بظاهر حالها تبين وهذا هو أول قسم من أقسام الدلالة عنده، وهو بيان الاعتبار، فإن انكشفت هذه الدلالة لمن يروم ذلك واستقرت في قلبه، تحقق النوع الثاني من الدلالة ألا

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص 44.

[2]- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص32.

وهو بيان الاعتقاد ليتم فيما بعد إبلاغ المتلقي بما اعتقد شفاهةً أو كتابةً أي بيان اللسان وبيان الكتاب"[1].

وبذلك يكون البيان عند **ابن وهب** على أربعة أوجه "فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب"[2].

ويمكن إيجاز ملامح التفكير البلاغي عند **ابن وهب** في النقاط التالية[3]:

- الترتيب المنطقي لأقسام البيان.
- الإشادة بالعقل: يقوم البيان عند **ابن وهب** عن إعمال الإنسان للنظر العقلي في الأشياء، والأشياء دليل العقل، وكان هذا واضحا منذ مقدمة الكتاب.
- البعد الحجاجي للقياس والاستدلال: أفاض **ابن وهب** حديثه عن القياس باعتباره ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج وبذلك تحصل عملية الإقناع، فالبيان عنده يقوم على الظن والاحتمال، ويستند على الرأي والاختلاف، وهذا التصور ينسجم مع ما جاءت به البلاغة الأرسطية.

كما تطرق كاتبنا إلى عنصر المقام الذي يعتبر ركيزة أساسية في كل عملية إقناعية إذ على الخطيب "أن يكون عارفًا بمواقع القول وأوقاته، واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة، ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك في السُوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم فقد قيل: لكل مقام مقال"[4].

---

[1]– عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص51.

[2]– أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص56.

[3]– ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص54.

[4]– أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص153.

إن أهم ما يمكن إفادته من اتجاه **ابن وهب** في هذا الباب، أنه نظر إلى البيان لا باعتباره قضية بلاغية فحسب، وإنما قضية منطقية أيضًا، وهذا ما يجعل من البلاغة والمنطق متلازمان في أي خطاب حجاجي، مما يضفي شرعية أكبر على اعتماد الاستدلال وإقامة الأدلة في كل دراسة بلاغية تخص هذا النوع من الخطابات.

**3-الحجاج عند السكاكي:**

ارتبط الحجاج عند **السكاكي (1169م/1229م)** بالاستدلال الذي تحدث عنه في كتابه **مفتاح العلوم**، الذي قيل عنه ما قيل من أنه جمد مباحث البلاغة العربية، إلا أن هذه الحملة العنيفة وما حاكه مناوئوه ضده لا يمكن أن تحجب الوضع المرجعي الذي حظي به في تاريخ الفكر العربي، فلقد استندت إليه شروحات وتلخيصات غزيرة، إلا أن **الجابري** نفى عنه كل هذه الاتهامات بما في ذلك تأثره بالبيان اليوناني إذ يقول: "ليس **السكاكي** هو الذي خنق الحياة في البلاغة العربية بتقعيداته وتقنيناته، كما يزعم البعض بل إن الأسس التي قامت عليها العلوم البيانية كلها، والبلاغة العربية مجرد فرع منها، هي التي كان مخزونها قد نفد تمامًا فلم يعد في إمكانها أن تمد الباحث بشيء آخر غير نفسها، إن هذا يعني أن التجديد في البلاغة العربية، كما في الفروع الأخرى من العلوم البيانية كان يتطلب إعادة تأسيس البيان ككل"[1].

ويعود الفضل **للسكاكي** في تجميع وتصنيف العلوم البلاغية، يقول محمد عابد الجابري: "هو بالنسبة للدراسات البيانية بمثابة أورجانون"[2].

وقد سعى **السكاكي** ضمن كتابه هذا إلى ربط البلاغة بالمنطق انطلاقًا من الاستدلال الذي هو مكمل للمعاني والبيان ليكون بذلك كتاب مفتاح العلوم "نموذجًا لبلاغة عربية معضودة بالمنطق"[3].

---

[1]- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ج02، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص90.

[2]- المرجع نفسه، ص90.

[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص74.

لقد ميّز بلاغة **السكاكي** تلك الصبغة المنطقية التي طغت على كتابه فأنتجت بلاغة إقناعية، تشكلت ملامحها من خلال تصوره للبلاغة وعلومها واهتمامه بالمقام والمخاطَب وانتباهه للاستدلال واللزوم في البيان[1].

ارتبط التصوير البياني عند **السكاكي** بما يحققه من منفعة تتمثل في الاحتراز عن الوقوع في الخطأ، مادام جوهر العملية البيانية استدلالي، يقوم على اعتبار الملازمات بين المعاني فالتصوير "عملية استدلالية تقوم على الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى، أو من الدلالة الوضعية إلى أخرى عقلية، الأولى مطابقة والثانية مستلزمة، وتتم الملازمة بين المعاني من جهتين، جهة الانتقال من الملزوم إلى اللازم وهو المجاز كأن تقول: رعينا غيثا، والمراد لازمه وهو النبت، والثانية من اللازم إلى الملزوم كما في الكناية كأن تقول: طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد"[2].

فطالب الصورة البيانية يستند على المسلك الذي يستند إليه صاحب الاستدلال والاستلزام وهي ملامح فلسفة السكاكي البلاغية، إضافة إلى عنصر المقام والإقناع.

أما عن دور المقام في الإقناع فكان له نصيب من اهتمام **السكاكي** إذ يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البيان على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[3].

---

[1]– ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص74.

[2]– باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، ص50.

[3]– أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص168.

هكذا تحدّدت لدى **السكاكي** معالم بلاغية إقناعية تواتر فيها الاستدلال مع الاستلزام وعنصر المقام علاوة على الطبيعة الاستدلالية للصور البيانية.

ولم تقتصر ملامح الخطاب الحجاجي عند جهود هؤلاء العلماء، ولكنها تجلت في علوم كثيرة، كعلم التفسير وعلوم القرآن التي تناولت الجدل بوصفه علمًا من علوم القرآن ككتاب الإتقان **للسيوطي**، البرهان **للزركشي**، وكذلك اضطلع علم أصول الفقه بهذا النوع من الخطابات الحجاجية كما هو الشأن عند **أبا الوليد الباجي** في كتابه: المنهاج في ترتيب الحجاج، وهو كتاب فقهي، وكذلك احتفت علوم الكلام والفلسفة الإسلامية بهذا النوع من الخطابات.

**ثالثا-الحجاج في الفكر الغربي الحديث:**

**1-الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:**

من بين أهم الكتب التي اشتهر بها **بيرلمان** و**تيتكاه** في مجال الخطاب الحجاجي هو كتاب **مصنف في الحجاج** والغاية من هذا المصنف هي "تخليص الحجاج من التهمة اللّائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضًا، ودفعه دفعًا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها"[1].

**فبيرلمان** و**تيتيكاه** في كتابهما هذا أرادا "أن يعيدا اللغة في شقّها الجدلي ويجعلاها محطّ مشروع تأملي مفصّل يعتبر الحجاج خطابًا ذا استدلال منظّم باحث عن منطق للقيم متوجّه إلى مستمع كوني، وهما في شقها الآخر يسخّرانها لاجتلاب مؤازرة الآخرين، التي لا تتمّ إلّا داخل فضاء تفاعلي، يراعي الاعتبارات الذاتية التي عمل النموذج الأخلاقي على تلافيها"[2].

---

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص298.

[2]- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2010م، ص06.

ولقد حاولا **بيرلمان** و**تيتيكاه** إعادة النظر في مفهوم الحجاج، على عكس المفهوم الأرسطي فبعدما كان الحجاج في البلاغة الأرسطية مرتبط بالخطابة والجدل وبصرامة المنطق **فبيرلمان** وصديقه ربطاه بالحوار والعقل "فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدًا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدًا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كلّه أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره"[1].

فإذا كان حجاج السفسطائيين في عهد **أرسطو** و**أفلاطون**، قد تمكن من السيطرة على العقول من خلال التملق في الكلام، فإن حجاج **بيرلمان** منح الحرية للمتلقي وفكه من قيد الاستدلال الذي يضعه كرهينة للخضوع والاستلام ليختار بنفسه الحقيقة مستخدمًا عقله في هذا الاختيار ولا يخرج عن دائرة اللامعقول.

قسم **بيرلمان** و**تيتيكاه** الحجاج إلى نوعين: حجاج إقناعي وآخر اقتناعي، فالأول يتوجه إلى متلق أو جمهور خاص ويعتمد على الخيال والعاطفة، والثاني أي الحجاج الإقتناعي فهو يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام، ومن ثم يرى الباحثان أن الاقتناع هو أساس الحجاج وهدفه لأنه يعتمد على الحرية والعقل.

يشترط **بيرلمان** في الحجاج شرطًا مهّمًا بدونه يكون الحجاج معدومًا وهو حصول ضرب من "التفاعل والالتقاء الثقافي بين الباثّ والمتلقي، وهو ما ينتج عنه الاهتمام بالظروف النفسية والاجتماعية التي يفقد الحجاج بدونها أثره وموضوعه، فالحجاج عنده ليس استدلالاً تعليليًّا يدور في حقل البرهان المنطقيّ، بل يتطلب وجود علاقة تفاعليّة بين الباثّ والمتلقي، وهذا التأثير المتبادل الحاصل بينهما يسير ضمن

[1]– حمادي صمود،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

حركة الخطاب الموجهة لغاية إقناعيّة، وهو ما يمثّل حجر الزاوية في نظرية **بيرلمان**"[1].

وللمتلقي دور مهم في نظرية **بيرلمان** فقد ركز **بيرلمان** على فكرة المتلقي التي تمثل نقطة تقاطع بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة، فالخطاب يُصبّ على حسب المتلقي ومقامه لأن الغاية من ذلك هي الإقناع والتأثير فيه، فالمتلقي في البلاغة القديمة كان محصورًا في صورة المستمع، بحكم أن الخطابة كانت تعتمد على الشفاهة، أما في البلاغة الجديدة التي لا تتقيّد بالخطاب المنطوق يكون المتلقي قارئًا كما قد يكون مستمعًا **فبيرلمان** اهتم بمظاهر جديدة من التواصل **المكتوب** و **المنطوق** و**الإشاري**، بهدف تكوين بناء فكري عميق، تنصهر فيه أبعاد المتكلم والسامع والمقام[2]، ويتوجب على المخِاطب سواءً كان خطيبًا أو كاتبًا مراعاة أحوال المتلقي الفكرية، علاوةً على ذلك يجب أن يكون كلامه مفهومًا واضحًا لدى المخاطَب حتى تتحقق العملية الإقناعية.

والمتلقي في نظرية **بيرلمان** لا يقتصر دوره على التلقي فقط كما هو الشأن في البلاغة القديمة، وإنما يكون دوره إيجابي، يناقش، يفند، يدعم، يفكر فيما يتلقاه، بل يكون متلق فاعل ونشيط لا يلبث على حال واحدة.

**أ-منطلقات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:**

يتكئ الحجاج عند **بيرلمان** و**تيتيكاه** أساسًا على جملة من القضايا والفرضيات والتصورات التي يبني عليها المحاجج خطته الحجاجية لإقناع الجمهور، ومن أهم هذه المقدمات:

-**الوقائع:** تحيط بالمتكلم مجموعة من الوقائع القارة التي يلجأ إليها أثناء الاستدلال بها عن قضية ما، وهذه الوقائع "تمثل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس

[1]- أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، ص84.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص84.

إن الوقائع لا تكون عرضة للدّحض أو الشك، وهي تشكّل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج"[1]، فالوقائع بما أنها ثابتة لا شك فيها "فإنها تصلح لتأسيس نقطة البداية"[2].

-**الحقائق:** يعتمد الخطيب على الحقائق ويحاول ربطها بالوقائع من أجل تكوين بداية حجاجية قوية، والحقائق هي "أنظمة أكثر تعقيدًا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية مفارقة للتجربة"[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى القول بأن الوقائع تحمل دلالة عامة يشترك فيها جميع الناس في حين أن الحقائق تحمل طابعًا خاصًا كونها ترتبط بمفاهيم فلسفية وعلمية لا يفهمها إلا المختصون.

-**الافتراضات:** تعد الافتراضات كذلك من تصورات الحجاج "وهي شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة ولكن الإذعان لها والتّسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما"[4].

فالإذعان والتسليم بالافتراضات تكون محتملة لأنها تكون كاذبة كما تكون صحيحة فهي غير مستقرة بل متغيرة "فالافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعًا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين، لأنها تقاس بالعادي، والعادي مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانات الفردية والجماعية"[5].

-**القيم:** تلعب القيم دورًا فعالا في العملية الحجاجية، وعليها مدار الحجاج، ولها دور بارز في مجال العلوم الإنسانية، إذ يعتمد عليها في تغيير مواقع السامعين، وفي دفعهم

---

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص24.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111.

[3]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص24.

[4]- المرجع نفسه، ص25.

[5]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص112.

إلى الفعل المطلوب، وهي نوعان: مجردة كالعدل والشجاعة والصدق ومحسوسة كالوطن والعبادة[1].

-**المواضع:** وهي مقدّمات أعمّ وأشمل من القيم، وقد أولاها **أرسطو** عناية فائقة وخصص لها كتاب **الطوبيقا Topique**، وهي عبارة عن المصنفات الخاصة بالاستدلال الجدلي وهي تمثل رافدًا للقيم، وهي بمثابة المقدمات أو المعاني التي يلجأ إليها الخطيب من أجل إقناع الغير وهي بذلك تلعب "دورًا كبيرًا في الحجاج والدفع إلى الفعل وخلخلة العقبات التصورية التي تكون أحيانًا راسخة لدى المحاججين والتي لا تنسجم مع البناء الحجاجي المتقدم"[2].

ولا يكفي أن يملك المخاطِب هذه المقدمات أو الفرضيات، بل عليه أن يحسن توظيفها بما يتماشى مع قدرات المخاطَب أو المتلقي والمقام، فهي أي المواضع "ليست ذات فاعلية في ذاتها، ولاهي بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه اللذين بهما تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية"[3].

**ب-تقنيات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه:**

تتمحور نظرية **بيرلمان** و**تيتيكاه** حول تقنيات الحجاج وهي "تقنيات خطابيّة مستمدة من بنية التراكيب اللغوية التي يتمّ توظيفها، وتتلخص في كل الوسائل اللغوية والبلاغية والمنطقية التي يتوسل بها الخطاب من أجل تحقيق الإذعان"[4].

وقد قسم **بيرلمان** و**تيتيكاه** التقنيات الحجاجية إلى قسمين: قسم يقوم على طرائق الوصل وتشمل كل الحجج التي جاءت بها البلاغة القديمة، وقسم يقوم على طرائق الفصل.

---

[1]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص112.

[2]- المرجع نفسه، ص113.

[3]- المرجع نفسه، ص114.

[4]- أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداوليّة، ص86.

ويقصد بالقسم الأول "الطرائق التي تقرّب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيًا أو سلبيًا"[1].

أما القسم الثاني فيقوم على طرائق الفصل وهي التي "تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد، وإنما وقع الفصل بينها وعُمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينها لأسباب دعا إليها الحجاج"[2].

- **طرائق الوصل:**

حصر الباحثان طرائق الوصل في ثلاثة أنماط: الحجج شبه منطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع.

- **الحجج شبه المنطقية:** وهي الحجج التي تستمد طاقتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية فهي تشبه الطرائق الشكلية والرياضية في البرهنة، ومن أمثال هذه الحجج حجة التناقض وعدم الاتفاق، حجة التماثل، الحجج القائمة على العلاقة التبادلية حجج التعدية، حجج علاقات التضمن[3].
- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:** فإن الحجج القائمة على بنية الواقع تستعمل الحجج شبه المنطقية " للربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلّمًا به وهذه الحجج التي تعتمد فيها لا تصف الواقع وصفًا موضوعيًا وإنّما هي طريقة في عرض الآراء المتعلّقة بهذا الواقع ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائع أو حقائق أو افتراضات"[4].

ومن أمثلة هذه الحجج: علاقة الوسيلة بالغاية، والسبب بالنتيجة.

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

[3]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص128-129.

[4]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص332.

- **الحجج المؤسسة لبنية الواقع:** وسميت بذلك لأنها تقوم على تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة كالمثل الذي يؤتى به لتأكيد فكرة ما، أو دحضها ويلحق بالمثل الاستشهاد بالنصوص الدينية، أو الأقوال الخالدة لتأثير في المخَاطب[1].

- **طرائق الفصل:**

تطرقنا فيما سبق إلى ثلاثة مظاهر لطرائق الوصل الحجاجي، وهي الحجج شبه المنطقية والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، وفيما يلي عرض لأهم مظاهر الفصل الحجاجي.

إن الانفصال بين العناصر في الحجاج تقتضي "وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعيّنها وإنّما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج والحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض مردّه إلى زوج الظاهر/الواقع أو الحقيقة، الظاهر هو الحد الأول والواقع هو الحد الثاني بمعنى أن الأشخاص أو الأشياء كلّها يمكن أن يكون لها حدّان ظاهر زائف وواقع حقيقي"[2].

فالحد الأول الذي يوافق الظاهر "هو ما يخطر بالذهن ويدركه الفكر منذ الوهلة الأولى فهو المعطى الراهن المباشر في حين أن الحدّ الثاني لما كان تمييزه لا يكون إلا في علاقته بالحدّ الأول ومقارنة به فإنّه لا يمكن أن يكون إلا نتيجة فصل تحدثه داخل الحد الأول وذلك من أجل القضاء على ما يمكن أن نلمحه في مظاهر الحد الأول ويزودنا الثاني في هذه العملية بالمقياس أو القاعدة التي تسمح لنا بالتمييز داخل مظاهر الحد الأول بين ماله قيمة وما ليس له قيمة"[3].

وهذه الثنائية النموذجية المظهر/الواقع، ترد إليها كل ضروب الفصل بين المفاهيم مثل: ظاهر/حقيقة، تحوّل/ثبات، كثرة/وحدة، جسم/روح.

---

[1]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص131.

[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص61.

[3]- المرجع نفسه، ص62.

فالمحاجج عند استخدامه تقنية الفصل "إنّما يهدم ثوابت ويقيم أخرى يدعمها بالبرهان حتى يحدث العوض ويحصل البدل"[1].

وحصيلة كل هذه التقنيات الحجاجية في نظر بيرلمان وتيتيكاه أن يكون "الخطاب في الحجاج على قدر المقام، بحيث يتطابق موضوع الخطاب وأسلوبه فلا يضطر بذلك المحاجج في فترة لاحقة من خطابه إلى التراجع أو تغيير المواقف أو المواقع إلى غير ذلك من المنغصات التي تفقد الحجاج مصداقيته"[2].

فنظرية بيرلمان وتيتيكاه ساهمت إلى حد بعيد في إحياء البلاغة وساهمت في إثارة بعض القضايا الجوهرية، من منظور أفاد تصور معطيات المنطق الحديث، كما ساهمت بشكل فعال في الحدّ من "غلواء التحليلات الشكلية وتشير إلى ضرورة الاهتمام بالوظيفة إلى المدى البعيد في الخطاب برمته"[3].

## 2-مفهوم الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر:

لم يقف الأمر في مباحث الحجاج عند حدود "إحياء الخطابة القديمة وتلقين التقنيات الحجاجية للجمهور، بل ظهرت توجهات أخرى حاولت وصل الحجاج بقطاعات أخرى في مجال العلوم الإنسانية، وخاصة المنطق واللسانيات"[4].

فإذا كانت نظرية الحجاج التي جاء بها **بيرلمان** و**تيتيكاه**، قامت على أسس فلسفية ومنطقية بمفهوم كلاسيكي للحجاج، فإن نظرية الحجاج في اللغة التي جاء بها كل من **ديكرو Ducrot** و **أنسكومبر Anscombre** من خلال مؤلفهما **الحجاج في اللغة** الذي صدر سنة 1983م، وضعت في إطار اللسانيات، فنظريتهما تختلف في

---

[1]- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م ص315.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص133.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1992م ص72.

[4]- الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد01، المجلد34، يوليو-سبتمبر، 2005م، ص213.

تصورها لمفهوم الحجاج الكلاسيكي الذي يرى أن الحجاج عبارة عن نشاط ليست له أي علاقة بالتركيب اللغوي ويتعلق بآثار الكلام فقط.

وتعتبر أعمال كل من **ديكرو** و**أنسكومبر**، مرجعيًا إلى الإسهامات التداولية التي ميزت نظرية الأفعال اللغوية عند **أوستين** و **سورل** كما استندت إلى بعض أبحاث **إميل بنفيست** حول التلفظ، ويمثل عمل هذين الباحثين تيارًا تداوليًا مختلفًا قارب الحجاج من زاوية أخرى ولم يكن هم الباحثين بناء الحجاج على الأسس الفلسفية أو المنطقية أو البلاغية، ومن ثم لم ينشغلا بوقائع الإقناع، بل بحثا في الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع لذلك انتهيا إلى أن اللغة تحمل في طياتها بعدًا حجاجيًا كامنًا في صميم بنيتها الداخلية فقامت نظرية الحجاج في اللغة عند **ديكرو** و **أنسكومبر** على الوسائل والإمكانات اللغوية لتحقيق بعض الأهداف والغايات الحجاجية[1].

فاللغة في نظرهم تحمل في طياتها بعدًا حجاجيًا في جميع مستوياتها، فهي طريقة للسجال ومسرح لظهور المقتضى باعتباره شكلًا من أهم الأشكال الحجاجية يقول **ديكرو**: "ليس المقتضى حدثًا بلاغيًا مرتبطًا بالقول، وإنما هو منغرس في اللغة نفسها، وهو ما يدعونا ضرورة، إلى أن نعتبر اللغة، بصرف النظر عن استعمالاتنا المختلفة لها، مسرح محاورة ومواجهة بين الذوات البشرية"[2].

تقوم نظرية **ديكرو** و **أنسكومبر** على جملة من المفاهيم هي: العلاقات والمواضع الحجاجية، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية، السلّم الحجاجي.

**أ-العلاقات والمواضع الحجاجية:**

الحجاج في نظرية **ديكرو** عبارة عن علاقة دلالية تربط بين الأقوال، بحيث يقوم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم لقول معين يعتبر حجة، يستهدف به إقناع المخاطَب بقول آخر، سواءً كان هذا القول أو النتيجة صريحة أو ضمنية، وهذه العلاقة

[1]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص95.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص35.

بين الأقوال والنتائج تسمى العلاقات الحجاجية وهي علاقة خطابية، لا يحكمها الاستلزام المنطقي بل تسيرها وتؤطرها المواضع الحجاجية[1]، ويمثل الموضع "مبدأً حجاجيًّا عامّا من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيًا للحمل على قبول نتيجة ما، فالموضع فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع وعليها يرتكز الاستدلال في اللغة"[2].

فالمواضع هي "بمنزلة الآليات التحتية التي تسمح بإنجاز النشاط الحجاجي في اللغة وذلك من خلال العلاقة التي تنسجها مع العامل أو الرابط الحجاجيين"[3].

وكل علاقة حجاجية تتطلب "وجود موضع بين الحجة والنتيجة أي مسارًا مبررًا يعتمد في الانتقال الحجاجي، أي أنها تحظى بقبول جماعي في مجتمع وحقبة معينين"[4].

ويمكن التمثيل لذلك بما يلي:

هذا المنزل ثمنه منخفض، فهو إذا يستحق الشراء.

فهذه العملية الحجاجية تستند إلى موضع يتمثل في الرأي العام القائل اشر ما كان ثمنه منخفضًا.

**ب-العوامل الحجاجية:**

وهي عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي، ومكونات معجمية مثل: ربما، كاد، قليلا، كثيرا[5].

---

[1]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص98.

[2]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص38.

[3]- الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد1، المجلد34، يوليو-سبتمبر، 2005م، ص237.

[4]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص99.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص100.

ويكمن دور العامل الحجاجي أنه "يستجيب لجوهر نظرية الحجاج وتحديدًا ما يسمى بالحجاج التقني القائم على مفهوم التوجيه، فهو يخدم النظرية القائلة بأنّ أساس اللغة أنّها حجاجية لا إبلاغية"[1].

فالعامل الحجاجي "لا يضيق من احتمالات المحاجّة المسجّلة في جملة من الجمل ولكنّه يقيّدها بمسارات تربط بين الحجة والنتيجة، وبهذا يصبح العامل الحجاجي شبكة من المواضع التي تمثل مسارات حجاجيّة ينبغي اتباعها لبلوغ نتيجة ما"[2].

كقولنا: ما نجح من الطلبة أحدا إلا عمر.

**جـ-الروابط الحجاجية:**

"هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية وهي صنفان:

- روابط مدرجة للحجج مثل: حتى، لكن، لأن.
- روابط مدرجة للنتائج مثل: إذا، أخيرا، بالتالي"[3].

وتعمل الروابط الحجاجية على الرّبط بين الوحدات الدلالية داخل النسق القولي.

ولبيان الوظيفة الحجاجية لهذه الروابط يقدم لنا شكري المبخوت مثالا عن ذلك[4]:

- لن نفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا.
- سنفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا.

وإذا ما أسقطنا وسائل الربط الحجاجية على هذين المثالين فإننا سنجد:

- لن نفتقر فما ثمن التذكرة إلا ثلاثون دينارا.
- سنفتقر فما ثمن التذكرة إلا ثلاثون دينارا.

---

[1]- عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011م، ص81.

[2]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص383.

[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص100.

[4]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص376.

نلاحظ أن الربط في المثال الرابع غير سائغ، في حين جاء الربط في المثال الثالث حسن جميل، وهذا راجع إلى دخول الحصر على الجملة ووجّهها وجهة إيجابية.

**د-السلم الحجاجي:**

يقول **ديكرو**: "إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية لحجج نسميه سلّمًا حجاجيًا"[1].

وعرّفه **طه عبد الرحمن** بأنه "هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[2].

فقولنا: زيد من أنجب الطلاب، فقد تحصل على ميدالية التقدير من الدرجة الأولى ونال وسام الملك من الدرجة الأولى، ثم نال وسام الملك من الدرجة الممتازة فحصول زيد على ميدالية التقدير هي حجة أولى على كفاءته، ونيله الوسام حجة أقوى من الحجة الأولى والوسام الثالث فهو أقوى الحجج أو الأدلة على كفاءته.

ومن أجل توضيح هذه الفكرة أكثر نورد المثال الآتي:

- الطقس دافئ.
- الطقس ساخن.
- الطقس حار.

فإذا أعطينا حجة لنتيجة هي البقاء في البيت بدل الخروج، فإن الحجة الثالثة تكون أقوى الحجج، فنقول: البقاء في المنزل أفضل من الخروج لأن الجو حار.

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص101.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

## 3-مفهوم الحجاج عند ميشال مايير وفلسفة المساءلة:

يقوم مشروع **مايير Meyer**، مما استخلصه من مفاهيم المدرسة الفرنسية، ومن أعلام البلجيك وعلى رأسهم بيرلمان.

ينطلق **مايير** في مشروعه الفكري من فكرة مفادها "أن العقلانية الأوروبية عرفت انهيارات متتالية منذ مطلع القرن العشرين قادتها إلى العدم و إلى الحرب، ومرد ذلك في تصوره إلى إنبناء هذه العقلانية على أسس المقتضى والحكم وعدم التناقض، والتي انغرست في صلبها منذ **أرسطو**، وعلى الرغم من أن المشروع الديكارتي قدم نفسه بمثابة تجاوز للأرسطية، وبوأ الذات المفكرة موقع الضامن والمكون لعملية التفكير، فإن هذه الذات، سواء مع ديكارت أو كانط، ظلت متعالية، تلغي أي مساءلة وتعطي للوجوس شكل المقتضى"[1].

وتعد نظرية المساءلة إحدى "النظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة والخطاب الذي يتم داخل عمليات التخاطب خاصة، سواءً كان تواصليًا عاديًا أم حجاجيًا يهدف إلى الإقناع"[2].

**فمايير** أسس مشروعه الفلسفي انطلاقًا من قراءة تاريخ الفلسفة من منطلق جديد ومن تجاوز للراهن فيقول: "اليوم مع موت الذات المؤسسة اختلفت الأمور عما كانت عليه فلم يعد من الممكن التفلسف دون أن نعيد التمشي من الأساس، فالأساس الذي يتحدث عنه فهو العودة بالفلسفة إلى وظيفتها الأولى التي ليست إلا المساءلة التأسيسية، ليبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في أبعادها وخصوصياتها"[3].

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص103-104.

[2]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص196.

[3]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص389.

لذلك عرّف **مايير** الحجاج بأنه "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[1].

والمقصود هنا أن الكلام المصرح به هو السؤال المطروح، أما الضمني فهو الإجابة المنتظرة، وفي السؤال والجواب يكون النقاش والجدل.

وقد استفاد **مايير** "من مختلف العلوم المعاصرة للتّواصل والنّظريات المعرفية والهرمونيتكا والظّاهراتيّة في قراءة البلاغة الكلاسيكية والجديدة معًا، فتمكن من إبراز المكونات الجديدة للخطاب الحجاجي البلاغي من خلال تصوّر جديد منفتح على العلوم الإنسانية والفلسفية بالخصوص"[2].

لقد أولى **مايير** للصور البيانية أهمية كبيرة في تأسيس العملية الحجاجية، متأثرًا بالفكر الأرسطي وإسهامات **بيرلمان** في هذا المجال، وحسب **مايير** فإن البلاغة تشغل مساحة مركزية في التصورات التي يشكلها الإنسان عن نفسه وعن العالم، لأن موضوعها هو أوجه استعمال الخطاب المنذور لإثارة الإعجاب والإقناع، وللترافع كما للتداول وللاستدلال كما للافتنان، لذلك شدت إليها الانتباه منذ القديم أي قبل أرسطو، فالبلاغة لا تكون إلا حجاجية لأنها ترتبط بالمحتمل والخلافي في المجال الإنساني، ومهمة الحجاج عنده أن يشتغل في خضم هذا التواصل الإنساني، فالناس حينما يتكلمون يسائلون ويستشكلون، أي يحاججون[3].

عمّق **مايير** دراسته للعلاقات التخاطبية المتصلة بالحجاج على العناصر الثلاثة التي حددها أرسطو: **الإيتوس** الصفات المتعلقة بالمتكلم، و **الباتوس** التأثير في الآخر، و **اللوغوس** الخطاب أو اللغة أو العمليات الاستدلالية العقلانية داخل الخطاب[4].

---

[1]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص37.

[2]– باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، ص42.

[3]– ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص107.

[4]– ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص205.

وأعاد **مايير** صياغة العناصر الخطابية الأرسطية السابقة في ثلاثة أركان أساسية هي: "**الأخلاق**، و **السؤال**، و **الجواب**، ويكون بهذا قد اختزل عنصر المخاطَب وهو يقرّ بأهميته وألحقه بالمتكلم، وفرع اللوغوس إلى عنصرين: السؤال والجواب"[1].

ويلحّ **مايير** أن يتوافر في المتكلم طاقة تأثيرية، وثقافة عميقة، ووعي بمستويات مخاطبيه إذ بهذه المعرفة يستطيع المتكلم صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية التي يستدعيها المقام، ويستطيع كذلك إذكاء روح التفاعل بينه وبين المستمعين وتحويلهم من موقع السلبية إلى موقع الفعلية[2].

وهكذا بعض استعراض لأهم النظريات الحجاجية في الفكر الغربي المعاصر نلاحظ أن هناك تنوع في النظريات الحجاجية، وتعدد منطلقاتها وأهدافها وغاياتها وتماسها مع البلاغة بدرجة أو بأخرى، سواء منها ما وضع في إطار فلسفي مثل ما جاءت به نظرية **بيرلمان**، أو ما عالجته نظرية **ديكرو** و**أنسكومبر** التي اهتمت بالوسائل اللغوية في إطار مشروع لساني، أو ما زاوج بين هذا وذاك كنظرية المساءلة عند **مايير**[3].

**رابعا-الحجاج في الفكر العربي الحديث:**

لم تطالعنا المدونات العربية الحديثة بآراء مختلفة عن آراء الدارسين الغرب، ولم نجد منهجًا جديدًا في الحجاج في الفكر العربي المعاصر، فقد اقتصرت أكثر هذه الدراسات العربية على الترجمة والتطبيق، ولكن يمكن لنا تلمس بعض المحاولات الجدية في أبحاث المحدثين، ولا سيما أولئك الذين نظّروا للحجاج من زوايا غير لغوية والتي انطلق منها الدرس الحجاجي كالفلسفة عند **طه عبد الرحمن**، والبلاغة القديمة عند **محمد العمري** وغيرهم.

---

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص399.

[2]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص137-138.

[3]- ينظر: أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، ص107.

**1-الحجاج عند طه عبد الرحمن:**

تمتاز نظرية الحجاج عند **طه عبد الرحمن** بطابعها الفلسفي، كونه أستاذاً للمنطق وفلسفة اللغة، واتكائه على مؤلفات تعتمد على المنطق والفلسفة كالمؤلفات العربية القديمة من جهة و المؤلفات الغربية القديمة والحديثة من جهة أخرى.

يضع **طه عبد الرحمن** نظرية الحجاج انطلاقًا من صفة الخطابة لأن "الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناءً على أنه لا خطاب بغير حجاج"[1].

ويرى **طه عبد الرحمن** أن الخطاب يبنى على قصدين هما:

**أ-قصد الإدعاء:** وهو "أن المنطوق به لا يكون خطابًا حقًا، حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة"[2].

**ب-قصد الاعتراض:** يكون من المخاطَب أو المنطوق له "حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه"[3].

وقد صنف **طه عبد الرحمن** الحجاج إلى ثلاثة أصناف:

**أ-الحجاج التجريدي:** يقوم هذا الحجاج على اعتبار ترتيب الصور وإلغاء المضمون والمقام، وهو من المراتب الدنيا للحجاج.

**ب-الحجاج التوجيهي:** يقوم هذا الحجاج على إقامة الحجة أو الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، والتوجيه هنا هو إيصال المستدل دليله إلى غيره، وهذا النوع من الحجاج يستند إلى النظرية اللسانية المعروفة باسم نظرية أفعال الكلام والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل.

**جـ-الحجاج التقويمي:** وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل أن يجرد من نفسه ذاتا ثابتة ينزلها منزلة المعترض على دعواه، أو ما يسمى في النظرية اللسانية

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص213.

[2]- المرجع نفسه، ص225.

[3]- المرجع نفسه، ص225.

بالتشخيص أي أنه ينبني أصلًا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي، مستبقًا استفساراته واعتراضاته ومستحضرًا مختلف الأجوبة عليها، لإقناع المخاطب بها[1].

ويضفي **طه عبد الرحمن** على الحجاج صفته التداولية "فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، وهو أيضًا جدلي لأن هدفه إقناعي، وأن يُقيم المتكلم المخاطَب معاني غير تلك الذي نطق بها تعويلًا على المجال التداولي المشترك بينهما"[2].

**2-الحجاج عند محمد العمري:**

أطلق **محمد العمري** على الحجاج تسمية الخطاب الإقناعي في كتابه: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ففي هذه الدراسة حاول تتبع مسار الخطاب الإقناعي **الحجاج** في الخطابة العربية في القرن الأول الهجري معتمدًا في ذلك على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، وخصوصًا الحجج والبراهين التي أفردها **أرسطو** في كتابه الخطابة، إلا أن محمد العمري ركز على عنصريين اثنين من عناصر الإقناع في الدرس البلاغي العربي القديم وهي: المقام وصور الحجاج المتمثلة في القياس، المثل، الشاهد، بالإضافة إلى عنصر الأسلوب.

وصنف المقامات إلى أنواع:

مقامات الخطابة السياسية، مقامات الخطابة الاجتماعية، مقامات الخطابة الدينية.

وجعل الحجاج في صور ثلاث:

**أ-القياس:** وهو القياس المضمر القائم على الاحتمالات ومن أدواته: التعارض، التضاد المستقصي.

---

[1]- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226-228.

[2]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص65.

**ب-المثل:** هو حجة بلاغية أو استقراء بلاغي يقوم على المشابهة من حالتين في مقدمتهما وينتظر من نتيجة في إحداهما أن تكون مشابهة للأخرى، ويعتبر المثل من أكبر دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع في المتلقي.

**جـ-الشاهد:** وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية على حد تعبير أرسطو ويجمع الأمثال والأبيات الشعرية والآيات القرآنية.

تطور الدرس الحجاجي قديمًا في الثقافتين الغربية والعربية، لكن معالمه كانت واضحة في الثقافة الغربية القديمة، وممنهجة بشكل واضح نتيجة ارتباطه بعلم الكلام والجدل والخطابة والبلاغة، وعانى في بداية نشأته على يد السفسطائيين، الذين ربطوه بالمنفعة، واعتمدوا على الأغاليط الدلالية من خلال التلاعب بالمقدمات والفرضيات والحجج والنتائج، في حين اعتمد **أفلاطون** على منهج المحاورة في سبيل دحض آراء السفسطائيين، معتمدًا على الفلسفة الحقيقية، وجاء **أرسطو** بفكر نير ميز فيه بين الجدل والخطابة، وأخذ الإقناع دوره في أفكاره وفي مشروعه، وفي العصر الحديث تطور الدرس الحجاجي أكثر على يد أعلام وفلاسفة ذهبوا مدارس شتى، وكان لأعلام العرب قديمًا وحديثًا إسهامات مهمة وواضحة في الدرس الحجاجي[1].

[1]- ينظر: باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، ص57.

## المبحث الثالث: أبعاد الكلام في الحجاج.

### أولا-مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه:

يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرّج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة، لأن الحجاج بوصفه عملية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع وإنما يرتبط بقوة وضعف الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب فالمخاطِب يحاول أن ينظم حججه أثناء عملية التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معايير متعددة، منها مرتبة المخاطَب وطبيعة المخاطِب، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي[1] لهذا يمكن القول إن "السلّم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج"[2].

وتتجسد وفق الشكل الآتي:

وترمز **(ن)** إلى النتيجة المقصودة من الحجاج، أما **(ح1، ح2، ح3)** ترمز إلى الحجج المعتمدة أثناء العملية التخاطبية لنصل إلى النتيجة.

فمن خلال هذا المثال نجد تدرّجًا وترتيبًا في استعمال الحجج في منحى تصاعدي أفضى إلى النتيجة **(ن)** ضمن سلم حجاجي.

ويعدّ السلم الحجاجي "مجموعة غير فارغة من القولات، مزودة بعلاقة ترتيبية"[3] تخضع لشرطين أساسيين هما:

**الشرط الأول:** كل قول أو حجة يرد في درجة ما من السلم الحجاجي يكون القول الذي يعلوه دليلًا أقوى منه بالنسبة للنتيجة، ففي المثال السابق نجد أن قوة الحجة تزداد كلما تصاعد ترتيب الحجج، فالحجة عمر يراجع دروسه تعلوها حجة عمر مجتهد وهي أقوى من الحجة الأولى فالاجتهاد أقوى وأبلغ من مراجعة الدروس، أما حجة عمر

---

[1]- ينظر: حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص100.

[2]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص59.

[3]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد02، المجلد40، أكتوبر-ديسمبر،2011م، ص93.

الأول في دفعته هي أقوى من الحجتين السابقتين، فنيل عمر للمرتبة الأولى في دفعته أقوى دليل من الاجتهاد ومن مراجعة دروسه.

**الشرط الثاني:** إذا كانت الحجة **(ح1)** تفضي إلى النتيجة **(ن)** فهذا يستلزم أن الحجة **(ح2)** أو **(ح3)** التي تعلو درجة تؤدي إلى نتيجة **(ن)** والعكس غير صحيح وإذا اعتمدنا على المثال السابق فإن كانت الحجة الأولى عمر يراجع دروسه تفضي إلى نتيجة مفادها أن عمرًا ناجح، فإن الحجة الثانية أو الثالثة عمر مجتهد أو عمر الأول في دفعته وهما تعلوان الحجة الأولى تؤديان بالضرورة إلى النتيجة نفسها عمر ناجح[1].

وعليه فإن المرسل في الخطاب الحجاجي يقصد المخاطَب لفعل معين من أجل التأثير فيه اعتماد على سلم حجاجي يكون "بمنزلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، وهذه الحجج التي يوردها لن تكون على درجة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوة والضعف"[2].

ففي المثال السابق نجد أن الحجة عمر يراجع دروسه لا تعني بالضرورة أن عمرًا ناجح، إلا أن الحجة عمر الأول في دفعته زادت من قوة الحجة الأولى عمر يراجع دروسه، وبالتالي توصلنا إلى النتيجة المرجوة عمر ناجح.

وتجدر الإشارة هنا أن السلم الحجاجي يتأسس وفق ثلاثة قوانين هي:

**1-قانون النفي:** إذا كان " قول ما **(أ)** مستخدمًا من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي **(أ)** سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة"[3].

بعبارة أخرى، فإذا كان **(أ)** ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة **(ن)** فإن **(أ)** ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة **(لا-ن)** ويمكن أن نمثل لهذا بالأمثلة التالية:

عمر يراجع دروسه، لقد نجح في الامتحان.

---

[1]- ينظر: حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص101.

[2]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد02، المجلد40، أكتوبر-ديسمبر، ص95.

[3]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص60.

عمر لم يراجع دروسه، إنه لم ينجح في الامتحان.

**2-قانون القلب:** ويعد متممًا للقانون السابق ومفاده "أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية"[1].

أو بعبارة أخرى نقول: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ولنوضح هذا بالمثاليين التاليين:

حصل عمر على الماجستير وحتى الدكتوراه.

لم يحصل عمر على الدكتوراه بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول عمر على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هي الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه[2].

**3-قانون الخفض:** مقتضى هذا القانون يكون باستطاعة المخاطِب أن يغير تراتبية الحجج في السلم اعتمادًا على معطيات تؤثر في العملية الحجاجية كاستعماله حجج جديدة مقابل لحجج سابقة، تبعًا لقوتها أو ضعفها، حتى تصل النتيجة إلى المخاطَب ولتوضيح ذلك نعتمد على هذا المثال:

عمر يراجع دروسه **(ح1)** عمر الأول في دفعته **(ح2)** عمر ناجح **(ن)** فلو اعتمدنا على حجة ثالثة مفادها: عمر تحصل العلامة الكاملة، في هذه الحالة يصبح الحجاج أقوى والنتيجة أبلغ.

---

[1]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص61.

[2]- ينظر:المرجع نفسه، ص61.

**ثانيا-الروابط والعوامل الحجاجية:**

درج النحاة القدامى والباحثون والمحدثون على دراسة الروابط من خلال التركيز "على خائصها الدلالية، وطبيعتها الصرفية، ووظيفتها الإعرابية، ودورها في ضمان اتساق النصوص وانسجامها، غير أن الزاوية التي أطلت منها البحوث اللسانية التداولية على هذا الموضوع تختلف جذريًا عن سابقتها، ووجه الاختلاف بينهما يتمثل في التركيز على البعد التداولي والحجاجي لها"[1].

وهذه الروابط عبارة عن وحدات صرفية تؤدي وظيفة الربط داخل النسق الكلامي وتكون بين ملفوظين مختلفين بناءً على علاقة معينة كعلاقة الإضافة أو علاقة التعارض، أو علاقة الشرح والتفسير، وتتألف من مجموعة من المكونات كحروف العطف، والتعابير الظرفية والأسماء والأفعال والصفات.

وقد استأثر موضوع الروابط باهتمام الباحثين والدارسين، فتعددت المسميات، فنجد **فاين دايك** يسميها الروابط الدلالية والروابط الحجاجية، أما **ديكرو** فأطلق عليها اسم الروابط الحجاجية ليسميها في سنة 1983م بالعوامل الحجاجية، في حين وظف **روليه** مصطلح الروابط التفاعلية، أما **بلاكمور** فذكرها تحت اسم الروابط التداولية، واستعملها **جون مارك** بعلامات الربط[2].

يؤكد **موشلر** و **ربول** "أن التمييز بين الروابط والعوامل لم تتضح معالمه في الأدبيات المنطقية والتداولية، لكن ذلك لا يحول دون الإقرار باختلافهما فالعامل الحجاجي يؤدي وظيفة الربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل الكلامي نفسه وتتصف العوامل بدورها في توجيه دلالة الملفوظ وجهة دون أخرى"[3].

ومثال ذلك:

بالكاد حصل عمر على نتيجة متوسطة.

---

[1]- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص151.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص152.

[3]- المرجع نفسه، ص152.

ففي هذا المثال جاء العامل بالكاد ليدعم النتيجة المتمثلة في الإقرار بضعف مستوى عمر وهذه النتيجة تختلف عن الدلالة التي يكشف عنها الملفوظ إذا ما جرد من العامل بالكاد فتصبح الجملة ذات محتوى خبري:

حصل عمر على نتيجة متوسطة.

لذلك تلعب الموجهات دورًا أساسيًا في تعديل المحتوى للملفوظات وتوجيهها.

أما الروابط تضطلع "بوظيفة التأليف بين فعلين كلاميين مختلفين، أي بين قضيتين أو أكثر تجمع بينهما علاقة ما، كعلاقة التعارض أو السببية"[1].

كما في المثال التالي:

لم ينجح عمر في الامتحان لأنه متهاون.

فيجوز لنا تقسيم هذا الملفوظ إلى وحدتين أو قضيتين هما: لم ينجح في الامتحان، متهاون، وهما وحدتان مترابطتان بعلاقة السبب والنتيجة، على اعتبار أن عدم نجاح عمر في الامتحان راجع إلى تهاونه.

ووظيفة الروابط لا تتوقف فقط عند حدود التأليف بين ملفوظين، وإنما تتعدى ذلك إلى تأدية دور مهم في فهم العملية الخطابية وتأويلها "إذ لا تعمل باعتبارها علامات بسيطة، ولا باعتبارها معالم، بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية، ولا يمكن التأويل من دونها"[2].

فالعملية الحجاجية ترتكز أساسًا على هذه الروابط الموظفة بشكل كبير، وتوجه العملية الحجاجية وجهة أخرى، ويمكن أن نسوق الأمثلة للتدليل عل ذلك:

فعندما نستعمل رابط مثل **حتى**، فمن الواضح أنه مثقل بحمولة حجاجية واضحة، تتجلى معالمها إذا توقفنا عند ملفوظ يتألف من وحدتين تترابطان بـــ: **حتى** فإذا قلنا:

حصل عمر على شهادة الإجازة، وحتى الدكتوراه.

---

[1]– جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص153.

[2]– جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص173.

فالقضية الثانية أقوى من الأولى، وإذا قلنا:

حصل عمر على شهادة الدكتوراه، وحتى على شهادة الإجازة.

فالمتكلم هنا رتب الحجج ترتيبًا يعكس أهميتها ودرجة قوتها.

هذا البعد الحجاجي نلمسه أيضًا مع روابط أخرى مثل **لكن** الذي "يقترن بالملفوظات ذات العلاقة المتعارضة، وهي علاقة تفترض أنه إذا كانت هناك حجة تنتمي إلى طبقة حجاجية معينة تدعم نتيجة مخصوصة، فإن هناك حجة معارضة تنتمي لطبقة حجاجية مختلفة ومعناه أن الرابط **لكن** يوظف حين تنتمي الحجتان لطبقتين حجاجيتين متعارضتين"[1].

مثال ذلك:

عمر بارع، لكنه متهاون.

ففي هذا الملفوظ يمكن أن نميز ثلاثة وحدات هي الحجة والحجة المعارضة والنتيجة فالحجة الأولى تدعم النتيجة مخصوصة، وهي التعويل على عمر في كل ما يسند إليه من إنجازات ببراعة ودقة، بالنظر إلى ما يختزنه عمر من مواهب وقدرات، غير أن الحجة المعارضة تدحض هذه النتيجة على اعتبار أن عمرا معروف بتهاونه، لذلك فإن التعويل عليه لإنجاز ما يسند إليه قد يستغرق حيزا زمنيا طويلاً.

**ثالثا-أدوات الحجاج وآلياته:**

الخطاب الحجاجي ميدان ثريّ للدراسات المتنوّعة، وهذا من منطلق غناه التكويني وتعدد الأبعاد التي ينطوي عليها، فالممارسة الحجاجية الفعلية "تتبلور فيه، وتتجسّد في ثناياه مثل الأبعاد السّياقية والمنطقية واللغوية، فالخطاب الحجاجي ثمرة لقدرة الإنسان التواصلية بوصفه ممارسة ناتجة عن تفعيل الكفاءة الحجاجية ذاتها، لهذا يفترض أن ننظر إلى الحجاج ضمن الإطار الكلي لعملية التواصل الإنساني"[2].

---

[1]- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص157.

[2]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج01، ص76.

والحجاج بوصفه ممارسة له ثلاثة مكوّنات كبرى هي "المكوّن السّياقي أو الثقافي والمكوّن المنطقي، والمكوّن اللغوي، إذ تسري علاقات التأثير بين هذه المكوّنات الثلاثة سريانًا طبيعيًا ولازمًا، بوصف المكوّن السّياقي هو مكوّن المدخلات الرّئيسية، والمكوّن اللغوي هو مكوّن المخرجات النهائي، ويربط المكوّن المنطقي بين مكوّن المدخلات، أي المكوّن السّياقي ومكوّن المخرجات المكوّن اللغوي، فيصوغ مستعمل اللغة الطبيعي خطابه الحجاجي وفق المقتضيات المنطقية التي توجّهه في اختيار أدواته المنطقية وآلياته الاستدلالية"[1].

ويتجلى الحجاج في الأخير في خطاب لغوي، يحمل المكونات السالفة الذكر، فهو دليل عليها، وخاصة المكوّن اللغوي الذي يرتبط تداوليًا بالمكونات الأخرى، فالحجاج يقوم على استصفاء لغته التي يقوم بها "قانبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج"[2].

وتعد التداولية من أفضل المناهج التي تحقق العلاقة بين تلك المكوّنات الثلاثة الكبرى بوصف العلاقة بينها علاقة تداولية في الأصل مما يقود إلى إنتاج خطاب حجاجي "فدراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية، فإن لهذا الاعتقاد ما يبرره، إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريًا وباطنيًا لشروط القول والتلقي بعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي يبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة"[3].

---

[1]– حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج01، ص76.

[2]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص15.

[3]– حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد01، المجلد30، يوليو–سبتمبر، 2001م، ص101.

فالمخاطِب يعمد إلى توظيف هذه الأدوات اللغوية، بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، في إطار سياق معين، مما يكسب الخطاب الحجاجي ثراء التنوّع، ويمكن المخاطِب من حرية الاختيار حسب ما يقتضيه السياق، وليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها، ولكنها هي قوالب تعمل على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، كما تعين المخاطِب على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق، واستنادًا على كثير من النّظريّات الحجاجية، وموروث التقسيمات اللغويّة، يمكن تقسيم آليات الحجاج بعامة إلى:

- الأدوات اللغويّة الصرف، كألفاظ التعليل مثل: المفعول لأجله، ولأن، وكي والاستفهام، والنفي، والحجاج بالتبادل، والوصف.
- الآليات شبه المنطقية يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية.
- الآليات البلاغية، كالاستعارة، والبديع، والتمثيل[1].

**رابعا-بنية الحجاج:**

يتأسس الخطاب الحجاجي في شكله العام من مكونات أساسية هي:

**1-الدعوى:** تمثل نتيجة الحجاج، وهي مقصد المخاطِب من حجاجه، وغايته في ذلك التأثير في المتلقي واستمالته لقبول فعل معين، سواء كانت هذه الدعوى عرضت بطريقة صريحة أو ضمنية يستنتجها المتلقي، اعتمادًا على كفاءته وقدرته الذهنية.

**2-المقدمات:** عبارة عن مسلمات وفرضيات وبديهيات وقيم يؤسس المرسل عليها حجاجه وترتبط هذه الأخيرة بالنتائج ارتباطا منطقيًا ودلاليًا.

**3-التبرير:** يمثل بيان البرهنة على مدى تطابق المقدمات المعروضة للنتيجة الحجاجية المرجوّة، فمتى كانت هذه المقدمات أقرب إلى الصدق كانت النتائج أكثر تسليمًا وأكثر إقناعًا للمتلقي.

[1]- ينظر، حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص79.

**4-الدعامة:** وهي مجموع الأدلة والحجج والبراهين التي يستعملها المخاطِب لبناء حجاجه بغرض تقوية الحجة ودفع المتلقي إلى تقبل أفكاره والاقتناع بها.

**5-التحفظات والاحتياطات:** وهي أن يضع المخاطِب في حسبانه أثناء عملية المحاجة كل الاحتمالات لتقدير ردود أفعال المرسل إليه تجاه النتائج المقصودة[1].

والعلاقة بين هذه المكونات تكون علاقة منطقية استنتاجية، معتمدة على القياس المنطقي في الحكم على المقدمات ومدى صلاحيتها للحجاج، ولهذا فإن "انتقاء المقدّمات ضروري وأساسي في عملية الحجاج إذ لا بدّ للمحتج لفكرة أو موقف أن يكيّف مقدماته مع أهداف خطابه فيكون الانسجام أو التناغم المقنع"[2].

وهذا ما يؤدي إلى إقناع المرسل إليه والتأثير فيه، وهو ما يجعل أيضًا المرسل يختار وينتقي المقدمات تبعًا لطبيعة المرسل إليه ومدى تلاؤمها مع السياق الخطابي الحجاجي، إضافة إلى ذلك يجب على المرسل أثناء ممارسة العملية الحجاجية أن يجعل من المقدمات أرضية تؤسس لبناء واستعمال الحجج لأن "انتقاء العناصر من شأنه أن يعكس أهميتها في الخطاب ويمنحها حضورًا يعد عاملًا أساسيًا في الحجاج"[3].

من خلال ما سبق التطرق إليه في هذا الفصل، نستخلص أن الحجاج ينطلق في عمومه من قضية خلافية تكون بين طرفين مخاطِب ومخاطَب، ولهذا يجب أن تكون مقدمات الحجاج مسلمات وبديهيات لدى المتلقي لضمان استمرارية الخطاب الحجاجي ويجب على المخاطِب أن لا يعتمد على حجة بعينها أثناء العملية الحجاجية، ولا على نوع واحد منها ولا يؤثر في المتلقي من خلال وسيلة إقناعية واحدة، وإنما تجتمع هذه الحجج وتلك الوسائل الإقناعية على مدى تشعبها وتعددها، فتتضافر داخل السياق التواصلي الحجاجي لتحقق فعل التأثير في السامع.

---

[1]- ينظر: حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص109-110.

[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص185-186.

[3]- المرجع نفسه، ص186.

## الفصل الثالث: آليات ووسائل الحجاج في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك

**المبحث الأول**: الآليات اللغوية للحجاج.

**المبحث الثاني**: الآليات البلاغية للحجاج.

**المبحث الثالث**: الآليات التداولية للحجاج.

المبحث الرابع: الآليات المنطقية.

المبحث الخامس: الحوارية وطرق التواصل.

**أولا-التعريف بمدونة الدراسة: رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك:**

**1-عمارة لخوص:**

عمارة لخوص من مواليد 1970م بالجزائر العاصمة، يكتب باللغة العربية واللغة الإيطالية تخرّج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر عام 1994م، أقام في إيطاليا 18 عامًا، حصل على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة روما، يقيم في نيويورك منذ 2014م.

صدر له:

- **البق والقرصان:** صدرت عام 1993م، وترجمها إلى اللغة الإيطالية فرانشيسكو ليجّو عام 1999م.
- **كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك:** صدرت عام 2003م، أعاد المؤلف كتابتها بالإيطالية عام 2006م بعنوان: **صدام الحضارات حول مصعد في ساحة فيتوريو**، وترجمت إلى ثماني لغات: اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والهولندية واليابانية والدنماركية والأمازيغية، كما اقتبست إلى فيلم سينيمائي عام 2010م، من إخراج إيزوتاتوزو، حازت الرواية على جائزة فلايانو الأدبية الدولية عام 2006م، إضافة إلى جائزة المكتبيين الجزائريين عام 2008م.
- **القاهرة الصغيرة:** رواية صدرت باللغة العربية والإيطالية عام 2010م، ترجمت من اللغة الإيطالية إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية.
- **فتنة الخنزير الصغير في سان سالفاريو:** صدرت عام 2012م باللغة الإيطالية ترجمت إلى اللغة الفرنسية.
- **مزحة العذراء الصغيرة في شارع أورمبا:** صدرت باللغة الإيطالية عام 2014م ترجمت إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية.
- **طير الليل:** صدرت باللغة العربية عام 2019م.

تميزت أعمال الروائي عمارة لخوص بالجدية والرصانة، يبحث في المتناقضات، الانفتاح والانغلاق، المعقول والعبثي، الأمل واليأس، الحرب والوطن، والحب والخوف.

**2-محتوى الرواية:**

تروي لنا رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، حكاية مجموعة من المهاجرين الذين تقاطعت مصائرهم في مدينة روما الإيطالية، وتحديدًا في حي يدعى فيتوريو جاءوا من مناطق مختلفة من العالم الثالث ليبحثوا عن حياة جديدة في قلب العاصمة القديمة لأوروبا.

يعيش هؤلاء المهاجرين في عمارة تملكها سيدة إيطالية، وقد عانى هؤلاء المهاجرين كثيرًا من العنصرية ومن الملاحقات بسبب أن معظمهم لا يملك وثائق رسمية.

تتطور أحداث الرواية لما يكتشف سكان العمارة جثة شاب إيطالي داخل مصعد العمارة، لتتجه أصابع الاتهام إلى شاب يدعى **أميديو**والذي اختفى يوم الجريمة إلا أن أغلب سكان العمارة رفضوا أن يكون هذا الشاب الإيطالي من ارتكب الجريمة، لتطال أيادي الاتهام إلى واحدٍ من هؤلاء المهاجرين الذين جاءوا من بلدان متخلفة معروفة بالعنف.

طرحت الرواية الكثير من الأسئلة حول الشخصيات، حول الهوية، والهجرة، وحياة المهاجرين، وعن العنصرية، والطابع الصراعي الذي يضبط علاقة الإيطاليين بغير الإيطاليين.

حاولت هذه الرواية الإنصات إلى الواقع الإنساني للجماعات المهاجرة التي استقرت في الحواضر الأوروبية.

اعتمدت الرواية على الأسلوب البوليسي، حيث ارتكبت جريمة قتل، والجميع يتساءل عن القاتل، ومن يكون هذا الشاب الذي وضع حدًا لشاب عنصري داخل مصعد

العمارة التي يأوي إليها المهاجرون من كل أنحاء العالم ونجد أن الرواية ككل، من عنوانها إلى بناء الشخصيات وهندسة المكان وبنية الحوار وكذا بنية النص ككل، تقترح خطابًا فنيًا يحاول فهم آليات هذا الصراع[1].

## 3-قراءة سيميائية في العتبات النصية في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك:

### أ-عتبة الغلاف:

تأتي أهمية الغلاف من كونه الفضاء الأول الذي يلتقي به القارئ، وقد اهتم الروائيون العرب على هذا الفضاء لوعيهم بأهميته، حيث حولوه من مجرد وسيلة تقنية إلى محفز خارجي فني يساعد على تلقي النصوص ويشد انتباه القارئ.

إن المتأمل لغلاف الرواية يلاحظ أنه ليس غلافًا نمطيًا جاهزًا بل هو فضاء رمزي بامتياز له أبعاد دلالية كبيرة.

يجسد الغلاف الأمامي للرواية مجموعة من الألوان المتباينة والمتداخلة في تشكيل هندسي متناسق يشد انتباه المتلقي ويدفع به إلى التأمل، حيث يتداخل اللون الأزرق مع الأصفر إلى اللون الأحمر والبني، إضافة إلى اللون الأبيض والأسود، ونلاحظ سيطرة اللون الأزرق على غلاف الرواية، واللون الأزرق كما هو معلوم من الألوان الباردة يحمل دلالة الشساعة والامتداد، ولعل هذا ما يبرر طغيانه على فضاء غلاف الرواية أماميًا وخلفيًا.

يوحي لنا اللون الأزرق بالألم والمعاناة والانكسار والفساد، حيث اختزل لنا آلام ومعاناة الشخصية البطلة في الرواية شخصية **أميديو** ومن خلاله آلام المهاجرين الذين

---

[1]- ينظر: بن علي لونيس، الهوية الثقافية: من الانغلاق الإيديولوجي إلى الإنفتاح الحضاري: قراءة في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك للروائي عمارة لخوص، مجلة تمثلات، مجلة علمية يصدرها مخبر التمثلات الفكرية والثقافية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد02، المجلد1، 10جوان2015م، ص163-164.

عانوا في صمت الغربة والعنصرية والوحدة والحرمان، كما جسد لنا اللون الأزرق صراع الأنا والآخر.

أما اللون الأصفر يوحي إلى التعقل والأمل والفكر، وهذا ما جسدته الشخصية الرئيسية التي حاولت إخفاء الحقيقة، لكنها تسربت شيئًا فشيئًا كما تسرب اللون الأصفر على غلاف الرواية لتتكشف الحقيقة في آخر الرواية.

أما اللونان الأحمر والبني رسما لنا طبيعة اللوحة وهويتها التي هي أقرب إلى أحياء روما.

في حين جاء اللون الأبيض والأسود يحمل دلالة الهيمنة والتسلط على الوضع.

أما الغلاف الخلفي جاء يحمل تصريحات النقاد: **نبيل سليمان** و**نصر حامد أبو زيد** و**كمال الرياحي**، مما يساعد أو يساهم في الترويج لهذه الرواية ويعطيها مكانة متميزة عن باقي الروايات وأحقيتها في القراءة.

**ب-عتبة العنوان:**

يعد العنوان نسيج النص الإبداعي وأحد أهم مصاحباته، فهو العتبة الأولى التي تسمح لنا بفعل التفاوض إيذانًا بالدخول إلى عوالمه أو التراجع عن ذلك، فمن خلاله تقع لذة القراءة ويحكمنا العشق، أو يخيم الجفاء على مشهدية العلاقة بين النص والمتلقي.

في ضوء هذا نأتي لنقارب عنوان الرواية: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ونتلمس شعريته ونكشف أبعاده الدلالية.

عنوان يفصل بين العدم والوجود، بين الفناء والامتلاء، بين الحاضر والماضي

عنوان يمارس لعبته التناصية والإيحائية عنوان مارس سطوته على القارئ فوقع به في شباك التأجيل والإرجاء الدلالي.

وعليه يمكننا أن نقرأ العنوان عبر قنوات متعددة:

-**كيف:** علامة استفهام، وهي دلالة لغوية حالية تشير إلى البنية النصية العامة للرواية.

-**ترضع:** وردت ترضع على صيغة الفعل المضارع وهي صيغة تدل على الحاضر كما تنفتح زمنيًا على المستقبل، وتوحي بالحليب الذي يرمز إلى النقاء والصفاء، والذي يجسد ارتباط الرضيع بأمه ويضمن الاستمرارية، فالرضاعة توحي بالاندماج في البيئة الجديدة.

-**الذئبة:** الذئبة حيوان مفترس وأم أيضا، ويبدو أن الراضع هو شخص فاقد لأمه ولا هوية له، والذئبة هي المرضعة، والذئبة هنا هي روما، التي من خلالها استطاعت الشخصية البطلة في الرواية شخصية **أميديو** أن تعرف الطريقة التي تمكنه من الرضاعة والعيش فيها بسلام دون مشاكل ولا عراقيل، وحسن التعامل مع أبناء روما، فقد أحسن **أميديو** الرضاعة واندمج مع أهل روما وأصبح واحدًا منهم يتواصل معهم يحبهم ويحبونه.

-**دون:** تفيد الاستثناء، أي من يقترب من الذئبة فهو معرض للخطر إلا من أتقن الرضاعة.

-**تعضك:** العض يوحي بالخيانة والغدر، والعنف والقساوة، فكل من يحاول الاقتراب من الذئبة سوف يتحمل مرارة الألم والمعاناة أو إلى الموت.

إن القراءة التناصية للعنوان أحدثت كسر أفقية المتلقي لتذهب به نحو العمق عبر علاقات حوارية وصراعية متأججة.

**جـــ-الشخصيات:**

كل شخصية في الرواية لها هويتها التي تميزها عن غيرها من الشخصيات الأخرى كل شخصية في الرواية تحمل ملامح شكلية ونفسية وبنية جسدية ولها من القيم والعادات والتقاليد والأعراف التي طبعت كل شخصية بمقادير متفاوتة من كل منها.

وفيما يلي تعريف بشخصيات الرواية:

-**باروييز منصور صمدي:** مهاجر من إيران متزوج وله أربعة أطفال: شادي وسعيد وصهراب وعمر، تركهم في إيران وهاجر إلى إيطاليا، يحب الطبخ، عمل عاملًا للصحون في المطاعم الإيطالية، يحب الخمر كثيرًا.

-**بندتا إسبوزيتو:** نابولية، تعمل بوابة في إحدى البنايات في روما لأكثر من أربعين سنة تكره المهاجرين.

-**إقبال أمير الله:** من بنغلاديش تعرض لعراقيل ومشاكل نتيجة خلط الشرطة بين اسمه ولقبه.

-**ماريا كريستينا:** من البيرو تخدم امرأة مسنة تدعى **السينيورا روزا** لتعيل أفراد عائلتها في ليما، تعيش في قلق دائم لأنها لا تملك وثيقة إقامة.

-**أنطونيو ماريني:** من روما، يعمل أستاذ جامعي في معهد التاريخ بجامعة روما.

-**إلزبتا فابياني:** من روما تعيش مع كلبها، هي امرأة عنصرية تكره المهاجرين.

-**يوهان فان مارتن:** من هولندا، جاء ليدرس السينما وإنتاجها في روما.

-**ساندرو دنديني:** من روما، صاحب بار في روما، حيرته شخصية أميديو لأنه يعرف تاريخ روما جيدًا أحسن من الإيطاليين أنفسهم.

-**ستيفانيا مسارو:** من روما، تدرّس اللغة الإيطالية وتعمل في وكالة سياحية تزوجها أميديو.

-**عبد الله بن قدور:** جزائري يبيع السمك، متمسك بدينه ولغته، الكاشف عن هوية أميديو.

-**ماورو بتاريني:** مفتش شرطة.

فالشخصيات الروائية التي وظفها الراوي تحمل كل شخصية مذهبًا وإيديولوجيا وثقافة وهواجس، عبرت بحق عن عالم واقعي مصغر من حيث العلاقات العامة فيما بينها، فكل شخصية جسدت فكرة وعبرت عن موقف إيديولوجي عالمي.

فرواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك عمل روائي تميز عن باقي الأعمال الأخرى لأنها قامت على بنية سردية فيها الخروج عن المألوف وتشويه تقاليد الكتابة الروائية، فجاءت على شاكلة الرواية البوليفونية إذ تعددت أصوات الشخصيات، حيث قامت الشخصية الساردة بالكشف عن إيديولوجيتها وهي تتحدث عن الشخصية البطلة في الرواية.

**ثانيا: الجنس الأدبي شروطه ومقتضياته:**

لا يختلف اثنان في أن قواعد الجنس الأدبي لها وجود سابق على المبدع، وبالتالي فإن اختياره لجنس من الأجناس الأدبية يفرضه المقام الذي يوجه المبدع في أن يعبر عن أفكاره بهذا الجنس أو ذاك، أما القدرة اللغوية فهي تقديم الأساليب اللغوية التي يستعين بها الكاتب في نقل أفكاره، غير أن الملكة التواصلية تتمثل في إجراء الكلام إجراء ناجعًا في مقام بعينه، ولعل أهم عناصر الملكة التواصلية الوعي الأجناسي الذي يجعل من المتكلم يختار وضعًا كلاميًا معينًا يتناسب ومقام القول، لأّن لكل جنس كتابي شروط قول تفرض اختيار أساليب دون أخرى بوصفها أكثر ملائمة للجنس الذي تم اختياره، فكما أن للجنس الأدبي قواعده وشروطه وأدواته التي لا يمكن للكاتب تجاوزها، فكذلك لكل جنس أدبي أساليبه التي تنسجم معه، وتكون أكثر فاعلية فيه من غيرها، وهذا كله من تحقيق التواصل والتأثير في المتلقي[1].

**ثالثا: الحجاج وعلاقته بالسرديات:**

يرى **سيمور شاتمان** في مقاله المؤسس **arguments et narration** أنه يمكن رصد "العلاقة بين الحجاج والسرد بسهولة، لقد كان السرد في خدمة الحجاج منذ غابر الزمن، كذلك يمكن أن نجد في النص التخييلي الأنماط الأربعة: السرد، الحجاج، التفسير الوصف، والتي يضيف إليها **جون ميشيل أدم**، الحوار كنمط خامس، هذه

[1]– ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص318.

الأنماط تختلط ويتكيف بعضها مع البعض الآخر، أي أن كلًا منهما تابع للآخر، كلًا منهما يخدم الآخر، وبذلك يمكن أن يكون السرد في خدمة الحجاج، وتابعًا له، تحت مفهوم الخدمة أو مفهوم التبعية"[1].

وعلى هذا النحو ليس السرد في الخطاب الإقناعي سوى تقنية من تقنيات الحجاج وبذلك فلا تعارض بين السرد والحجاج مادامت يقومان على تحقيق نتيجة واحدة وهي إثبات موقف السارد المحاج، وهذا ما ذهب إليه **أرسطو** إلى أن السرد يضيف إلى الوقائع صفات وتقويمات من أجل الإقناع والتأثير وتحريك الأهواء.

فالنصوص السردية ليست حكايات ممتعة فقط، ولكنها أداة للتواصل أي إنها تقوم على حكاية وشخصيات، فالغاية منها توجيه الفعل، ففي ثنايا السرديات القديمة يوجد الحجاج الذي يتشكل سردًا، وتعد الخرافات وقصص الحيوان والنادرة والخبر من أكثر الأنواع السردية التي يمكن الاستدلال بها على فاعلية السرد وخدمته للحجاج كما فعلت **سوزان سليمان**، فخرافات **لافونتين** لا تعلمنا فقط ولكنها تسعى دائمًا إلى توجيه أفعالنا وسلوكنا ومبادئنا لكي نعيش بشكل أفضل، فنصوص **ابن المقفع** و**الجاحظ** و**التوحيدي** وغيرهم، التي لا تكتفي هذه النصوص في تواصلها مع القارئ بتوصيل المعرفة سواء أكانت علمية أو دينية أو اجتماعية، بل تسعى إلى تشكيل المعنى والتأثير في سلوكه وأفعاله[2].

إن الأخبار في نصوص **الجاحظ** مثلًا حجج أو أفعال لغوية إنجازية تتوجه إلى القارئ موضحة ومذكرة ومنبهة وناصحة، فالمتلقي في نص **وفاء الكلب** يدرك سياقيًا

[1]– مصطفى رجوان، الرواية والحجاج، دار دجلة الأكاديمية، بيروت، لبنان، ط1، 2019م، ص41.

[2]– ينظر: أحمد صبرة، التشكّل والمعنى في الخطاب السردي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013م ص97.

أن ثمة فعل يطالبه بضرورة الإحسان إلى الحيوان وحسن الظن بهذا المخلوق الضعيف ومنحه التقدير الذي يستحقه في نظام الكون الذي دبره الله عزوجل بحكمته العجيبة[1].

كما يمكن النظر إلى كثير من الأخبار في كتاب **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لـــ: أحمد بن محمد بن عرب شاه**، بوصفها تمثيلات أو شواهد يستدل بها السارد على حكمة قائمة أو فكرة ماثلة، فوظيفة النص السردي هنا جاءت من أجل تدعيم الحكمة ومنحها حضورًا قويًا في الذهن، على نحو ما يمكن الوقوف عليه في حكاية أوردها في الباب الأول من الكتاب تتعلق بالأخوة التي وصفها الكاتب بأنها: البنيان الذي لا يهدمه معول الزمان، واستشهد لذلك من القرآن الكريم والشعر، فقد أورد السارد هذه الحكاية شاهدًا حكائيًا، احتج به على أهمية الأخوة التي لا بديل منها، لربما تترك آثارًا إيجابية في المتلقين العقلاء وذوي المكارم فيزدادون بصيرة وتتضاعف لذاتهم ويعملون على اتباع المسالك الحسنة[2].

ونجد في النص السردي الحديث، سواءً كان قصة أو رواية، يخدم السرد بتنظيمه ويخدم حبكته ويعطيه صلاحية وديناميةً، فالرواية أصبحت تعتمد على استراتيجية حجاجية من البداية إلى النهاية ونجدها تحاجج بخصوص قضية أو فكرة أو مجموعة من الأفكار المترابطة فيما بينها.

فالرواية لم تعد تهتم فقط بالمادة الحكائية والإثارة والتشويق، بل إن الروايات صارت تحمل الإيديولوجيا وتحاجج.

وهكذا نؤكد أن الرواية يمكن أن تشتمل على بنية حجاجية كلية "فتكون الأحداث والقصص الصغيرة المنضوية تحتها، والوقفات التحليلية، والوصف، وخطاب

---

[1]– ينظر: أحمد صبرة، التشكّل والمعنى في الخطاب السردي، ص98.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص100.

الشخصيات كلها ذات قيمة حجاجية تعزّز الإقناع بخصوص القضية المركزية ويكون الحجاج إما حجاجًا مباشرًا أو حجاجًا مضمرًا يستنفر الجهد التأويلي للقارئ"[1].

فالسارد عندما يقدم لنا نتيجة ويدعمها بقصة أو حدث أو مجموعة من الأحداث في الرواية، فإن هذه الأحداث تستند إلى بنية الواقع، فيها أحداث قابلة للوقوع فيه وشخصيات من لحم ودم، فالشخصيات في الرواية لا تختلف عن الأفراد في المجتمع وبالتالي فإنها تسهم في تخليق الحياة ورأي في القضايا الجادة المطروحة على الفكر وغيره من القيم السّجالية، وصولًا إلى لاشعور الآخر والتأثير فيه وتوجيهه[2].

يتوجه الحجاج إلى متلقٍّ، هذا المتلقي يكون معروفًا حسب السياق في المكان والزمان، وقد ميزت **روث أموسي** بين نوعين من المستمع:

- **مستمع حاضر.**
- **مستمع افتراضي.**

وينتج عن هذين من المستمع نوعان من الخطاب الحجاجي "يسمى الخطاب الأول، خطابًا تحاوريًا، والثاني استنادًا إلى **باختين**خطابًا حواريًا، وتضيف الخطاب الحجاجي دائمًا حواري، وليس بالضرورة تحاوريًا، وبطبيعة الحال فالرواية باعتبارها عملًا مكتوبًا عابرًا للزمان، تستهدف قارئًا افتراضيًا وهي بذلك عمل حواري وليس تحاوريًا"[3].

إن الهدف الأساسي للخطابات الحجاجية هو الوصول إلى إقناع المتلقي بقضية معينة، كان قد أخذ منها موقف المشكك أو الرافض، ونحن إذ نتناول الخطاب الروائي فإننا نبحث عنه من حيث هو خطاب حجاجي يستهدف الإقناع وإلزام الخصم ودفعه بعد

---

[1]– مصطفى رجوان، الرواية والحجاج، ص47.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص43.

[3]– المرجع نفسه، ص69.

التسليم إلى العمل بمقتضى القناعة المتولدة عن الحجج ساعية إلى التأثير في سلوكه وأفعاله.

**رابعا-الرواية وبلاغة اللغة:**

لعل من بين الدلالات التي استخدم فيها مصطلح البلاغة في النقد الروائي تلك التي تحدث عنها **دايفيد لودج** من كتاب **واين بوث** "**بلاغة الرواية**" التي تفيد "جميع التقنيات التي يروم الروائي بواسطتها إقناعنا بمصداقية تجربته المتخيلة، تلك التجربة التي لا يمكن أن تصاغ عادة في تعابير مجردة"[1].

إن الرواية بهذا المعنى فن بلاغي، أي إن الروائي الذي يضطلع ببناء عالم متخيل يسعى على نحو ضمني إلى إقناعنا بصدق تجربته " إنه يتطلع إلى إشراكنا في مجرى الأحداث التي ينسجها والأماكن التي يتخيلها والشخصيات التي يشكلها، والإقناع لا يحصل في جميع الأحوال بوسائل خطابية، فالأدب الجيد ينطوي على كفاية الإقناع أي إن وظيفتي الإمتاع وخلق الإحساس بالجمال لا تحصلان عند المتلقي إلا بواسطة عمل أدبي مقنع، والرواية المقنعة عمل أدبي محبوك ومنسجم"[2].

إن الحديث عن بلاغة النثر الروائي يومئ إلى أن المقصود بالبلاغة جميع الوسائل والآليات التي يوظفها الروائي في عمله حتى يحقق التأثير والإقناع المطلوب، وإن اقترن مفهوم البلاغة في ثقافتنا العربية بالوسائل البيانية والبديعية التي نجدها في الشعر والنثر الفني، ولم يتجاوز مفهومها صور البيان والبديع على نحو ما شكلها الشعراء والناثرون إلى الدلالة على الأنواع الأدبية أو سمات جديدة أفرزتها النصوص الحديثة.

---

[1]- محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي مقالات في النقد والتواصل، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط1 2002م، ص48.

[2]- المرجع نفسه، ص48.

وإذا كان الجنس الروائي قد ابتدع في تاريخه الطويل بلاغات متعددة، فليس ثمة بلاغة روائية أولى بدرس طاقاتها الحجاجية اللغوية، ففي منتصف القرن التاسع عشر أحدث فن الرواية ثورة في جماليات التعبير اللغوي، غير أن ذلك ينبغي ألا يرسخ معيارًا نقديًا يعمم نموذج اللغة الشعرية على مختلف أنماط الإبداع اللغوي الأدبي، فتصير خصائصها المتمثلة في الغموض وكثافة النسيج الاستعاري والصوتي والصور الأسطورية والرمزية، أصلًا بلاغيًا تقاس عليه لغة النثر الروائي[1].

لقد ساد في النقد الروائي اعتقاد بأن جماليات الرواية نابعة من مكوناتها الكبرى التي يمكن وصفها بالبلاغة الهيكلية، وأصحاب هذا التيار لا يعيرون أي اهتمام للمكونات الصغرى التي ترتبط بالعبارة اللغوية، ففي اعتقادهم أن نقد الرواية والأجناس السردية يمكن أن تدرس من دون مراعاة مشكلات اللغة والأسلوب، إن نظرة النقاد للمكون اللغوي ربما وجد تفسيره عند بعضهم في تطلع النقد الروائي إلى الاستقلال بأدواته ومعاييره عن البلاغة التي ارتبطت تاريخيًا بفن الشعر والخطابة، ولقد هاجم **حميد لحمداني** في كتابه **أسلوبية الرواية** البلاغة الكلاسيكية التي يراها عاجزة عن مقاربة الجنس الروائي في خصوصيته الأسلوبية[2].

لقد عمل الشعر بشكل دائم في استعماله للغة على تحريف ونفي بنية الواقع من أجل تكثيف بنيته الخاصة، إنه يعمل على مزاوجة الإيقاع مع الجناس والتوازن ألفاظًا ليس بينها تسلسل منطقي، أي لا تملك أي علاقة في العالم الواقعي، إن الشعر يحطم الكلمات في أسطر ذات أطوال اعتباطية، على عكس فن الرواية التي لا تتعلق الارتباطات العاطفية بالكلمات ولكن بالتيار المتدفق للواقع الصوري الذي ترمز إليه الكلمات، ولأجل ذلك فإن الإيقاع والتأنق والأسلوب تعد عناصر غريبة عن الرواية، وهذا ما جعل من الرواية لا تتألف من كلمات، بل من المشاهد والأفعال والأشياء،

[1]– ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي مقالات في النقد والتواصل، ص50.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص52.

فالروائي لا يشكل الواقع بالشخصيات والأحداث والأشياء فقط، ولكن في المبتدأ يشكله بواسطة الكلمات وتنظيمها التي يخلق بها هذه الشخصيات والأحداث والأشياء[1].

الإنسان في الرواية هو جوهرها إنسان متكلم، فالرواية تحتاج إلى أناس متكلمين يحملون كلمتهم الأيديولوجية المتميزة، يحملون لغتهم الخاصة وعلى هذا الأساس فالكاتب أو الروائي يتكلم لغة لم تتخلص بعد من مقاصد الآخرين ومنظوراتهم الأيديولوجية، كما أن هذه اللغة تظل ملازمة للغة الكاتب، فهو يحاورها ويحاججها ويتحداها ويوافقها ويسألها في الوقت نفسه، فالرواية متعددة اللغات والأصوات، تحمل دلائل وخصائص نحوية للغة الكاتب.

يكتسب النص بلاغيته ونصيته عندما يصبح مقبولًا ومسموعًا وناجعًا وقابلًا للتصديق أي باختصار عندما يعمل باعتباره "فعلًا تواصليًا يروم إقناع المتلقي بصدق ما يقال أو تثبيته في نفسه حتى يعمل به، يرتكز هذا المنظور إذًا على تحليل الأثر البلاغي وينظر إلى بناء النص نظرة تواصلية يشغل فيها المتلقي من حيث هو ذات منفعلة وقابلة للتغير أو التوافق مع مقاصد النص، ويعد كتاب: **واين بوث** "**بلاغة الرواية**" من الدراسات المبكرة التي استخدمت البلاغة بمفهومها التواصلي في مقاربتها للأعمال السردية قبل أن تزدهر بلاغة الحجاج أو البلاغة الجديدة في الثمانينات من القرن العشرين"[2].

وعليه فإن بلاغة الرواية تتجسد بشكل عام في انفتاحها على العالم وقدرتها على استيعاب لغاته وخطاباته ورؤاه المتصارعة، فالتواصل والإقناع والتأثير سمات أصلية في الخطابات اليومية التي تجنح الرواية إلى تصويره، ولهذا فالبلاغة بوصفها مجموعة من التقنيات التي تضطلع بتحليل الخطابات في مواقف تواصلية معينة، يمكنها أن تؤتي أكلها في مقاربة النص الروائي التي لا تقوم على الخطاب السردي فقط ولكنها تنضم

---

[1]– ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي مقالات في النقد والتواصل ، ص53–54.

[2]– أحمد صبرة، التشكّل والمعنى في الخطاب السردي، ص88.

إلى خطابات أخرى وعلى رأسها الخطاب الحجاجي فتعمد الرواية إلى إعادة بناء خطابات الحياة في حبكات سردية وهذا ما جعل من البلاغة تنظر في تلك الخطابات وتضبط مواقفها التواصلية وتقنياتها الحجاجية[1].

[1]– ينظر: أحمد صبرة، التشكّل والمعنى في الخطاب السردي ، ص106.

## المبحث الأول: الآليات اللغوية للحجاج.

تعد الوسائل أو الآليات اللغوية في كل خطاب حجاجي هي سداه ولحمته، وسنقتصر في هذا المقام على دراسة أهم الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع وتحليل أنماطها المختلفة.

### أولا-الروابط الحجاجية:

كما مر بنا سابقًا فإن الروابط تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه، فهو يصل بين ملفوظين أو أكثر، والرواية التي بين أيدينا تتوافر على عدد معتبر من هذه الروابط محاولين دراسة أهمها بالتركيز على استعمالاتها الحجاجية ومساهمتها في العملية الإقناعية.

### أ-لكن:

قبل الولوج في تحليل نماذج من الرابط الحجاجي **لكن** نقدم تواترها في مدونة الدراسة: لقد تكرر الرابط الحجاجي **لكن** في الرواية71 مرة.

وما يمكننا ملاحظته أن استخدام الرابط الحجاجي **لكن** جاء في أغلب الأحيان ليؤدي تعارضًا حجاجيًا بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، حيث يتضمن الملفوظ الذي يعقب **لكن** حجة تخدم نتيجة مضادة لنتيجة سابقة من مثل:

**أنا أكره البيتزا كرهًا لا نظير له، لكن هذا لا يعني أنني أكره كل من يأكلها**[1].

جاء الرابط الحجاجي **لكن** يؤدي تعارضًا حجاجيًا بين ما يتقدّم الرابط وما يتلوه فالمقطع الأول: أنا أكره البيتزا كرهًا لا نظير له، يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل أن النفس لا تشتهي تناول مثل هذه المأكولات العصرية بل تحب المأكولات التقليدية، والمقطع الثاني: هذا لا يعني أنني أكره من يأكلها، يتضمن حجّة تخدم نتيجة مضادة

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ص09.

للنتيجة السابقة، أي تخدم نتيجة من قبيل أن الناس تحب تناول هذه الوجبة العصرية، وهنا تكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، ونظر المتلقي سيتوجه نحو النتيجة المضادة، وهي النتيجة التي جاءت بعد الرابط **لكن** أي: الناس تحب تناول أطباق البيتزا.

وفي هذا المضمار نجد أيضًا:

**ساندو شخص طيب لكنه سريع الغضب**[1].

حيث جاءت **لكن** في هذا الملفوظ تربط كذلك بين حجتين فالحجة التي جاءت قبل **لكن** ساندو شخص طيب، تخدم نتيجة من قبيل أن ساندو إنسان متسامح خلوق مرهف الحس والشعور يعاملك بلطف، أما الحجة الثانية والتي جاءت بعد **لكن** سريع الغضب فهي تخدم نتيجة معارضة للنتيجة الأولى هذه النتيجة من نمط أن ساندو ينتفض للأمور السلبية ولا يحبذها فهو محب للخير كاره للشر.

وفي هذا المضمار نجد أيضًا:

**هذا الغجري المتخلفّ المنحرف العنصري يستحق الطرد الفوري من إيطاليا لكن المشكلة أن الغجر لا يملكون بلدًا يطردون إليه**[2].

فجاءت **لكن** في هذا الملفوظ تربط كذلك بين حجتين فالحجة التي جاءت قبل **لكن** هذا الغجري المتخلفّ العنصري يستحق الطرد الفوري من إيطاليا تخدم نتيجة من قبيل أن الغجريين متعصبون وعنصريون ومنحرفون أخلاقيا وسلوكيًا، أما الحجة الثانية: أن الغجر لا يملكون بلدًا يطردون إليه فهي تخدم نتيجة معارضة للنتيجة الأولى هذه النتيجة من نمط أن الإيطاليين من أكبر شعوب المعمورة ممارسة للعنصرية وهي النقطة التي يشتركون فيها مع الغجريين لذلك فإيطاليا هي التي تحمي توجههم العنصري.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص15.

[2]– المصدر نفسه، ص65.

وفي هذا المضمار نجد أيضًا:

**كما ترون أنا سمينة جدًا، أريد أن أخفض وزني، لكن الظروف الحالية لا تساعدني**[1].

فجاء الرابط الحجاجي **لكن** يؤدي تعارضًا حجاجيًا بين ما يتقدّم الرابط وما يتلوه فالمقطع الأول: كما ترون أنا سمينة جدًا، أريد أن أخفض وزني يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل أن هذه السيدة تعاني من السمنة المفرطة نتيجة تناولها لكميات معتبرة من المأكولات طوال اليوم والمقطع الثاني: الظروف الحالية لا تساعدني يتضمن حجّة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة أي تخدم نتيجة من قبيل أن هذه السيدة لا تشعر بالراحة النفسية وبالتالي سينخفض وزنها من تلقاء نفسه.

من هنا يتضح أن للرابط الحجاجي **لكن** طاقة حجاجية ودورًا في توجيه وتقوية الخطاب الحجاجي والتأثير في المتلقي.

**ب-بل:**

يستعمل هذا الرابط الحجاجي لغرضين: للحجاج والإبطال فهو من روابط التعارض الحجاجي وقد يقع مفردة أو يقع جملة.

فإذا وقع بعده جملة "كان إضرابًا عما قبلها، إما على جهة الإبطال، وإما على جهة الترك للانتقال، وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف ومعناها الإضراب"[2].

وفي مدونة البحث وردت **بل** 22 مرة.

ومن هذه الأمثلة نجد:

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص

[2]- الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص235-236.

**أنا لست مخمورًا، لم أقصد بهذا الوصف إهانتكم، أنا لا أحتقر الجرادة بل أحترمها كثيرًا فهي تبحث عن لقمة العيش بكرامة دون الاعتماد على أحد[1].**

إن الرابط الحجاجي **بل** يحدث علاقة حجاجية مركبة بين حجتين فرعيتين: علاقة بين الحجة في الأولى والتي ترد قبل الرابط الحجاجي **بل:** أنا لست مخمورًا، لم أقصد بهذا الوصف إهانتكم، أنا لا أحتقر الجرادة تحمل نتيجة من نحو إقناع الآخرين بأنه في حالة عقلية جيدة، أو من نحو التأكيد أنه لم يتناول المشروبات الكحولية حتى يصدر هذا الحكم، وعلاقة حجاجية أخرى تسير في اتجاه النتيجة المضادة، وهي الحجة التي ترد بعد **بل** وهي:أحترمها كثيرًا فهي تبحث عن لقمة العيش بكرامة دون الاعتماد على أحد وتحمل نتيجة من قبيل تقديسه وتعظيمه لهذه الحشرة النشطة جدًا.

فالحجة التي جاءت بعد الرابط كانت أقوى من الحجة التي وردت قبلها هاتان الحجتان تخدمان نتيجتين متضادتين:

إقناع الآخرين بأنه في كامل قواه العقلية لا تساوي تقديسه وتعظيمه لحشرة الجراد.

ونجد أيضًا:

**إنني أنفر من دور مساعد طباخ بل أفضل غسل الصحون[2].**

يقيم الرابط الحجاجي **بل** في هذا الملفوظ علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحجة المراد التي يرمي إليها بارويز منصور صمدي وهي ترك مهنة مساعد طباخ لأنها فيها من التعب والشقاوة، وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد **بل** وهي أن بارويز فضل غسل الصون بدلًا من أن يكون مساعدًا للطباخ لما تتوفر عليه هذه الأخيرة من راحة نفسية وأخرى جسدية.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص12.

[2]– المصدر نفسه، ص19.

والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة هي تمسك واقتناع بارويز بغسل الصحون بدلًا من مساعد طباخ.

وفي مواضع مغايرة نجد توظيفًا آخر للرابط **بل:**

**بذلت كل ما في وسعي لأشرح لهم أن الحمام هو شعار السلام في كل الأعراف بل هو شعار الأمم المتحدة**[1].

إن الرابط الحجاجي **بل** أقام علاقة حجاجية مركبة بين حجتين فرعيتين: علاقة بين الحجة الأولى والتي ترد قبل الرابط الحجاجي **بل** بذلت كل ما في وسعي لأشرح لهم أن الحمام هو شعار السلام في كل الأعراف تحمل نتيجة من نحو أن الحمام هو رمز السلام والحب والخير وهو المتعارف عليه عند كل الشعوب والأمم، وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، وهي الحجة التي ترد بعد **بل** وهي: هو شعار الأمم المتحدة تحوي بدورها نتيجة من قبيل أن هيئة الأمم المتحدة اتخذت من الحمام رمزًا وشعارًا لها وهذا ما حملته دلالة الجملة التي جاءت بعد الرابط الحجاجي **بل** وهو أن للحمام قيمة كبيرة في هيئة الأمم المتحدة، وبالتالي لا تستطيعون منعي من إطعام الحمام مادام هو شعار الأمم المتحدة ومادامت إيطاليا هي عضو في الأمم المتحدة.

**جـــ-الواو:**

هو من أكثر الروابط تواترًا في الرواية، فالواو عد من أهم الروابط الحجاجية فدوره لا يكمن في الجمع والوصل بين التسلسلات الخطابية فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض محققًا النتيجة المرادة.

وفيما يأتي تحليل لبعض النماذج من الرواية التي شكل **الواو** فيها رابطًا حجاجيًا بارزًا، والذي تكرر في المدونة 1124 مرة.

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص24.

ويندرج في هذا المضمار:

**قال لي ألبرتو قبل أن يغادر البيت نهائيا ويلتحق بأصدقائه الهبيين: هذا البيت سجن وأنت سجانة وأنا سجين**[1].

جاء الرابط الحجاجي **الواو** يربط بين حجج متعددة متساندة هذا بيانها:

ح1: تعامل أهل البيت مع الشاب بقساوة وخشونة.

الرابط الحجاجي **الواو**.

ح2: إقرار هذا الشاب بأنه يعيش معيشة ضنكى ومحروم من كل شيء.

الرابط الحجاجي **الواو**.

**ن:** مضمرة ومستنتجة تتمثل في: دفاع هذا الشاب عن نفسه وأنه يريد أن يعيش حرًا طليقًا يريد حياةً كريمةً كباقي البشر حياة ملؤها السعادة والراحة النفسية.

ونجد أيضًا:

**قال لي إن دعاة حماية البيئة هم البرابرة الجدد وألدّ أعداء الحضارة لأنهم يريدون إيقاف عجلة التقدّم والبحث العلمي وإعادة الإنسانية إلى العصر الحجري**[2].

وصل الرابط الحجاجي **الواو** بين حجتين، الأولى تتمثل في اكتشاف البرابرة أنهم لا يحبذون الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال ولا يحبون مسايرة العالم للحركة العلمية، والحجة الثانية هو حب البرابرة الرجوع إلى الأصل التقليدي والقديم للحياة.

وهاتان الحجتان المتسقتان تؤديان إلى نتيجة مفادها أن البرابرة قوم غلاظ شداد.

ومن هنا ساهمت **الواو** بكونها رابطًا حجاجيًا قامت بربط الحجج بعضها ببعض ونسجها في خطاب متكامل.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص64.

[2]– المصدر نفسه، ص93.

**د-إذا:**

وهي من الروابط المدرجة للنتائج، وتتمثل وظيفتها في سوق النتيجة أو إدراجها[1].

وقد وردت **إذا** في مدونة الدراسة 33 مرة.

ونرى أن الانتقال إلى أمثلتها الواردة في المدونة بغرض التحليل ورصد قوتها الحجاجية هو المستفاد من هذه الدراسة ونمضي مباشرة إلى العبارة الأولى التي تضمنت الأداة **إذا:**

**لم أصدّق نفسي وتساءلت بحيرة: هل بقي إيطاليون يحترمون النساء في هذا البلد؟ يومها أحسست بعقدة الذنب تجاهه وعانيت من وخز الضمير أقسمت أن أعامله معاملة جيدة إذا ما عاد مرة أخرى[2].**

نجد **إذا** في هذا المثال وردت حرف جواب وجزاء على الجملة الشرطية وإذا الجوابية تحقيقًا وتأكيدًا منها لحصول المعاملة الطيبة والحسنة التي يستحقها.

فإن هذا المقطع يتكون من حجة ونتيجة لهذه الحجة وهي:

الحجة: هل بقي إيطاليون يحترمون النساء.

الرابط الحجاجي **إذا.**

النتيجة: القسم بالمعاملة الجيدة.

فالرابط الحجاجي **إذا** جاء بغرض الدلالة على قوة المعاملة القوية والحسنة.

ويشاكل هذا المنطوق أيضًا:

**لا يزال ابني جنارو عاطلًا عن العمل، لولا زوجته مارينا الخياطة ومساعدتي المتواصلة له لصار متسوّلا على باب كنيسة سان دومينيكو ماجوري في نابولي! إذا**

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص34.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص36.

**كانت فرصة العمل غير متوفرة لأهل البلد، كيف نستطيع استقبال هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين**[1].

حيث جاءت **إذا** هنا من الروابط المدرجة للنتيجة كذلك:

الحجة: انتشار البطالة الرهيب في إيطاليا.

الرابط الحجاجي **إذا**.

النتيجة: مستنتجة من هذه الحجة أي لا يمكنه الحصول على عمل مادام سكان إيطاليا الأصليين لم توفر لهم فرص العمل فما بالك بالمهاجرين إليها.

**هـ-حتى:**

تعد **حتى** من الروابط المدرجة للحجج القوية ويقر كل من **ديكروو أنسكومبر**أن "الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة **classe argumentative**، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إن الحجة التي ترد بعد حتى هي الأقوى، وهو ما يقصده النحاة بقولهم: أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها"[2].

ورد الرابط الحجاجي **حتى** في الرواية 31 مرة.

ونجد في هذا المضمار:

**لقد انحنى ظهره من كثرة المتاعب والمشاكل، أنا أيضًا تقوّس ظهري من مشقة العمل وصارت آلام المفاصل لا تفارقني. أصبحت لا أقوى على تحمّل أعمال التنظيف لكن ما حيلتي إذا كانت منحة التقاعد لا تكفي حتى لشراء الأدوية**[3].

سيق هذا الملفوظ في إطار أن منصور صمدي على من الرغم من أنه يتقاضى منحته الشهرية وأنه يعني كثيرًا من المتاعب والمشاكل الصحية إلا أنه لا يزال يمارسه نشاطه العملي، ولإيصال الكاتب هذه الرسالة استخدم الرابط الحجاجي **حتى** الذي ربط

---

[1]- عمار لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص40.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.

[3]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص34.

به المتكلم بين الحجج، وبما أن **حتى** هي من الروابط المتساوقة حجاجيًا والمدرجة للحجج القوية، فجاءت الحجة الأقوى عند منصور صمدي حين أكّد وأصرّ أن منحة التقاعد لا تكفي لشراء مستلزمات الأدوية، وهي تسير نحو تحقيق نتيجة أنه يجب عليه العمل.

ويندرج في هذا المساق أيضًا:

**لم أكن أعرف أنني أملك كل هذه المعلومات عن روما، الفضل كل الفضل يعود إلى قدمي، أنا من هواة المشي، أكره الم**

**يترو والأوتوبيس والسيارات والمصاعد، لا أطيق ازدحام الناس، أحب السير على القدمين حتى أستمتع بجمال روما على مهل[1].**

و**حتى** هنا ربطت بين حجتين وهي: حب السير على القدمين، الاستمتاع بجمال روما، وهذه الحجج متساوقة فيما بينها بمعنى أنها تخدم نتيجة واحدة، والنتيجة المقصودة هي كرهه للسيارات والمصاعد وغيرها من الوسائل.

فالحجة التي تلي الرابط هي الحجة الأقوى ومعلوم أن الإنسان لا يستطيع أن يستمتع بجمال دولة ما إلا إذا كان راجلًا.

ونجد أيضًا:

**لن أغيّر جلدي ولا ديني ولا لغتي ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث. أنا فخور بنفسي، ليس مثل المهاجرين الذين يغيّرون أسماءهم حتى ينالوا رضى الإيطاليين[2].**

سيق هذا الملفوظ أيضا في إطار أن منصور صمدي على الرغم من أنه مهاجر إلا أنه لم يتخل يومًا عن لغته ودينه وأصله، ولإيصال هذه الرسالة استعان المخاطِب بالرابط الحجاجي **حتى** الذي ربط به المخاطِب بين الحجج، فجاءت الحجة الأقوى

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص114.

[2]– المصدر نفسه، ص130.

الواردة بعد **حتى** وهي عدم رضوخه وذوبانه في الحضارة الإيطالية مثلما يفعل الكثير من المهاجرين إليها.

**و-الفاء:**

لحرف الفاء دلالات عديدة تختلف باختلاف تموضعها في الكلام، فحرف الفاء يماثل حرف الواو في الجمع بين الحجج وتقوية بعضها بعض، وهي من الروابط التي كثر ورودها في الرواية إلى جانب حرف الواو، حيث وردت 124 مرة.

وفيما يأتي تحليل لدورها الحجاجي في بعض النماذج:

**لكل شخص مكان يرتاح فيه، هناك من يجد راحة البال في الكنيسة أو في المسجد أو في المعبد أو في السينما أو في الملعب أو في السوق، أما أنا فأرتاح في المطبخ. فلا غرابة في ذلك، فأنا طباخ ماهر ورثت أصول الطبخ أبًا عن جد ولست غاسل صحون كما هو شائع عنّي في مطاعم روما[1].**

وقد ورد الرابط الحجاجي **الفاء** يصل بين حجتين متساوقتين:

ح1: شعور منصور صمدي براحة البال في المطبخ.

ح2: مهارة منصور صمدي وإتقانه كل فنون الطبخ.

هاتان الحجتان قد تدعمان نتيجة مفادها:

**ن:** حب منصور صمدي لمهنة الطبخ.

وفي مساق آخر من الرواية نجد:

**مسكين بارويز، إنه مقتنع بأن فصله المتكرّر من العمل يرجع إلى كرهه للبيتزا وليس بسبب اللغة أو شرب الخمر أثناء العمل. المشكلة الآن أن بارويز بلا عمل وعندما يصير بارويز عاطلًا عن العمل تتكاثر أحزانه فيشرب أضعاف ما يشربه في أيام العمل[2].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص17.

[2]- المصدر نفسه، ص27.

فبارويز عندما يفقد منصبه في العمل تتكاثر أحزانه ويشعر بخيبة أمل كبيرة وهذه الأحزان والمشكلات التي تصب عليه تدفعه إلى شرب الخمر فالرابط الحجاجي **الفاء** ساهم في تعاضد الحجج وترتيبها، فالحجّة الأولى وهي فقدان منصب العمل، والحجة الثانية وهي شرب الخمر بكثرة وهي أقوى من الأولى، ومدعمة لها ومتساوقة معها ومساندة لها.

**ثانيا-العوامل الحجاجية:**

رأينا فيما سبق أن الروابط الحجاجية تقوم بوظيفة الربط بين حجتين أو أكثر، في حين نجد مؤشرًا آخر من المؤشرات اللغوية الذي يسهم في استمالة المتلقي وإقناعه وهي العوامل الحجاجية، هذه الأخيرة توسم بأنها هي نوع من الأدوات اللغوية تقوم "بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبًا، كاد، قليلًا، كثيرًا، ما...إلا، وجل أدوات القصر"[1].

ويعدّ أسلوب القصر في اللغة العربية من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المتكلم في خطابه، والقصر في الاصطلاح "هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص أو هو: إثبات الحكم لما يذكر الكلام ونفيه عما عداه"[2].

ويتم القصر غالبًا بطرائق متنوعة منها: التقديم والتأخير، والأداة إنما، والنفي مع الاستثناء، ويسهم القصر بطرائقه أثناء العملية الحجاجية على تخصيص وتقييد الحجة بالنتيجة، كما يعمل على توجيه المتلقي إلى استنتاج تلك النتيجة، اعتمادًا على إمكانات الحصر والتقييد الوارد في الحجاج.

وسنقوم فيما يأتي بالكشف عن بعض الاستعمالات الحجاجية في الرواية.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[2]- السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص165.

**أ-إنما:**

تأتي **إنما** إثباتًا لما يذكر بعدها ونفيًا لما سواه، وما يلاحظ على هذا العامل أن الحجج التي تأتي بعده تكون أقوى من الحجج التي ترد قبله، وقد وردت **إنما** في الرواية 13 مرة.

ونجد في هذا المضمار:

**أنا أعشق المصعد، لا أستعمله بدافع الكسل وإنما من أجل التأمل**[1].

حيث أثبت العامل الحجاجي **إنما** أن استعمال منصور صمدي للمصعد لا يكون إلا لغاية واحدة وهي النظرة التأملية وليس بدافع الكسل، فكان الفعل الحجاجي أقوى بوجود هذا العامل ممّا لو لم يكن موجودًا: أنا أعشق المصعد، لا أستعمله بدافع الكسل ومن أجل التأمل.

فغاية ما أحدثه العامل الحجاجي في هذا الملفوظ، هو تحويل المضمون الخبري وشحنه ليؤدي وظيفة تبرز عمق الشعور بحقيقة هذه الحياة.

ونجد أيضًا:

**أميديو يا حبيبي أنا لا أريد منك الماضي وإنما الحاضر والمستقبل**[2].

نستشف من خلال هذه العبارة أن الحجة التي تلت العامل الحجاجي **إنما** جاءت أقوى من الحجة السابقة لها، كما أنها أتت إثباتًا لما بعدها مثلًا في الملفوظ ونفيًا لما سواه، فقد أثبت العامل الحجاجي هنا أن يتجاوز أميديو كل ذكريات الماضي الأليمة وأن يفكر في بناء مستقبل زاهر، فكان الفعل الحجاجي أقوى بوجود هذا العامل مما لو لم يكن موجودًا.

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص14.

[2]- المصدر نفسه، ص120.

**ثالثا-التكرار:**

لقد أولى **الجاحظ** التكرار عناية كبيرة، ونقل بعض الأقاويل فيه، وكان من طريف ما نقله "وجعل ابن السماك يومًا يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنّك تكثر ترداده، قال: أردّده حتى يفهمه من لا يفهمه، قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه"[1].

فالمستفاد من هذه القصة، أن التكرار إن لم يكن مفيدًا أو مضيفًا إلى المعنى معنى لم يرد مسبقًا، كان مملًا مذمومًا، وإنما يحتاج إليه "ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها"[2].

وقد أشار القدماء إلى "أهمية هاته البنية، ووقفوا على وظيفتها في الاتصال والإقناع، وتوكيد الكلام، وتثبيت المعنى وإقراره، فهذا **أبو هلال العسكري** يقرن التكرار بتأكيد الحجة، ويربط بينه وبين بلوغ القول إلى مرحلة الإقناع ويجعله شرطًا واجبًا في مكاتبات الكاتب إلى عمّاله"[3].

فالتكرار يعد من أشهر الوسائل اللغوية التي تساهم في تلاحم أجزاء النص لما تحويه من معنى الإحالة إلى السابق.

فالتكرار اعتبر طريقة من طرق العرض ذات الأثر الحجاجي ووسيلة من الوسائل اللغوية التي يهدف من خلالها المخاطِب إيصال الفكرة المقصودة والتأثير بها في المتلقي وهذا ما أكده كل من **بيرلمان** و**تتيكاه** "ومن طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها وكذلك

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص104.

[2]- الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول النجار، دار المعارف، مصر ط3، 1956م، ص52.

[3]- أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ص88.

التشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصوت أو من خلال الصمت الذي يسبق أداءها"[1].

فالتكرار عد من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المحاجج لفائدة قضية ما فهو استراتيجية من استراتيجيات الإقناع ويعد "رافدًا أساسيًا يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرًا جليلًا في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان"[2].

والملاحظ أن أنماط التكرار في مادة الدراسة تقبل أن يصنف فيها التكرار أكثر من تصنيف ولإبراز القيمة الحجاجية لهذه البنية، فقد وجدت أن التصنيف التالي سيكون أكثر تجليًا وإيضاحًا لدور التكرار حجاجيًا داخل السياق.

**أ-حجاجية التكرار التام:**

يرتبط بتكرار شكل اللفظ ذاته، وفي الحجاج يكون هذا التكرار وسيلة لتثبيت الفكرة المقصودة في ذهن المتلقي ومن نماذجه الواردة في الرواية:

**أعرف!أعرف! هذه مشكلة أخرى[3].**

**من عاداتنا في إيران احترام الشيوخ والعجائز وتجنب الألفاظ البذيئة، لهذا السبب عوض أن أرد على الإساءة بالإساءة وأنهال عليها بالشتائم كما يفعل الكثيرون، أكتفي بالردّ عليها قائلًا: مرسي[4].**

---

[1]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص318.

[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص168.

[3]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص10.

[4]- المصدر نفسه، ص15.

في غضون دقائق قليلة تتحوّل رائحة التوابل إلى بخور مما يدفعني إلى الرقص والإنشاد كالدراويش: حي! حي!حي! هكذا ينقلب المطبخ في دقائق معدودة إلى حضرة صوفية[1].

فصرخت في وجهه قائلًا: ماذا تريد مني أيها الجاسوس؟! أليس الجاسوس من يبحث عن الأسرار؟[2].

ذات مرة سألتني بوقاحة: هل تأكلون لحم الكلاب والقطط في ألبانيا؟ تحكّمت في أعصابي بمشقة وقلت لها: هل تعرفين عمر الخيام؟ هل تعرفين سعدي؟ هل تعرفين حافظ؟ لسنا متوحشين حتى نأكل القطط والكلاب؟[3].

لقد أمسكته متلبسًا بإتلاف المصعد مرات عديدة، رأيته يصعد وينزل دون حاجة إلى ذلك، يصعد إلى الطابق الرّابع وينزل إلى الطابق الأرضي[4].

إن صيد القطط والكلاب بالنسبة للطفل الصيني هواية تشبه هواية أطفالنا في صيد الفراشات[5].

إقامتي الطويلة في روما تسمح لي بالتمييز بسهولة بين الإيطالي العنصري والإيطالي المتسامح[6].

الإيطاليون لا يعرفون الإسلام كما يجب، يعتقدون أن الإسلام هو دين الممنوعات: ممنوع شرب الخمر! ممنوع أكل الخنزير! ممنوع الجنس خارج إطار الزواج[7].

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص17.

[2]- المصدر نفسه، ص23.

[3]- المصدر نفسه، ص25.

[4]- المصدر نفسه ، ص42.

[5]- المصدر نفسه، ص46.

[6]- المصدر نفسه، ص50.

[7]- المصدر نفسه، ص51.

فهذا الملعون لا يكف عن استفزازي وإثارة أعصابي، تارة يجزم بأن المسلم الأصيل عربي اللسان وتارة أخرى يوجّه انتقاداته إلى لقبي أمير الله الذي يعتبره مخالفًا للإسلام[1].

أنا أحترم الرجال المسلمين لأنهم يحبون الإناث كثيرًا مثلنا نحن فحول روما كما أنكم تحتقرون الشواذ مثلنا تمامًا[2].

لو احتفظت بالهوية الجديدة، فكيف أثبت أن أبنائي الثلاثة هم أبنائي حقًا؟ كيف أثبت أن زوجتي هي زوجتي حقًا؟[3].

هناك شكوك أخرى تحوم حول مارينا كنّة البوابة بندتا التي كانت لا تكف عن القول كلما رأت فالنتينو: أنت كنز! أنت كنز[4].

تشهد ساحة فيتوريو من حين لآخر مسيرات للمطالبة بحقوق المهاجرين: الحق في العمل، الحق في السكن، الحق في الصحة، الحق في الانتخاب[5].

من عادة النساء الفرح الشديد عندما يحملن، أما أنا فأبكي كثيرًا من شدة الخوف: الخوف من ضياع العمل، الخوف من الفقر، الخوف من المستقبل، الخوف من الشرطة، الخوف من كل شيء[6].

لو تراني أبكي فإنها ستطردني لأنها قالت لي مرارًا إنها تتطيّر من البكاء فذلك يذكّرها بالموت، وهي تخاف من الموت[7].

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص51.

[2]- المصدر نفسه، ص51.

[3]- المصدر نفسه، ص53.

[4]- المصدر نفسه، ص63.

[5]- المصدر نفسه، ص64.

[6]- المصدر نفسه، ص73.

[7]- المصدر نفسه، ص73.

**عندما يصل أحدهم، تبدأ عطلتي الأسبوعية: من منتصف النهار إلى منتصف الليل[1].**

**التلفزيون هو الصديق والأخ والزوج والابن والأم ومريم العذراء التلفزيون كالهواء تمامًا، هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا هواء[2].**

**قرأت هذا المساء مقالًا للفيلسوف كارل بوبر حول مكانة التلفزيون في حياتنا اليومية، يري بوبر أن التلفزيون صار عضوًا في الأسرة[3].**

**روما! المدينة الخالدة! روما الجميلة! روما الحب[4].**

**يمكنني أن أذكر المؤرخ الكبير جوستينو فورتوناتو وهو من الجنوب إذ يقول إن مصيبة أهل الجنوب هي عدم إيمانهم بالغد، لذلك لا يغرسون ولا يزرعون أي لا يستثمرون[5].**

**لم يكن مقتنعًا بأن الحقيقة تجعلنا أحرارًا بل على العكس تمامًا قال إن الحقيقة هي قيد يجعلنا عبيدا[6].**

**قلت لهم إن المصعد مشكلة حضارية، يجب أن نضع قواعد صارمة لاستعمال المصعد: ممنوع رمي بقايا السجائر، ممنوع الأكل، ممنوع كتابة الكلمات البذيئة ممنوع التبوّل[7].**

**اللعنة على الخائن بوكو الذي غدر بيوغرطا وكل من اقتدى به، والمجد والخلود لجدّي يوغرطا[8].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص74.

[2]- المصدر نفسه، ص79.

[3]- المصدر نفسه، ص82.

[4]- المصدر نفسه، ص84.

[5]- المصدر نفسه ، ص86.

[6]- المصدر نفسه، ص87.

[7]- المصدر نفسه، ص87.

[8]- المصدر نفسه، ص91.

في هذا المكان مات يوغرطا جوعًا قبل ميلاد المسيح، قضى ستة أيام كاملة لم يذق الطعام والماء. اللعنة على الخونة، اللعنة على الأخوة الخونة[1].

في إحدى الأيام تنافس أميديو مع ريكاردو في معرفة شوارع روما بدأت أطرح عليهما أسئلة سريعة كمقدم المسابقات التلفزيونية، مثلًا أين يقع شارع الساندرو فيرونيزي؟ أين يقع شارع فالسولدا؟ أين تقع ساحة تريلوسا؟ أين تقع وزارة الخارجية؟ أين تقع سفارة فرنسا؟ أين تقع سينما منيون؟ كان أميديو يجيب قبل ريكاردو[2].

من هو أميديو الحقيقي؟ يا له من سؤال غريب. لا يوجد أميديو حقيقي وأميديو مزيّف. هنا كأميديو واحد فقط: أميديو المدهش الذي عشقني وعشقته[3].

أحب ستيفانيا لأنها متعلّقة بالحياة، أعشق ذاكرتها الخالية من الكوابيس، أريد أن تصيبني بالعدوى: عدوى الحياة، عدوى الحب عدوى المستقبل، وعدوى العواء السعيد[4].

كان أحمد شخصًا محبوبًا ومحترمًا في الحومة. لا أذكر أنه تخاصم مع أحد رغم أن الاشتباكات بين أولاد الحومة أو بين أولاد الحومة وأبناء الحومات المجاورة عادة منتشرة بكثرة في أحياء الجزائر العاصمة[5].

ما هو العواء؟ العواء نوعان: عواء الألم وعواء الفرح[6].

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص101.

[2]- المصدر نفسه، ص109.

[3]- المصدر نفسه ، ص117.

[4]- المصدر نفسه، ص125.

[5]- المصدر نفسه، ص131.

[6]- المصدر نفسه، ص137.

**ب-حجاجية التكرار الجزئي:**

يتحقق من خلال تكرار الجذر اللساني للفظتين أو أكثر مع بقاء المعنى نفسه، ومن أمثلته في الرواية نجد:

**هكذا يحلو لستيفانيا استفزازي والسخرية مني. لا شك أني خيبت أملها فهي أول من لقنتني أو بالأحرى حاولت تلقيني أصول الإيطالية. أنا لست أميديو هذا واضح وضوح الشمس في سماء شيراز الصافية[1].**

**لم يكن سهلًا إقناعه أو إرغامه على التخلي عن إطعام الحمام، يعشق بارويز الحمام عشقًا لا حدود له[2].**

**نظر إلي مبتسمًا ورد قائلًا: غيّرت رأيي، سأذهب مشيًا على الأقدام، ظننته يسخر مني، كنت أنتظر أن يسبني كما يفعل غيره لكنه ابتسم ابتسامة أكثر رقة من الأولى وقال مودعًا: طاب يومك يا سنيورة[3].**

**سمعت من يقول إن الاقتصاد الإيطالي معرض للانهيار إذا غاب المهاجرون! هذه كذبة ينشرها الشيوعيون. نستطيع الاستغناء عن المهاجرين بسهولة، يكفي أن ندرب كلابنا تدريبًا جيدًا[4].**

**أنا أعرف تاريخ هؤلاء البرابرة الجدد، ألست مؤرخًا في جامعة روما! إنهم امتداد للثورة الطلابية عام 1968 التي فشلت فشلًا ذريعًا بعد أن اتخذت من الكتاب الأحمر لماو تسي تونغ ومن مؤلفات هربرتماركوز المعادية للتكنولوجيا منطلقًا لها[5].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص13.

[2]- المصدر نفسه ، ص30.

[3]- المصدر نفسه، ص36.

[4]- المصدر نفسه، ص65.

[5]- المصدر نفسه، ص90.

**جـــ-تكرار المعنى واللفظ مختلف:**

يرتبط بالمضمون "ويبنى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى"[1].

ومن مظاهر هذه الوسيلة الإقناعية في الرواية نجد:

**1-الترادف:**

يكون بين لفظتين، وفيما يلي يسوق الباحث نماذج له وهي:

**لا داعي للاستعجال، اسمحوا لي أن أقول لكم: عيبكم الكبير هو الاستعجال التسرع هو شعاركم اليومي[2].**

**أنا الإيطالية العجوز المريضة أشقى وأتعب وهي المهاجرة الشابة السمينة التي تطفح بالصحة تأكل ما طاب لها وتنام ما شاءت كالقطة المدللة[3].**

**السنيور أميديو هو الوحيد من سكان العمارة الذي يتوقف للحديث معي ويناديني دومًا بالسنيورة بندتا ويتجنّب استعمال المصعد احترامًا وتقديرًا لمجهوداتي في خدمة سكان العمارة[4].**

**أنا شقية وغبية لا أنكر ذلك، تدعو حالتي إلى الحيرة والتعجّب[5].**

**أذهب رأسًا إلى محطة ترميني وأقصد المكان الذي يلتقي فيه المهاجرون من بيرو، فأرى وجوهًا تشبع عطش عيني وأسمع كلامًا يدفئ أذني الباردة. أشعر كأنني عدت إلى بيتنا في ليما،أحييّ وأقبل الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم[6].**

---

[1]- حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة، ص254.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص11.

[3]- المصدر نفسه ، ص40.

[4]- المصدر نفسه، ص44.

[5]- المصدر نفسه، ص73.

[6]- المصدر نفسه، ص74.

**د-حجاجية تكرار الحرف:**

ومن أمثلته في الرواية تكرار أداة النداء **يا:**

**خذ نصائحي المحظورة، احفظها عن ظهر قلب:**

**يا بني إذا كنت سائرًا واعترض طريقك مسلحون، وأجبروك على التحكيم: من على الحق ومن على الباطل، قابيل أم هابيل؟ إياك أن تقول: إن قابيل على الحق وهابيل الباطل، قد يكون المسلحون هابليين فتهلك وإياك ثم إياك أن تقول: أن قابيل على الباطل وهابيل على الحق، قد يكون المسلحون قابليين فتهلك، يا بني إياك ثم إياك أن تقول: لا قابيل ولا هابيل على الباطل فتهلك، فصدر هذا الزمان ضيّق لا يتسع للحياد. يا بني اقطع لسانك وابلعه. يا بني اهرب! اهرب! اهرب! إياك من نار الفتنة فهي من أخطر من أنياب الذئب[1].**

لقد تكرر الحرف **يا** في النداء الموجّه من لقمان الحكيم إلى منصور صمدي أربع مرات:

**يا بني إذا كنت سائرًا.**

**يا بني إياك ثم إياك ثم إياك.**

**يا بني اقطع لسانك وابلعه.**

**يا بني اهرب.**

لقد أعطى هذا التكرار نغمًا صوتيًا للنص فضلًا عن القيم المعنوية التي جاء يحملها فنداء لقمان الحكيم لمنصور صمدي بهذا التعبير يدل على التلطف والتحبب في الكلام، فهذا التكرار ليس من باب التكرار اللفظي أو الترف الكلامي، بل جاء من أجل تقوية حجته في كل مرة يتلفظ بها، فالألفاظ لم تتغير بقيت هي هي، ولكن المتغير المصاحب للتلفظ هو الأثر التداولي الذي يريد لقمان الحكيم تحقيقه وهو إقناع منصور

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص142.

صمدي بالصمت، وهذا ما يجعل مشاعر المخَاطب تتأثر وعاطفته تتيقظ ومن ثم يقتنع بكلام لقمان الحكيم.

إن هذا التكثيف في استعمال التكرار بأنواعه، وبوصفه أداة إقناعية لها الدور الفعال في شد انتباه المتلقي أثناء العملية الحجاجية، مع الحضور الذهني فيما يعرض عليه، الأمر الذي يؤدي إلى قبول تلك النتائج والاقتناع بها.

## المبحث الثاني: الآليات البلاغية للحجاج.

### تمهيد:

يقوم الحجاج على مخاطبة عقل المتلقي بهدف إقناعه وإفحامه، والبلاغة تخاطب وجدان السامع، فالحجاج يخدم البلاغة في مخاطبته للعقول والبلاغة تخدم الجدل في مخاطبته للقلوب.

يقول: صابر الحباشة في حديثه عن العلاقة بين الحجاج والبلاغة:

" ليس الحجاج علمًا/ فنًا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم اقتراضها من البلاغة، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاج أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس"[1].

حيث تنمي الآليات البلاغية البيانية قدرة المتخاطبين على الإقناع، ولتحقيق هذا الغرض يجب أن تكون عملية الإقناع بطريقة منظمة "يستجمع فيها المتكلم كل ما يملك من أدوات بلاغية مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم، بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة نظره في موضوع معين فحين التكلم يتعيّن على المخاطِب مراعاة فن القول لتصل إلى قلب المتلقي وعقله وهنا تتولد عنه الوظيفة الإفهامية والإقناعية ومن هذه الأدوات التي يتوسل بها لتحقيق الإقناع الصور البيانية والمحسنات البديعية"[2].

ومن هنا تعدّ الآليات البلاغية آلية رئيسية من آليات الحجاج، وذلك باعتمادها على مجموعة من الطرق الحجاجية كالصور البيانية والأساليب الجمالية وذلك من أجل

---

[1]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص50.

[2]– إيمان جربوعة، القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية قصتا إبراهيم ويوسف عليهما السلام أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغويات، إشراف الأستاذ: محيي الدين سالم، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2015م، ص282.

التأثير في المتلقي وإقناعه عن طريق إشباع فكره ومشاعره حتى يتقبل القضية الخطابية.

**أ-الطاقة الحجاجية للإستعارة:**

تعد الاستعارة آلية بلاغية وآلية من آليات الحجاج نظرًا لما تحققه من نتائج إيجابية وتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وهذا ما عبر عنه **طه عبد الرحمن** بقوله: "العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج"[1].

وعرّف **ابن الأثير** الاستعارة بقوله: "إنه نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما"[2].

فالاستعارة هي نقل اللفظ مما وضع له في أصل اللغة من معنى إلى آخر نقلًا غير لازم، لتؤدي دورًا مهمًا في توضيح الفكرة إلى المتلقي، وفك الغموض وإظهار المعنى الخفي للقارئ كما قال **الزركشي:** "وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفيّ وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو للمجموع"[3].

وتعد المشابهة أهم آلية لغوية "استعان بها الإنسان في تخزين المعرفة، وفهم العالم وفي التوصيل والتواصل، لأن علاقة المشابهة التي نجدها في التشبيه والاستعارة قادرة على تمثيل المعاني وتصويرها فتكون قريبة من إدراك المتلقين"[4].

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص233.

[2]- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج01، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة، مصر، ط2، د.ت، ص83.

[3]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج03، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الثراث، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص433.

[4]- علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجا، ص271.

فالاستعارة إذا "آلية تواصلية قبل أن تكون آلية زخرفية وتزيين، وآلية حجاجية قبل أن تكون آلية إخبار وإبلاغ، وآلية تفكير وتأمل قبل أن تكون آلية تخييل وتصور، وآلية تغيير وعمل قبل أن تكون آلية وصف وتجريد، إنها بإيجاز آلية نحيا بها"[1].

وقد أكد **جورج لايكوف** و**مارك جونسون** في كتابهما الشهير **الاستعارات التي نحيا بها** بقولهما: "تمثل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرًا مرتبطًا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي، إنها تتعلق في نظرهم بالاستعمالات اللغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية وعلاوة على ذلك يعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة، ولهذا يظن أغلب الناس أنه بالإمكان الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير، وعلى العكس من ذلك، فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس"[2].

ولعل هذا ما يبرر اهتمام الباحثين والدارسين بشتى تخصصاتهم بالاستعارة دون غيرها من الصور البيانية، وكأنها أم الباب ورأسه، بل هي الأصل والباقي فروع.

ومن أجل توضيح مفهوم الاستعارة أكثر وبيان مهمتها في إقناع القارئ أورد الكاتب بعض الأمثلة منها:

**في النهاية نظر إلّي وهو يقاوم بصعوبة فرار الدموع من مقليتيه**[3].

إن عبارة فرار الدموع استعارة للموقف الصعب الذي وضع فيه منصور صمدي حيث ذكر المستعار وهو فرار الدموع وحذف المستعار له وهو الموقف الرهيب

---

[1]– علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجا ، ص271.

[2]– جورج لايكوف، مارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996م، ص21.

[3]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص58.

والصعب ولكي يصف الكاتب مدى صعوبة هذا الموقف وخطورته استعار لها صفة فرار الدموع.

ونجد أيضًا:

**أحاول عدم تضييع الوقت، فأعمد إلى وضع خطة غنية بالمشاوير، لكن في كل مرة أفعل نفس الشيء: أذهب رأسًا إلى محطة ترمني وأقصد المكان الذي يلتقي فيه المهاجرون من بيرو.... وأسمع كلامًا يدفئ أذني الباردة**[1].

نلاحظ من خلال هذه الجملة أن لفظة يدفئ أذني الباردة استعارة للكلام الجميل المفعم بالحنين، فذكر المستعار وهو كلامًا يدفئ، وحذف المستعار له وهو الجميل، ولقد استعار الكاتب صفة كلامًا يدفئ أذني ولقد كان متقنًا في اختياره هذه اللفظة ليقرب المعنى إلى ذهن القارئ ويصف له مدى مرارة الغربة وعذابها إذ أنه لا حلاوة ولا لذة للحياة إلا في بلدك الأصلي بين أهلك وأصحابك.

وجاء أيضًا في الرواية:

**لم أرغب في إخبارها بتفاصيل الكابوس. ما الفائدة من إشراكها في لعبة الكوابيس؟ ذاكرتي جريحة تنزف، يجب أن أضمّد جراح الماضي في عزلة**[2].

شبه الكاتب الماضي بالإنسان فحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، لأن جراح الماضي لا تضمد وإنما تضمد جراح الإنسان، إن عبارة أضمد جراح الماضي استعارة للذكريات ذات المحن والآلام حيث ذكر المستعار وهو أضمد جراح الماضي وحذف المستعار له وهو الذكريات، وقد تمت استعارة صفة أضمد جراح الماضي، ليبين لنا مدى وقع وتأثير هذه الذكريات الأليمة في نفس صمدي منصور.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص74.

[2]– المصدر نفسه، ص127.

والملاحظ من كل هذه الأمثلة أن الاستعارة تستند دائمًا أو ترتكز على المستعار منه يقول **طه عبد الرحمن:** "ويظهر هذا التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، سواء أصرّح به أم لم يصرح به، وغالبًا ما يقترن هذا الطرف فيها، حاليًا أو مقاميًا، بنسق من القيم العليا، إذ ينزل منزلة الشاهد الأمثل والدليل الأفضل، فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها"[1].

وهذا ما رأيناه في الأمثلة السابقة فالاستعارة هي التي وجهتنا دائمًا إلى المراد.

**ب-الطاقة الحجاجية للتشبيه:**

إلى جانب الاستعارة، يعد التشبيه آلية من آليات الحجاج البلاغي، وقد عدّه **طه عبد الرحمن** من الأدوات الحجاجية "لا أحد ينازع أن آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالًا ومن أشدها تأثيرًا في الخطابات الإنسانية"[2].

ولقد تناول **ابن الأثير** التشبيه في المثل السائر أول ما أشار إليه هو تفريق علماء البيان بين التشبيه والتمثيل وهو على رأي مخالف لهذا إذ يقول: "وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابًا مفردًا، ولهذا بابًا مفردًا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به"[3].

ولقد أقر **عبد القاهر الجرجاني** بهذا الدور الحجاجي للتمثيل لما قال:

"واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكساها منقبة ورفع من أقدارها، وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفس لها ودعا

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص312.

[2]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، د.ت ص175.

[3]- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج02، ص115.

القلوب لها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وأقبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف وأسرع للألف، وأجلب للفرح، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر ويبرئ العليل ويشفي الغليل"[1].

يظهر الدور الحجاجي للتشبيه في قول **ابن الأثير:** "وأمّا فائدة التشبيه من الكلام فهي أنّك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها"[2].

ومن أمثلة وروده في الرواية نجد:

**أميديو كالشاي الساخن في يوم بارد[3].**

حيث شبه الكاتب أميديو بالشاي، والهدف من هذا التشبيه هو إقناع القارئ أن شخصية أميديو تحرك وتبعث في نفوس الآخرين الحيوية والنشاط والحركة، كالشاي تمامًا الذي يمنح النفس طاقة متجددة بعد تعبها أو كسلها.

ونجد أيضًا:

**أنا أعشق المصعد لا أستعمله بدافع الكسل وإنما من أجل التأمل، تضع إصبعك على الزر دون أي جهد، تصعد إلى الأعلى أو تنزل إلى الأسفل، قد يتعطّل وأنت قابع فيه، إنه كالحياة تمامًا لا يخلو من العطب[4].**

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، محمد عزيز شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص118–119.

[2]– ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج02، ص123.

[3]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص11.

[4]– المصدر نفسه، ص14.

فقد شبه الكاتب مصعد العمارة بالحياة، والهدف من هذا التشبيه هو إقناعنا بأن هذا المصعد لا بد أن يصيبه خلل، فهو كالحياة التي لا تخلو من المشاكل والمتاعب والمعاناة.

ونجد أيضًا:

**التلفزيون كالهواء تمامًا**[1].

إن الملفوظ أعلاه ذو طاقة حجاجية تتمثل في محاولة الكاتب إقناع الآخرين أن التلفزيون بات ضروريًا في حياة المجتمعات ولا يمكننا الاستغناء عنه، فلا يستطيع الإنسان العيش بدونه، فهو كالهواء لا نستطيع العيش من دونه.

وجاء أيضًا:

**رأيت اليوم ماريا كريستينا في محطة ترميني برفقة الكثير من أهل بلدها، بدت لي مسرورة. إنها كالسمكة التي تعود إلى الحوض بعد احتضار قصير بعيدًا عن الماء**[2].

شبه الكاتب ماريا كريستينا بالسمكة، تلك السمكة التي لا تستطيع العيش إلا في الماء الذي بالنسبة لها هو الحياة، ولكي يقنعنا الكاتب ضرب لنا هذا المثل، أي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعيدًا عن أهله بعيدًا عن عاداته وتقاليده.

التشبيه إذًا وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عدة، فهو الذي يعطينا الصورة الواضحة والمؤثرة.

**جـــ-الطاقة الحجاجية للكناية:**

إلى جانب كل من الاستعارة والتشبيه، نجد الكناية أيضًا لها دورًا حجاجيًا فهي بمثابة الدليل التي يلجأ إليها المتكلم لإثبات المعاني وإقناع القارئ يقول **الزركشي:** "والكناية عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص79.

[2]- المصدر نفسه، ص81.

الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيومئ إليه، ويجعله دليلًا عليه، فيدّل على المراد عن طريق أولى"[1].

وفي الدرس اللساني الغربي الحديث لا يعتبر **بيرلمان**الكناية صورة أسلوبية وإنما "ينظر إليها كحجة"[2].

وأورد الكاتب بعض الأمثلة منها:

**رأيت أميديو قبالتي يبكي، كانت المرة الوحيدة التي أراه فيها يبكي، احتضنني بقوة كما تفعل الأم مع ابنها الذي باغته المطر عند عودته من المدرسة**[3].

فحجاجية هذه الكناية وهي كناية عن صفة تكمن في مدى حب وشفقة وحنان وعطف ورحمة أميديو اتجاه صديقه منصور صمدي، كما تفعل الأم مع فلذة أكبادها التي تكن لهم كل مشاعر الحنان والرحمة.

ونجد أيضًا:

**عندما رأيته مكمم الفم، أحسست بزلزال رهيب في كل أطراف جسمي**[4].

فحجاجية هذه الكناية وهي كناية عن صفة تكمن في عمق الصدمة القوية والضربة العنيفة التي تلقاها أميديو على مستوى نفسيته عندما رأى منصور صمدي على تلك الحالة، تماما ما يفعله الزلزال من صدمات وآثار في قلوب الناس.

وبعد أن أنهينا من هذه الصور البيانية الثلاث، الاستعارة، التنشبيه، الكناية، تجدر الإشارة هنا أن هذه الصور كلها هدفت إلى إثبات المعنى وتقويته وهذا ما جاء في قول **عبد القاهر الجرجاني:** "اعلم أن سبيلك أولًا أن تعلم أن ليست المزيّة التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدّعي لها في

---

[1]– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج02، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص301.

[2]– فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص56.

[3]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص21.

[4]– المصدر نفسه، ص29.

أنفس المعاني التي يقصد المتكم إليها بخبره، ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إياها"[1].

**د-الطاقة الحجاجية للبديع:**

يستعمل المخاطِب في خطابه أشكالًا لغوية، تصنف بأنها أشكال تنتمي إلى الحقل البديعي وقد عرفه **القزويني** "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[2].

فالوظيفة الجمالية للبديع "تتحقق من خلال ما تحققه مباحث البديع من تناسب في بنية النص، والمقصود من هذا التناسب حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي حتى يتمتع كل عنصر بنصيب من الأثر والإبراز مع مساهته في انسجام الكل وتماسكه"[3].

ولعل هذا ما يجعلنا متأكدين من قدرة البديع على "تحقيق الوظيفة الجمالية، لأن البديع يقوم بالأساس على وفق مبدأ التكرار أو التقابل أو التجاوز أو التشابه في البناء الصوتي أو التركيبي أو الدلالي ولا شك أن هذه الهندسة اللغوية ستلقي بظلالها على تحقيق جماليات النص، وهذا يترك أثره في متلقي النص"[4].

غير أن دوره لا يقف عند هذا الحد أو عند هذه الوظيفة الشكلية، بل إن له "دورًا حجاجيًا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد"[5].

---

[1]- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، ص71.

[2]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م ص255.

[3]- خالد كاظم حميدي، علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص58.

[4]- المرجع نفسه، ص59.

[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص498.

ومن الأشكال البديعية التي وظفها الكاتب توظيفًا حجاجيًا:

**1-الجناس:**

حدّ البلاغيون الجناس "بأن تتفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى ويظهر من هذا التعريف أن الجناس ذو طبيعة تكرارية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى هذا القسم من البديع، إذ إنّ جوهر الجناس يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذا ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية نغمية جرس الألفاظ"[1].

إلا أن مجال الجناس في الكتابات الخطابية ضيق لأنه يختص بمجال الكلمة أو اللفظة وقد جاء في الرواية بصورة مقتضبة جدًا ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

**أنا أتقيأ ذكريات الدم دون توقف. إنني أعاني من قرحة معدية في الذاكرة. هل من دواء؟ نعم: العواء[2].**

**علميني يا سيدتي الجليلة حرفة التملص من الموت. علميني يا شهرزاد كيف أكر وأفر من غضب شهريار وحقده[3].**

فقد ورد الجناس وهو جناس تام بين الألفاظ:

**دواء/عواء.**

**أكر/أفر.**

وهنا تجلت وظيفة الجناس حتى وإن كان توظيفها قليل إلا أنه أحدث أثرًا في المتلقي وجعله يتوقف عند هذا من الاستعمال، لذلك فالجناس دعامة قوية أكدت المعنى الذي أراد الكاتب أن يثبته.

---

[1]- خالد كاظم حميدي، علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية، ص89.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص126.

[3]- المصدر نفسه، ص150.

**2-الطباق:**

هو محسن من المحسنات البديعية المعنوية وهو الجمع بين معنيين مختلفين في جملة واحدة والطباق نوعان:

**-طباق السلب:** ويكون بين الفعل المثبت والفعل المنفي وبين الأمر والنهي في تركيب لغوي واحد[1].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قل هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون**﴾[2].

**-طباق الإيجاب:** وهو طباق مباشر لا تستخدم في أدوات أو وسائط لغوية[3].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾[4].

ومن نماذج الطباق الذي يخدم الغرض في الخطاب الروائي الذي بين أيدينا قول الكاتب:

**إهانات هذه الملعونة ليس لها أول ولا آخر**[5].

إن الناظر في هذا المحسن البديعي يلحظه يتجاوز الزخرف اللفظي أو القيمة الجمالية بل يخرج ليؤدي دورًا حجاجيًا ذلك أن البوابة بندتا تستمر في إهانة منصور صمدي ولا تكف عن إيذائه ولا أحد يستطيع أن يقف في وجهها.

وفي موضع آخر من النص نجد طباقًا حجاجيًا في قوله:

**زوجته ستيفانيا تكره الكلاب كثيرًا واشتكت مرارا من نباح فالنتينو، قلت لها إن النباح هي لغة فالنتينو الوحيدة للتعبير عن فرحه وحزنه**[6].

لقد جمع الطباق بين معاني متضادة: الفرح/الحزن.

---

[1]- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص219.

[2]- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الزمر، الآية 09.

[3]- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، ص219.

[4]- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة المائدة، الآية 100.

[5]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص25.

[6]- المصدر نفسه، ص62.

يتضح لنا أن حجاجية هذا الطباق تكمن في أن فالنتينو يجعل من النباح وسيلة للتعبير عن مشاعره سواء كانت مشاعر الفرح أو مشاعر الحزن فالنباح هو رفيقه في هذه الحياة.

وفي موضع آخر من النص طباقًا حجاجيًا آخر في قوله:

**لها أربعة أبناء يأتون بتتابع لزيارتها كل يوم أحد والبقاء معها بقية ساعات اليوم عندما يصل أحدهم، تبدأ عطلتي الأسبوعية: من منتصف النهار إلى منتصف الليل[1].**

الشاهد في هذا الملفوظ هو الطباق بين لفظتي: النهار/الليل، وتكمن قيمته الحجاجية في الانضباط بالوقت والتحلي بالصرامة والجدية في العمل.

**هكذا أهل الشمال يعملون وينتجون ويدفعون الضرائب وأهل الجنوب يستغلون هذه الأموال في إنشاء العصابات الإجرامية مثل المافيا في صقلية ولاكامورا في نابولي ولاندراغتا في كلابريا وعصابات الاختطاف في سردينا، المصيبة أن الشمال عملاق اقتصادي وقزم سياسي هذه هي الحقيقة المرة[2].**

فالثنائيات المتضادة هنا ساعدت على توضيح الفكرة وتقريب الصورة وتوضيحها في ذهن المتلقي مما يجعله يقتنع بفحوى الكلام، وذلك أن شمال الدولة الإيطالية له القدرة والمقدرة على الصناعة والزراعة والإنتاج أما في الجانب السياسي يعلن فشله الذريع أمام إمبراطوريات الجنوب التي هي المستفيد الوحيد من خيرات الشمال دون تعب أو ملل.

ونجد أيضا:

**قال لي إن الكوميديا على الطريقة الإيطالية هي أبرز ما أبدعته القريحة الإيطالية لأنها تفجر التناقضات وتجمع بين التراجيديا والكوميديا[3].**

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص74.

[2]– المصدر نفسه، ص85.

[3]– المصدر نفسه ، ص97.

المقصود من توظيف الكاتب للطباق بين اللفظتين: التراجيديا/الكوميديا، أراد إقناعنا أن السينما الإيطالية لها قدرة إبداعية كبيرة وتجربة عالية في هذا الباب لأنها استطاعت أن تزاوج بين الفرح والحزن في الوقت نفسه وهذا ما يتطلب عقولًا بشرية إبداعية تهندس هكذا مشاهد.

فالبديع إذا يعد وحدة من وحدات النص القابلة للاستعمال في مقامات وسياقات متنوعة إذ يسهم البديع في بناء حجاجية النص لقدرته على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس فهو أحد أقسام البلاغة الهادفة إلى الإقناع والاستمالة.

وفي هذا الشأن يقول **صابر الحباشة** "إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخَاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دوره في الإقناع"[1].

والمتمعن في المحسنات البديعية الواردة في النص الروائي وإن كانت قليلة جاءت في مكانها حيث تطلبها المعنى، أين ساهمت في استمالة المتلقي والتأثير فيه كما ساهمت في توضيح المعنى وزادته قوة وجلاءً فالمعاني بالأضداد تتضح.

**هـ-حجاجية الاستشهاد:**

الاستشهادات روافد نصوصية تغذى بها الخطابات، وتمنحها قوة إقناعية لم تكن لتتمتع بها من دونها، وهي تعني "نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة عن متكلم آخر غير الذي يستشهد وذلك بأكثر أمانة ممكنة أو على الأقل بإعطاء انطباع من الدقة من أجل إحداث تأثير تصديقي في الحجاج"[2].

---

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص51.

[2]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2009م، ص94.

والشواهد ليست نصوصًا لغوية فحسب، ولكنها تعني أيضًا "نقل وقائع ومعطيات وأمورًا دقيقة وأرقامًا وتفاصيل وذلك لتدعيم حجّة مثلما يقال: استشهد بوقائع، واستشهد بأسماء"[1].

وعلى هذا الأساس يمكننا الحديث عن الروافد الاستشهادية في النص الروائي الذي بين أيدينا:

**1-الشاهد القرآني:**

يعتبر القرآن الكريم كتابًا مباركًا في حياة المسلمين، فهو كلام الله ووحيه، لذلك يعتبر الاحتجاج به إضافة مهمة في أي خطاب بشري، وقد تضمنت االرواية عددًا من الاقتباسات القرآنية دعمًا للحجة وتقوية للتوجيهات التي تضمنتها.

**خذ مثلا التونسي الذي يعمل في مطعم لونا الواقع في محطة ترميني، اسمه الحقيقي محسن لكنه أطلق على نفسه أو أطلقوا عليه اسم ماسيميليانو لقد قال الله في القرآن لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم صدق الله العظيم أنا لا أطيق كل من ينكر أصله[2].**

الآية القرآنية هنا هي قوله تعالى:﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصرى حتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[3].

فاستحضر كاتبنا هذا الشاهد القرآني ليقوي كلامه ويدعمه حتى يكون أكثر تأثيرًا في المتلقي، من قبيل أن المجتمع الإيطالي مجتمع عنصري من الصعب جدًا أن تندمج فيه حتى تتبع عاداتهم وتقاليدهم هذه العادات والتقاليد تمس الأكل والشرب واللباس والدين واللغة وكل شيء حتى يعتبرونك واحدًا منهم أي الانصهار والذوبان في الآخر.

---

[1]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني ، ص94.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص130.

[3]- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية 120.

كما تضمنت الرواية آية على سبيل الاقتباس غير المباشر، بحذف جزء منها كي ينسجم تركيبيًا مع النص، فقد وردت الآية التالية في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾[1].

بتحوير طفيف جاء في قول الكاتب:

**أرى... أرى نفسي أقف وحدي أمام جدار العذرية. سور الصين جبال الهمالايا يا حسرتي على السنوات الضائعة قالوا لي إن الزاني يُجلد مائة جلدة**[2].

يحث الكاتب من خلال هذا الشاهد القرآني على أمر مهم في حياة الإنسان وهو الزواج الذي يشبع غرائز الإنسان ويبعده عن الفحشاء والمنكر والزنا والسفاح.

**2-الشاهد النبوي:**

للحديث النبوي الشريف أيضا قوة حجاجية كبيرة، تسلعد على المتكلم على تمرير رسالته بيسر وثقة، لأن الجمهور مستعد للامتثال والرضوخ للأحاديث النبوية.

ومن هذا القبيل نجد:

**مثل السينيور أميديو الذي كان يفاجئني دوما بالتحية الإسلامية: السلام عليكم. إنه يعرف الإسلام معرفة جيدة، في إحدى المرات قال لي إن الرسول محمد هو القائل تبسمك في وجه أخيك صدقة**[3].

فالكاتب استحضر الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: {**تبسّمك في وجه أخيك صدقة**}.

فالكاتب أراد من خلال هذا الاستشهاد النبوي أن يمرر رسالة ويقنع المتلقي بفكرة مفادها أن أميديو دائم البشاشة والبشر والانبساط، فالبشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين وجه طليق وكلام لين، ولا أحد يجسد هذه الصفات إلا إذا كان على قدر من

---

[1]- سورة النور، الآية 02.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص140.

[3]- المصدر نفسه ، ص50.

المعرفة الدينية كما هو الحال مع شخصية أميديو التي تبدو عاملة بنصوص الأحاديث النبوية.

ومن الأحاديث النبوية التي وظفها الكاتب في نصه توظيفًا غير مباشر ولكنها خدمت الغرض الذي يرمي إليه نجد قوله:

**بصراحة أنا لا أحترم كل من يغير اسمه أو يتنكر لأصله، مثلا أنا اسمي عبد الله كما أعرف تمام المعرفة أنه اسم عسير النطق عند الإيطاليين رغم هذا أقسمت أن لا أغيره ما دمت حيا. لا أريد أن أعصي والدي الذي منحني هذا الاسم والله تعالى نهانا عن عقوق الوالدين وهي من الكبائر كالقتل والزنى وشهادة الزور وأكل مال اليتيم. حاول الكثير من الإيطاليين الذين أعرفهم إقناعي بتغيير الاسم وعرضوا علي مجموعة من الأسماء الإيطالية: ألساندرو، فرانشيسكو، ماسمليانو، غويدو، ماريو وغيرها من الأسماء لكني رفضت رفضًا مطلقًا**[1].

مستلهمًا من قوله صل الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صل الله عليه وسلم قال: {**اجتنبوا السّبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسّحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**}. **متفق عليه.**

فالكاتب أراد أن يقنعنا بمدى تمسك عبد الله بقيمه وخصاله وأصالته حتى وهو بعيدًا عن وطنه الأم بعيدًا عن عروبته، متمسكًا بكلمة والده التي لا يشق لها غبار خائفًا من عصيان والده التي لها وقع خطير على نفسه وحياته وذلك في سياق عقد مماثلة بين العقوق وبين القتل والزنى وشهادة الزور وأكل مال اليتيم التي حذر منها النبي صل عليه وسلم لما لها من آثار وخيمة على حياة العبد، فاستجاب عبد الله لنداء والده مستحضرًا الحديث النبوي الشريف طائعًا لوالده.

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص129.

**3-الاستشهاد بالمثل:**

تتصرف الأمثال "في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها من أقواها من الألفاظ، ليخفّ استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنّها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع اللّفظ، وندر من المعنى"[1].

ويؤتى بالمثل لتسقط عليه قضية ما فيدعمها ويقويها في ذهن المتلقي، كما يعد قاعدة من قبيل المسلمات التي لا يرفضها العقل، ونظير ذلك في هذه المدونة نجد:

**أعتقد أن بارويز خائف من نسيان الطبخ الإيراني إذا ما تعلم شيئا من الطبخ الإيطالي هذا هو التفسير الوحيد لكرهه للبيتزا خصوصا والعجائن عموما. كما يقول المثل العربي لا يجتمع سيفان في غمد واحد[2].**

فالكاتب هنا استعان بالمثل العربي: «لا يجتمع سيفان في غمد واحد» ليدعم قضية مفادها أن منصور صمدي يستحيل أن يجمع بين الأطعمة الإيرانية والأكلات الإيطالية في الوقت نفسه، تماما مثل الغمد الذي لا يحمل إلا سيفًا واحدًا، فمنصور صمدي يكتفي بتقديم الأطعمة الإيرانية.

ونجد أيضا:

**من عادة بندتا الشكوى، إنها تشتكي من كل شيء: من سكان العمارة، من الحكومة، من تجار ساحة فيتوريو، من رداءة الخدمات الصحية، من غلاء الأدوية، من الضرائب من المطر، من المهاجرين. غير أنها اليوم فاتحتني في موضوع ابنها جنارو العاطل عن العمل، طلبت مني أن أجد له عملا قالت لي: إن الأقارب مثل**

---

[1]- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص08.

[2]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص29.

**الأحذية الضيقة التي تسبب لأصحابها الكثير من الإزعاج، هذا المثل يشبه المثل العربي القائل: الأقارب مثل العقارب[1].**

وهذا المثل «**الأقارب مثل العقارب**» من الأمثال الشائعة في ثقافتنا أتى به الكاتب ليرسخ في ذهن المتلقي صورة بأن الخير لا تجده في أبناء عمومتك فهم دائما أقرب إلى الحسد والبغضاء وحتى تمني زوال النعمة، فالخير كل الخير تجده عند صديق بعيد عنك وهذا ما دفع ببدنتا أن تطلب مساعدة أميديو أن يجد لها عملا لابنها بدل أن تلجأ لأقربائها.

وجاء أيضا:

**لقد فكرت طوال اليوم في العنصري الذي يأبى الابتسامة، فوجدت أن إقبال قد وضع يده على اكتشاف هام. مشكلة العنصري ليست مع الآخرين وإنما مع نفسه. العنصري لا يبتسم للآخرين لأنه لا يبتسم لنفسه، صدق المثل العربي القائل: فاقد الشيء لا يعطيه[2].**

فاستحضر الروائي هذا المثل «**فاقد الشيء لا يعطيه**» لأن الشخص عندما يستشعر ما فقده وبه نزعة أنانية فلا يعطي الآخرين ما فقده، وهذا هو حال العنصري الذي لم يرحم نفسه وذاته فكيف له أن يرحم الآخرين ويقدم لهم أجمل الابتسامات وهو فاقدها بينه وبين نفسه.

ومن هذا القبيل نجد أيضا:

**صرت لا أفاتحه في مواضيع تخص الجزائر حتى لا أزعجه. لم أجرؤ على نصحه بالتخلي عن اسم أميديو والرجوع إلى اسمه الأصلي أحمد وهو اسم الرسول صل الله عليه وسلم. ألا يقال إن الرجوع إلى الأصل فضيلة[3].**

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص47.

[2]– المصدر نفسه ، ص47.

[3]– المصدر نفسه، ص132.

مستحضرًا الكاتب هذا المثل العربي الشهير: «**الرجوع إلى الأصل فضيلة**» مهما كان المرء في بيئة غير بيئته ألا ينسلخ عن عاداته وتقاليده وأن لا ينسى عرقه وأصله وفصله ونسبه.

وفي مناسبة أخرى يقدم لنا الكاتب مثالا آخر يعرض فيه حالة المجتمع الإيطالي فيقول:

**أنا أعمل في بيع السمك منذ سنوات، لا أجد فروقا بين حياة السمك وحياة المهاجرين هناك مثل يردده الإيطاليون كثيرا: الضيف مثل السمك بعد ثلاثة أيام يتعفن**[1].

فالحجة التي أوردها كاتبنا لا تكتمل إلا بهذا المثل، وإسقاط قضيته عليه، وفيه إشارة إلى عنصرية المجتمع الإيطالي الذي يكره المهاجرين إلى بلده، فالمهاجر ما هو إلا ضيف ولو طال به المقام سوف يتعفن في ظل هذا المجتمع العنصري ويرمى به إلى مزبلة اللاواقع وإلى المعاناة والتشرد.

فالكاتب عمد إلى توظيف هذه الاستشهادات من القرآن والسنة والأمثال، التي سوغت له تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتائج قصد إبلاغها إلى المتلقي لإقناعه ومن ثم التأثير فيه.

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص133.

## المبحث الثالث: الآليات التداولية للحجاج.

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم الأسس التي قامت عليها اللسانيات التداولية وذلك بوصفها المجسد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، فانبثقت من رحم الفلسفة التحليلية، التي اقتصرت على وظائف معينة للغة، واهتمت بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وإنجاز وتأثير وذلك من أجل إنجاح العملية التواصلية بين المتكلمين[1]

حيث وضع أصولها "**أوستين**، وأقام بناءها **سورل**، ووسع مجالها **غرايس**و **فان ايمرن**ومبنى هذه النظرية إجمالًا على أن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة"[(2)].

ونجد **أوستين** قد ميز بين نوعين من الأفعال: أفعال انجازية تستخدم لإنجاز فعل وليس لها خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وأفعال إخبارية هي التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي ويحكم عليها بالصدق أو الكذب.

### أولا-الأفعال الإنجازية:

إن للأفعال الإنجازية دور مهم في العملية الحجاجية فهي تعمل على استمالة عقل المتلقي وإثارة عواطفه وهي تضم الاستفهام، الأمر، النهي، النداء التمني.

### أ-الإستفهام:

وهو يعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية الحجاجية يستخدمها المتكلم ضمن العملية الحجاجية لأجل الكشف عن ما يجول في ذهن المتلقي.

ولقد مثل الاستفهام في قول الكاتب:

**هل يعاقب القانون من يكره البيتزا أم لا؟**[(3)].

---

[1]- ينظر: باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، ص154.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص260.

[3]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص10.

أنجز الكاتب فعلًا كلاميًا إنشائيًا متمثلًا في الاستفهام والذي خرج إلى معنى آخر ضمني وهو الحيرة والدهشة، فمنصور صمدي في حيرة من أمره هل تعاقب السلطات الإيطالية فعلًا من يكره أكلة البيتزا.

وجاء أيضًا:

**هل اللغة التي يتكلمهابوسوسو هي الإيطالية حقا؟**[1].

جاء الفعل الكلامي هنا هو الاستفهام خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو التعجب، فمنصور صمدي تعجب من اللغة التي يتكلم بها بوسوسو هل هي اللغة الإيطالية أو لغة أخرى.

ونجد أيضًا:

**عندما أتذكر أطفالي الصغار شادي وسعيد وصهراب وعمر وزوجتي زينب أحزن كثيرًا، أقول في نفسي: أين هم الآن؟**[2].

أنجز الكاتب فعلًا كلاميًا آخر وهو الاستفهام خارجًا عن غرضه الأصلي ليؤدي غرضًا آخر ضمني وهو الحيرة، أي حيرة منصور صمدي على مصير أولاده وزوجته الذين تركهم بعيدًا عنه.

وجاء أيضًا:

**قلت لها ذات مرة: إن الأرز طعام الآسيويين المفضل، لماذا تخليت عن أصلك؟**[3].

أنجز الكاتب فعلًا إنجازيًا وهو الاستفهام خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو الإنكار، فمنصور صمدي أنكر على الخادمة الهندية ماريا كريستينا تناولها للمأكولات الإيطالية متجاهلة أكلة كل الآسيويين ألا وهو الأرز.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص12.

[2]– المصدر نفسه، ص16.

[3]– المصدر نفسه ، ص18.

ونجد أيضًا:

**أصبحت لا أفهم شيئًا، اللعنة على الشيخوخة! حسنًا، إذا كان السنيورأميديو أجنبيًا كما تدّعون، فمن هو الإيطالي حقًا؟**[1].

فأنجز الكاتب هنا فعلًا كلاميًا وهو الاستفهام خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو الإعجاب، منصور صمدي معجب بشخصية منصور صمدي في إتقانه للغة الإيطالية، في هندامه في شكله الذي يشبه الإيطاليين كثيرًا.

وجاء أيضا في الرواية:

**فالرجاء أن تكفواعن اتهام أميديو بأنه أجنبي، هكذا نحن: في وقت الشدائد نتنكر لبعضنا البعض، بدل أن نتعاون ونتآزر، نسعى بشتى الوسائل للإساءة إلى أنفسنا! هل نحن شعب مجبول على الخيانة**[2].

أنجز الكاتب هنا فعلًا كلاميًا متمثلًا في الاستفهام خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو التحسر، فجاء تحسر منصور صمدي على هذا الشعب الذي يتعاون ولا يتآزر مع بعضه البعض محبًا للخيانة والوشاية.

**ب-الأمر:**

يعد الأمر من الأفعال الإنجازية الإنشائية وهدفه توجيه سلوك المتلقي نحو فعل معين، ومن أمثلة وروده في الرواية نجد:

**قشر البصل يا بارويز! سخّن الماء يا بارويز! راقب السباغيتي يا بارويز! اغسل الفواكه يا بارويز! نظّف السمك يا بارويز**[3].

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص35.

[2]- المصدر نفسه، ص43.

[3]- المصدر نفسه ، ص19.

أنجز الكاتب هنا فعلًا كلاميًا إنشائيًا في صيغة الأمر خارجًا عن غرضه الأصلي ليؤدي غرضًا آخر وهو التحقير، حيث جاءت هذه الأفعال على شكل حجج من أجل إقناع المتلقي نحو فعل معين وهو ما يعانيه منصور صمدي داخل المطبخ.

**جـــ-النداء:**

ومن أمثلة وروده في الرواية نجد:

**قولوا لي: هل التفاني في خدمتهم يعني تدخلًا في حياتهم الشخصية؟ الرأفة يا قديس نابولي العظيم[1].**

أنجز الكاتب فعلًا إنجازيًا متمثلًا في النداء، الذي خرج عن غرضه الأصلي ليؤدي غرضًا أخر وهو الالتماس، فمنصور صمدي يلتمس من القديس أن ينصفه من كيد هؤلاء البشر.

ونجد أيضًا:

**البوابة بدنتا عنصرية كذلك، إنها تكرهني بلا سبب ولا تردّ على تحيتي تتعمّد إهانتي عندما تناديني: يا باكستاني[2].**

جاء الفعل الكلامي هنا هو النداء خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو التحقير، فالبوابة بدنتا احتقرت تصرفات منصور صمدي التي يتصرف بها كالباكستانيين من غلظة وشدة.

ونجد أيضًا:

**لقد رضخت لضغوط والدي: يجب أن تذهب إلى روما يا أنطونيو، يجب أن لا تفرط في فرصة عمل تتاح لك، العمل عبادة يا بني[3].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص36.

[2]- المصدر نفسه، ص49.

[3]- المصدر نفسه ، ص84.

أنجز الكاتب فعلًا كلاميًا إنشائيًا متمثلًا في النداء، والذي خرج إلى معنى ضمني آخر وهو النصح والإرشاد، فوالد أنطونيو ينصح ولده بضرورة العمل وقرن هذا الفعل بالعبادة، ليقنع المتلقي أنه مثلما تجزى عن العبادة كذلك تجزى عن العمل الذي لا يقل أهمية عن العبادة.

**ثانيا-الأفعال الإخبارية:**

المثال الأول: **اليوم قال لي إقبال مفتخرًا إن ابنه البكر محمود يتحدّث الإيطالية بطلاقة، فهو الذي يرافق أمه في قضاء بعض المشاغل اليومية كالذهاب عند الطبيب، قلت له: هل تتحدث زوجتك الإيطالية؟ قال: لا!البنغاليون لا يرسلون زوجاتهم إلى المدارس لأن الإسلام يحرم علينا الاختلاط**[1].

ففي هذا المثال قام الكاتب بإنجاز أفعال كلامية مباشرة لقد عرض علينا مدى تمسك البنغاليون بتطبيق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي يحرم الاختلاط بين الرجل والمرأة سواء في العمل أو في المدرسة، فهذه الأفعال جاءت على شكل جمل خبرية فهي بمثابة حجج أدت وظيفة تواصلية.

المثال الثاني: **لم يكن والدي متحمسًا كثيرًا لمشروعي، حاول إقناعي بشتى الطرق حتى أتراجع عن قراري: دعك يا يوهان من إيطاليا، لن تتعلم شيئًا من الإيطاليين**[2].

نجد في هذا المثال أفعالًا كلامية ذات قيمة حجاجية فهي تخبر عن المجتمع الإيطالي هذا المجتمع العنصري الذي لا يحب الخير للآخرين.

المثال الثالث: **لقد نجح أميديو في مهمة صعبة، المدرسة النسوية هي فرصة للالتقاء وتبادل الحديث، إنها مناسبة للخروج من البيت بل هي ذريعة لمغادرة السجن، الذهاب إلى المدرسة ذريعة لفك الحصار على الفتيات البنغاليات**[3].

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص60.

[2]- المصدر نفسه ، ص95.

[3]- المصدر نفسه، ص123.

نجد أيضًا في هذا المثال أفعالًا كلامية ذات قيمة حجاجية فهي تخبر عن مدى وعي أميديو وثقافته ومدى قدرته على إقناع الآخرين للقيام بأفعال ما.

في الأخير نقول لقد كان للآليات التداولية دور في الرواية، فكان لأفعال الكلام الدور الفعال في توجيه الخطاب، ولا سيما الاستفهام، الأمر، النداء، وكل القوى الإنجازية والإخبارية التي اطلعت بها، وكذلك على صعيد التأثير الذي أحدثته في نفس المتلقي.

وساهمت الأدوات اللغوية هي الأخرى في تساوق الحجج وتعاونها للوصول إلى نتيجة واحدة، ما دل على انسجام خطاباتها حجاجيًا من جهة وتوجيهها وجهة قوية للتأثير في المخاطَب واستمالته، هذا وإلى جانب الآليات البلاغية التي مثلت نمطًا من التعبير نمى قدرتها الاقناعية، من خلال جمالياتها التعبيرية، والتأثير في المتلقي بسحرها، خاصة إذا كانت هناك مهارة في تخير الألفاظ التي تجمع بين المعنى الأصلي والمعني المجازي فكانت وسيلة حجاجية استفزت شعور المتلقي وأثرت فيه.

**المبحث الرابع: الآليات المنطقية.**

إنّ المقاربة المنطقية للحجاج أضفت عليه صفة العقلانية وأكسبته حسًا منطقيًا يعتمد على البرهنة والاستدلال والإقناع المنطقي العقلي بالدليل الواضح.

**-القياس المنطقي:**

وهو أكثر الأنواع القياسية شيوعًا واستعمالًا، ويتكون من مقدمتين مذكورتين ونتيجة مذكورة على النحو التالي:

**مقدمة كبرى.**

**مقدمة صغرى.**

**نتيجة.**

وهو بنية أساسية في كل خطاب حجاجي وهو جوهر المنطق وقاعدته الكبرى ويتجلى دوره في الربط بين مكونات الحجاج، وفي العلاقة التي تقوم بينها، انتقالًا من المقدمات وصولًا إلى النتائج، فتمثل المقدمة الكبرى مسلمة بديهية عند المتلقي، يؤسس عليه المحاجج حجته، ويضيف إليها مقدمة صغرى، لتكون مع القاعدة الكبرى قاعدة للاستنتاج والاستدلال تمثل النتيجة.

وتظهر وظيفة القياس الأساسية في إقناع المتلقي وإشراك انتباهه وتركيزه من طرف المحاجج.

وفيما يأتي تحليل لبعض الملفوظات التي اعتمدت عليها الكاتب لإقناع المتلقي بصحة دعوته ويؤثر فيه بالدليل والبرهان العقلي:

**هذا المساء ذهبت مع بارويز لشراء الأرز وبعض التوابل عند إقبال. تجاذبنا أطراف الحديث حول المناشير المعادية للمهاجرين الملصقة على جدران ساحة فيتوريو أشار إقبال إلى صندوق التفاح الموجود أمامه قائلًا: عندما أرى تفاحة فاسدة، فإني أسرع إلى عزلها عن بقية التفاح لأني لو تركتها في مكانها، فإن كل التفاح سيفسد لماذا لا تتصرف الشرطة بحزم مع المهاجرين المنحرفين؟ ما ذنب**

**المهاجرين الشرفاء الذين يكدون من أجل لقمة العيش؟ كلمات إقبال جعلتني أنتبه إلى مسألة إلصاق ظاهرة الإجرام بالمهاجرين بلا تمييز، كم عانى المهاجرون الإيطاليون في الولايات المتحدة من تهمة المافيا لكن يبدو أن الإيطاليين لم يتعلموا من دروس الماضي[1].**

تشكل القياس المنطقي على النحو التالي:

**مقدمة كبرى: المهاجرون.**

**مقدمة صغرى: الحكومة الإيطالية.**

**نتيجة: التمييز العنصري وعدم الاستفادة من تجارب الماضي.**

ففي هذا الملفوظ يحكي الكاتب موضوع الهجرة والمهاجرون، واصفًا ما يعانيه هؤلاء المهاجرون في إيطاليا حتى وإن كانوا شرفاء لم يسلموا من اتهامات وملاحقات ومطاردات الحكومة الإيطالية، ويبدو أن الإيطاليين لم يتعلموا من دروس الماضي وهي حقيقة يمليها عليهم مواطنوهم الذين هم في المهجر وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ما يلاقونه من تعسف ومعاناة، ألم يان للحكومة الإيطالية أن تعامل من هاجر إليها بطريقة لبقة بعيدًا عن أشكال العنصرية، فمثلما تعامل هؤلاء المهاجرون سوف يعاملك مهاجروك في أوطان مختلفة.

إذًا هذه المقدمات التي تمثل حججًا تثبت عنصرية الحكومة الإيطالية وعدم قراءتها للماضي.

وفي سياق مكمّل نجد قياسًا آخر يندرج ضمن القياس المنطقي وهو قول الكاتب:

**ذهبت إلى المحامي لأرفع قضية ضد مجهول. من أساء إلى الصغير فالنتينو يجب أن يعاقب. ما قالته البوابة بندتا عن الصينيين أثار شكوكي. طرحت على المحامي سؤالا واحدا: هل يعاقب القانون من يأكل لحم الكلب؟ فأجابني بشيء من**

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص59.

**الدهشة والحيرة: لم أفكّر أبدا في هذه المسألة وطلب مهلة من الوقت لمراجعة مجلدات القانون الجنائي واستشارة زملاء المهنة. لم أبق مكتوفة اليدين بل رحت أبحث عن الجمعيات التي تدافع عن حقوق الإنسان وعلى رأسها منظمة العفو الدولية ولكنني صدمت بالردّ: نحن ندافع عن الإنسان وليس عن الحيوان. أنا أقول إن هذا البلد ليس بلدا متحضرا. قبل سنة زرت سويسرا وشاهدت بعيني كيف تعامل الكلاب، ما أكثر محلات الحلاقة والعيادات والمطاعم المخصصة لها، بل رأيت مقبرة صغيرة في جنيف يدفن فيها الكلاب متى تصير إيطاليا بلدا متحضرا كسويسرا**[1].

وتشكل القياس المنطقي على النحو التالي:

**المقدمة الكبرى: الحضارة.**

**المقدمة الصغرى: احترام القوانين.**

**النتيجة: التفاوت بين الدول الأوروبية في مقومات الحضارة.**

يقوم هذا الملفوظ على أخبار الحضارات، وفيه استنتاج حجاجي متضمن مقدمة كبرى **الحضارة** ومقدمة صغرى **احترام القوانين**، فعبارة الحضارة مقدمة كبرى أولية دالة على التطور والتقدم والازدهار في جميع مناحي الحياة، والمقدمة الصغرى **احترام القوانين** وضعها الكاتب كقرينة خاصة، تحيل المقدمة الكبرى، يستنتج من هذه الإحالة بين المقدمات، ليس كل بلد أوروبي يملك مقومات الحضارة الفعلية، وهناك تفاوت كبير بين الدول في صناعة الحضارة على أحسن وجه.

وفي موضع آخر نجد:

**هذا الصباح انتظرت الأوتوبيس رقم 70 نصف ساعة في محطة شارع جوليتي القريبة من ساحة فيتوريو، في غضون دقيقة أو دقيقتين وصلت ثلاثة أوتوبيسات بالتتابع، نزل السائقون دون أن يكترثوا لاحتجاجات المنتظرين بل قصدوا البار المقابل**

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص61.

**للمحطة وجلسوا على الطاولة الخارجية لشرب القهوة والثرثرة وتدخين بعض السجائر بقينا نصف ساعة أخرى ننتظر انطلاق الأوتوبيس، في النهاية قدم السائقون من مقاعدهم كرجل واحد وتوجه كل واحد منهم إلى مقعده، وانطلقوا دفعة واحدة قولوا لي هل نحن في مقديشو أم في أديس أبابا؟ هل نحن في روما أم في بومباي؟ هل نحن في العالم المتقدم أم في العالم الثالث؟ أين نحن؟ عما قريب سنطرد من نادي الدول المصنعة[1].**

وتشكل القياس المنطقي على النحو التالي:

**مقدمة كبرى: العالم المتقدم.**

**مقدمة صغرى: الوقت.**

**النتيجة: عدم الانضباط وتعطيل أعمال العامة.**

ففي هذا الملفوظ أبطلت جميع صفات العالم المتقدم الذي يدعي الحضارة وما شاكلها، فهذه الآلية الحجاجية حاولت تقريب حقيقة العالم المتقدم للمتلقي وإقناعه بأن لا يغتر بزخرف هذه الحضارة.

فالقياس والاستدلال من التقنيات الحجاجية التي حققت الإقناع، ونجد الكاتب في هذه الرواية انتهج هذه الطريقة وبها توصل إلى نتيجة منطقية مقنعة، أثرت في المتلقي.

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص83.

**المبحث الخامس: الحوارية وطرق التواصل.**

يرى **ميخائيل باختين** أن "دوستويفسكي هو خالق الرواية المتعددة الأصوات لقد أوجد صنفًا روائيًا جديدًا بصورة جوهرية"[1] ، التي عوضت الملحمة الكلاسيكية ذات الصوت الواحد ومحطمة "الأشكال القائمة للرواية الأوروبية المونولوجية المتجانسة في الأصل"[2] ، والتي فيها كل شيء واحد: اللغة والأسلوب، والسارد، بينما تتعدد هذه العناصر في الرواية متعددة الأصوات.

فالرواية تعد مناخًا جيدًا لممارسة الحجاج، نظرًا إلى تعددية الأصوات الإيديولوجية فيها.

وبالتالي فالرواية فضاء جيد لتعايش الأصوات وصراعها، ذلك أن "الرواية البوليفونية تنبني على صور للأفكار ويسعى المؤلف فيها فسح المجال أمام وجهات نظر الشخصيات لأن تبلغ أقصى درجات الإقناع، باتباعها لمنطق حواري وجدالي، تفقد من خلاله هذه الأفكار نزوعها اليقيني ونبرتها الأحادية"[3].

في حين أن الرواية التي مارست الصوت الأحادي علينا غالبًا غير مقبول، لأنه مهيمن متسلط إنها تمارس إقناعًا خفيًا وخادعًا.

الأهم من هذا أن ما يميز الرواية حسب **باختين** هو أنها "تشتمل على عدد كبير من المنظورات"[4].

وعليه يعتبر الحوار من أهم مقومات العملية الحجاجية، إذ يمنح النص مذاقًا ولونًا خاصًا، ولعل هذا ما يبرز جليًا في النص الذي بين أيدينا الذي اعتمد على التقنية

---

[1]– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1986م، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– مصطفى رجوان، الرواية والحجاج، ص52.

[4]– ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987م، ص103.

الحوارية، إنه يتعدى كونه أحد التقنيات السردية، إلى كونه وسيلة لتقديم الحدث الدرامي فهو يعمق الحركة ويبعث الحياة ويعطي النص دلالات فكرية واجتماعية.

وعليه فقد تعددت أساليب الكاتب في هذا النص في توظيف الحوار، مساهمًا في بنية الخطاب الروائي الحجاجي، حيث كشفت القراءة المتأملة عن أنماط من الحوار وهي:

**أولا-الحوار الداخلي:**

وظف الكاتب الكاتب الحوار الداخلي راسمًا بذلك أفكار الشخصية وصنيع أحداثها إذ كثيرًا ما يلجأ الإنسان إلى الوقوف مع ذاته ومناجاتها والتحاور معها في لحظات التأمل والاندهاش في مثل قوله:

**هل هو إيطالي أم لا؟ لا فائدة ترجى من هذا السؤال، النفي أو الإيجاب لن يحل المشكلة[1].**

**آسف مستواك اللغوي منخفض جدا، عادة ما أسمع هذه الكلمات المهينة عندما أبحث عن العمل في المطاعم قبل أن أرمى في المطبخ لغسل الصحون؟ يبدو أن اللغة الوحيدة التي تتقنها يا عزيزي بارويز هي غسل الصحون[2].**

**عندما أتذكر أطفالي الصغار شادي وسعيد وصهراب وعمر وزوجتي زينب أحزن كثيرا. أقول في نفسي: أين هم الآن؟ لا شك أنهم مشردون في مكان ما[3].**

**عجيب أمر بارويز، لا يعيش في روما وإنما في شيراز، إذا لماذا نصر على تعليم بارويز الإيطالية وأصول الطبخ الإيطالي؟ هل يتكلم الناس الإيطالية في شيراز؟ هل تؤكل البيتزا والسباغيتي ... في شيراز[4].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص11.

[2]- المصدر نفسه، ص13.

[3]- المصدر نفسه، ص16.

[4]- المصدر نفسه، ص30.

**أسأل بصوت مرتفع من هذا العش القذر التي تتصاعد فيه الروائح التي تزكم الأنوف: من يملك الحقيقة؟ بل ماهي الحقيقة؟ هل تقال الحقيقة باللسان[1].**

**لم أصدق نفسي وتساءلت بحيرة: هل بقي إيطاليون يحترمون النساء في هذا البلد[2].**

**عندما أسمع ما يقال من أخبار سيئة عن ساحة فيتوريو، يستبد بي الشك وأقول في نفسي: هل يتحدثون عن ساحة فيتوريو التي أقيم فيها منذ عشر سنوات أم عن البنرونكس الذي نشاهده في الأفلام البوليسية[3].**

**من هو أميديو الحقيقي؟ يا له من سؤال غريب. لا يوجد أميديو حقيقي وأميديو مزيف. هناك أميديو واحد فقط. أميديو المدهش الذي عشقني وعشقته[4].**

**آه من الذاكرة الملعونة، الذاكرة صخرة سيزيف اللعينة، من أنا؟ أحمد أم أميديو؟ آه يا بهجة، هل من سعادة بعيدا عن ابتسامتك؟ هل من راحة بعيدا عن حضنك؟ هل حان وقت الاستراحة؟ إلى متى سيدوم المنفى؟ إلى متى سيدوم العواء[5].**

خرج الحوار في هذه الأمثلة عن قوالبه التقليدية إلى ضرب من التجريد، دالة على عمق تمثل الكاتب للمعاني وبراعته في تجسيدها، سائلًا كل واحد منهم نفسه مع علمه بأنها لا تجيبه وكأنها محاولة ضمن محاولات كثيرة للتنفيس عما بداخل هذه النفس.

ونجد أيضا:

**قلت في نفسي لن أتحرك من هذا المكان إلا في نعش[6].**

---

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص30.

[2]- المصدر نفسه، ص36.

[3]- المصدر نفسه، ص52.

[4]- المصدر نفسه، ص117.

[5]- المصدر نفسه، ص150.

[6]- المصدر نفسه ، ص21.

إن المخاطَب في هذا الحوار هو الأنا ذاته، منصور صمدي في هذا الموقف يناجي نفسه، يستجمع أفكاره ورأيه، فتحول تلقائيًا من مرسا ومستقبل في آن واحد.

وجاء أيضا:

**زاد وزني بعض الشيء. يبدو أن بارويز محق في قوله: أنت مدمن من نوع خاص، أنت لا تدمن على المخدرات يا أميديو وإنما على البيتزا. لم أنتبه إلى مسألة البيتزا إلا مؤخرا**[1].

وحين تلجأ الشخصية إلى إجراء حوار داخل نفسها، تكون قد أقامت جسور التواصل مع ذاتها باعتبار ذلك صورة من صور التواصل في أرض الواقع، فهو صورة معدلة عن الواقع، وربما كانت محاكمة بهدف إعادة النظر في الحياة وتصحيح عثراتها.

**ثانيا-الحوار الخارجي:**

هذا النمط من أقدم وأشهر الأساليب السردية الخاصة باستحضار الأحاديث ويقتصر دور السارد فيه على تقديم قول الشخصيات بكلمات أو جمل يبدأ بها حديثه بتوظيف الأفعال على القول مثل: قال، شرح، سأل.

ويلعب هذا النمط من الحوار دورًا كبيرًا في فتح باب "الحجاج بين المتكلم والمخاطَب حيث يقيم السؤال علاقة حجاجية بين المتخاطبين، ويبعث على ربط الاتصال بين الطرفين، لأن السؤال يتطلّب جوابًا، والجواب يمثل حجة مقنعة، كما يفضي إلى نتيجة لم تكن معلومة"[2].

وهو ما يتضح عبر هذه المقاطع السردية مثلا:

**ما علاقة أميديو بذلك المنحرف المقتول الذي يبول في المصعد؟ رأيته بعيني في المصعد، قلت له: هذا المصعد ليس مرحاضا عموميا، نظر إلي بوقاحة قائلا: لو قلت**

[1]- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص28.

[2]- أحمد علواني، الحجاج عند الطفيليين، دار التنوير، القاهرة، مصر، ط1، 2015م، ص71.

لي هذا الكلام مرة أخرى، فإني سأبول في فمك، أنت في بيتي، لا حق لك في الكلام هل فهمت أيها الأجنبي الحقير[1].

ذات مرة سألتني بوقاحة: هل تأكلون لحم الكلاب والقطط في ألبانيا؟ تحكمت في أعصابي بمشقة وقلت لها: هل تعرفين عمر الخيام؟ هل تعرفين سعدي؟ هل تعرفين حافظ؟ لسنا متوحشين حتى نأكل القطط والكلاب[2].

الإيطاليون لا يعرفون الإسلام كما يجب، يعتقدون أن الإسلام هو دين الممنوعات: ممنوع شرب الخمر، ممنوع أكل الخنزير، ممنوع الجنس خارج إطار الزواج، ذات يوم قال لي ساندرو صاحب بار دنديني: كم عدد زوجاتك؟ فقلت له: عندي زوجة واحدة فكر قليلا ثم قال لي: أنت مسلم مزيف، لن تذهب إلى الجنة لأن المسلم الحقيقي مطالب بالصلاة خمس مرات في اليوم وصوم شهر رمضان والزواج من أربع نساء حاولت أن أشرح له أنني فقير ولست غنيا مثل أمراء الخليج حتى أعيل أربع أسر دفعة واحدة لكنه لم يقتنع بكلامي[3].

في محطة ترميني أوقفني أعوان الشرطة وحملوني إلى مركز الشرطة للتحقيق معي، لم أفهم سبب هذا التوقيف، إذ ظننت أن ثمة خطأ ما. بحثوا في حقيبتي ووجدوا بعض الغرامات من الماريخوانا، قالوا لي:

ما هذ؟

هدايا لبعض الأصدقاء.

هل تسخر منا يا ابن الحرام؟

لا أنا أقول الحقيقة. لم أنتهك القانون.

هل أنت مجنون؟

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص22.

[2]– المصدر نفسه، ص25.

[3]– المصدر نفسه، ص51.

**هذه هدايا لبعض الأصدقاء وهذا وصل الشراء من بائع التبغ في أمستردام.**

**أنت هولندي؟**

**نعم.**

**الآن اتضحت الأمور، روما ليست جنة المدمنين على المخدرات مثل أمستردام، المتاجرة بالمخدرات ممنوعة في إيطاليا. هل فهمت؟ الحيازة على غرامات من الماريخوانا جنحة يعاقب عليها القانون[1].**

**كثيرا ما تشاجرت مع زوجتي بسبب ابنا الوحيد بيبو، فهي ترى أنني أشجعه على ترك المدرسة، قلت لها: يا غبية، ألا تزالين تؤمنين بالمدرسة؟ ألا ترين ما يحدث في المدارس من قتل واغتصاب واحتجاز؟ ردّت متذرعة أن كل ذلك يحدث في الأفلام أو في بعض مدارس السود في الولايات المتحدة، عندئذ قلت لها: تذكري يا عزيزتي أننا نستورد من الولايات المتحدة كل شيء، عما قريب ستشاهدين على شاشة التلفزيون وعلى البث المباشر عمليات قتل داخل المدارس الإيطالية يقوم بها التلاميذ أنفسهم[2].**

لقد تبنى الكاتب هذا النمط من الحوار حتى يعزز من النسق السردي في حجاجه، إذ كل شخصية اختزلت في ذهنها وعيًا بذاتها وبالمحيطين بها وبالموقف الذي يؤطر حضورها وقد تم ترجمة هذا التباين في الوعي إلى تباين على مستوى الأصوات الحوارية مما جعل من التباين الأيديولوجي سبيلا لتتولد البنية الحوارية.

فتعدد المواقف والرؤى الأيديولوجية هنا في الرواية والتي اختلفت اتجاهاتها هي التي ولدت الحوار وأعطت النص صبغة حجاجية بامتياز.

---

[1]– عمارة لخوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص98.

[2]– المصدر نفسه، ص112.

وعليه فقد تمكن الحوار بمختلف أنماطه من تفعيل دوره، والمساهمة بشكل أساسي في تشكيل الفعل الحجاجي، اضطلع بمهمة الكشف عن العوالم الخفية لكل شخصية بمختلف أبعادها ومستوياتها الفكرية.

بعد تحليلنا للرواية والوقوف على أهم معالم الحجاج فيها تبين لنا أن الحجاج كان ذا طابع مزدوج في هذا النص ويمكن دراسته على مستويين:

**-المستوى الخارجي:**

يشكل النص في كليته حجة يقدمها الكاتب لخدمة نتيجة يقصدها ويسعى إليها، وهي نتيجة قد تكون من نمط ضرورة نبذ التمييز العنصري ومحاربة كل أشكال الظلم والاستبداد والتعسف، وهي رسالة أخرى من أجل ضرورة تقديم يد العون للمستضعفين من بني البشر أينما كانوا أو هي رسالة إلى الجهات المعنية إلى ضرورة العمل على تحقيق العدل والمساواة.

**-المستوى الداخلي:**

يتعلق الأمر هنا بالحجاج الموجود داخل النص، ويتمثل في كل مكونات النص وأجزائه، بحيث نجده في الصور البلاغية والعلائق الحجاجية والأدوات اللسانية وأيضا البنية الحوارية التي جسدت البعد الحجاجي بامتياز.

# خاتمة

أما وقد وصل البحث إلى نهايته، وبعد أن استمتعت برحلة شيقة في رحاب هذا البحث، رحلة أثمرت نتائج وملاحظات من خلال فصول البحث ومن هذه النتائج والملاحظات ما يلي:

- النص كيان لغوي، ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية، متماسك الأجزاء مترابط الأفكار والأحداث، ويتسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه.
- يستخدم مصطلح الخطاب للدلالة على كل كلام ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب.
- تنبه العرب والغرب إلى معنى التواصل من خلال تعريفهم للغة التي تربط بين المتكلم والسامع قصد الفهم والإفهام.
- تأرجح مفهوم الحجاج بين تحديدات متباينة مردّ ذلك إلى المنطق الفكري والمفاهيمي لكل مدرسة، إلا أن الاختلاف يصب في نقطة واحدة أو نتيجة واحدة وهي تحقيق الإقناع.
- أن الحجاج في الثقافة الغربية كان مشتركًا قاسمًا بين الجدل والخطابة، والتبس مفهومه في الثقافة بمفهوم الجدل والبلاغة، أما في الدراسات الحديثة فقد تم تخليصه من صنعة الجدل والخطابة، وأصبح يدرس باعتباره بلاغة عامة من شأنها التأثير في المتلقي وإذعانه.
- اتجاه سلالم الحجاج يكون تصاعديًا ليحقق النتائج المرجوة، فكلما تكون الحجة التالية أقوى من السابقة، يحدث الفعل التأثيري في المتلقي.
- الحجج المؤسسة لبنية الواقع تعد من الحجج تأثيرًا في المتلقي نظرًا إلى محتواها المستمدة من الواقع المعيش للمتلقي.
- تسعى الحجج شبه منطقية إلى إشراك المتلقي في العملية الحجاجية، وهذا من خلال إعمال فكره ونظره فيما يعرض عليه من أفكار أثناء الحجاج.

- يعد الإقناع وسيلة من وسائل التأثير في المتلقي، وتتحقق هذه العملية بواسطة جملة من الآليات اللسانية واللغوية، من أجل توجيه المتلقي إلى مقاصده ونتائجه.
- تعد رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك من المدونات الأدبية ذات طابع حجاجي عملي خدم أغراض الرواية أو الغرض الأوحد له وهو صراع الحضارات الذي تنوّع عرضه وتطويره بتنوع الخطابات الحجاجية المتضمنة فيها.
- تعددت الروابط والعوامل الحجاجية في الرواية، فقد أدت دورًا فعالًا في انسجام الخطاب من ناحية وفي توجيه الخطاب من ناحية أخرى، حيث سوقت الخطاب نحو وجهة منفردة وواضحة مما أكسب الخطاب طاقة حجاجية عالية فعملت على التأثير والإقناع.
- قام التكرار بوظائف حجاجية مساهمًا في توكيد القضايا التي تعرض على المتلقي، دافعة به إلى تغيير سلوكه، عاملًا على تحقيق تماسك النص واتساقه مكونًا حجة على صدق كلام صاحبه.
- أدت الآليات البلاغية دورًا إقناعيًا، فمعظم هذه الأساليب البلاغية تمتلك خاصية التحول لأداء أغراض إقناعية تواصلية، فأدت كل من الاستعارة والكناية والتشبيه والبديع أثرًا في النفوس، وأدت في النهاية إلى إقامة علاقات إقناعية عقلية بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها ساهمت في اتساع الأفق الإقناعي وحصول الإقناع.
- فيما يتعلق بحجاجية الاستشهاد من القرآن والسنة والأمثال، حققت المراد انطلاقا من كونها آلية حجاجية فنية.

- النص الروائي عبارة عن أحداث كلامية، والحدث الكلامي هو عبارة عن سلسلة من الأفعال الكلامية بقسميها الإخباري، والإنجازي كالاستفهام، والنداء والأمر والتي كان لها الدور الفعال في توجيه القول حجاجيًا.
- إن الآليات المنطقية والمتمثلة في القياس عدّ رافدا أساسيا من روافد الحجاج لأنه يؤثر في المتلقي ويجعله دائم التركيز والانتباه.
- يعتبر الحوار أحد أهم الوسائط التي يوظفها المخاطَب لبناء حججه وتقديمها في قالب فني مترابط ومتكامل.

وكما لا يخلو بحث من أي نقص، وأن الكمال لله عزوجل، وإنما يكفينا في هذا المقام إخلاص النية في تقديم الفائدة، بما استطعنا من معرفة وجهد، والله من وراء القصد وهو الموفق لكل خير.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا:** القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

**ثانيا-المصادر:**

***أحمد رضا حوحو:**

**1-** غادة أم القرى، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، د.ط، 2007م.

***بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي:**

**2-** البرهان في علوم القرآن، ج03، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

***أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي:**

**3-** مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج03، تح: سيد زكريا، الناشر: مكتبة نزار المصطفى، الباز، د.ط، 2013م.

***أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه:**

**4-** الكتاب، ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988م.

***أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:**

**5-** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج01، تح: محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، المؤسسة للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط2، 1987م.

***جلال الدين محمد أحمد المحلّي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي:**

**6-** تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

***جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني:**

**7-** الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

***جلال الدين السيوطي:**

**8-** تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج02، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

***الحسن بن قاسم المرادي:**

**9-** الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

***أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب:**

**10-** البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مصر، د.ط 1969م.

***ابن جني:**

**11-** الخصائص، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.

***ديوان امرئ القيس:**

**12-** ظبطه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط5، 2003م.

***الرماني:**

**13-** ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول النجار دار المعارف، مصر، ط3، 1956م.

***ضياء الدين بن الأثير:**

**14-** المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج01، قدمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة، مصر، ط2، د.ت.

***عبد القاهر الجرجاني:**

**15-**أسرار البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، محمد عزيز شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

***عبد القاهر الجرجاني:**

**16-** دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، د.ط، د.ت.

***أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:**

**17-** البيان والتبيين، ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.

***أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:**

**18-** الحيوان، ج01، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط2، 1965م.

***عمارة لخوص:**

**19-** كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 2006م.

***علي بن محمد الشريف الجرجاني:**

**20-** التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1985م.

***أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي:**

**21-** تفسير القرآن العظيم، ج03، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 2006م.

***الغزالي:**

**22-** المستصفي من علم الأصول، ج01، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1 1997م.

***أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي:**

**23-** تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 2009م.

***الكفوي:**

**24**- الكليات: القسم الثاني، تح: عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة دمشق، د.ط، 1982م.

***مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي:**

**25**- فتح الرحمن في تفسير القرآن، مج01، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، بيروت لبنان، ط1، 2009م.

***أبو هلال العسكري:**

**26**- جمهرة الأمثال، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 2008م.

**27**- الصناعتين، د.ط، د.ت.

***أبو يعقوب بن يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي:**

**28**- مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

**ثالثا-المراجع:**

***إبراهيم سعدي:**

**29**- دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، الجزتئر، د.ط، 2009م.

***أحمد صبرة:**

**30**- التشكّل والمعنى في الخطاب السردي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان ط1، 2013م.

***أحمد عزت يونس:**

**31**- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014م.

***أحمد علواني:**

**32**- الحجاج عند الطفيليين، دار التنوير، القاهرة، مصر، ط1، 2015م.

***أحمد المتوكل:**

**33**- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، د.ط، 2001م.

***أحمد محمد عطية:**

**34**- الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة د.ط، د.ت.

***أحمد منور:**

**35**- الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2007م.

***الأزهر الزّنّاد:**

**36**- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1993م.

***أمال يوسف المغامسي:**

**37**- الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1 2016م.

***أمنية الدهري:**

**38**- الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2010م.

***أميمة صبحي:**

**39**- حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2015م.

***باسم خيري خضير:**

**40**- الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2019م.

***بشير بويجرة محمد:**

**41**- الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

***بشير القمري:**

**42**- شعرية النص الروائي، شركة البيادر للنشر والتوزيع، أكدال، الرباط، المغرب، ط1 1991م.

***أبو بكر العزاوي:**

**43**- اللغة والحجاج، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م.

***بلحيا الطاهر:**

**44**- الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2017م.

***جابر عصفور:**

**45**- زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1999م.

***جريس سماوي:**

**46**- دراسات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

***جميل حمداوي:**

**47**- التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مكتبة المثقف، أستراليا، ط1، 2015م.

**48**- محاضرات في لسانيات النص، مكتبة المثقف، أستراليا، ط1، 2015م.

***جواد ختام:**

**49**- التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م.

***حاتم الصكر:**

**50**- ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1998م.

***حافظ إسماعيلي علوي:**

**51**- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج03، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م.

***حسام أحمد فرج:**

**52**- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 2009م.

***حسين خمري:**

**53**- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

***حمادي صمود:**

**54**- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس د.ط، د.ت.

***حمدي منصور جودي:**

**55**- الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018م.

***حمو النقاري:**

**56**- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006م.

***خالد كاظم حميدي:**

**57**- علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

***خلود العموش:**

**58**- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2008م.

***ذهبية حمو الحاج:**

**59**- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، د.ط، 2005م.

***رابح بوحوش:**

**60**- الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر د.ط، د.ت.

***ربيعة العربي:**

**61**- الحد بين النص والخطاب، كلية الآداب، أكادير، المغرب، د.ط، د.ت.

***الزواوي بغوره:**

الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

***سامية بن يامنة:**

**62**- الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م

***سامية الدريدي:**

**63**- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2 2011م.

***سعد محمد رحيم:**

**64-** سحر السرد دراسات في الفنون السردية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، د.ط، 2014م.

***السعدية الشاذلي:**

**65-** مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي مقدمة حديث عيسى بن هشام وإنشاء الروايات العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، د.ط، 1998م.

***سعيد حسين بحري:**

**66-** علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر، ط1، 1997م.

***سعيد فاهم:**

**67-** عاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، د.ط، 2011م.

***سعيد يقطين:**

**68-** انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت.

**69-** قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

***سليمان قوراي:**

**70-** مباحث في الرواية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 1986م.

***السيد أحمد الهاشمي:**

**71-** جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

***سيد البحراوي:**

**72-** الأنواع النثرية في الأدب العربي المعاصر أجيال وملامح، د.ط، د.ت.

***شجاع مسلم العناني:**

**73-** الرواية العربية والحضارة الأوروبية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، د.ط، 1979م.

***شكري عزيز الماضي:**

**74-** أنماط الرواية العربية الجديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د.ط، 2008م.

***صابر الحباشة:**

**75-** التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا ط1، 2008م.

***صالح بلعيد:**

**76-** التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1994م.

***صالح مفقودة:**

**77-** المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009م.

***صلاح فضل:**

**78-** بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د.ط، 1992م.

***طه عبد الرحمن:**

**79-** تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، د.ت.

**80**- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2000م.

**81**- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1998م.

***طه عبد الله محمد السبعاوي:**

**82**- أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط د.ت.

***عادل ضرغام:**

**83**- في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

***عاطف فضل محمد:**

**84**- البلاغة العربية، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط1، 2001م.

***عبد الجليل مرتاض:**

**85**- اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، دار هومة، بوزريعة الجزائر، د.ط، 2000م.

***عبد الرحمن بن ناصر السعدي:**

**86**- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 2002م.

***عبد السلام عشير:**

**87**- عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2013م.

***عبد القادر شرشار:**

**88**- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2006م.

***عبد اللطيف عادل:**

**89-** بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

**90-** الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال مراكش، المغرب، ط1، 2017م.

***عبد الله إبراهيم:**

**91-** الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1999م.

**92-** المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.

***أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني:**

**93-** شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2010م.

***عبد الله الركيبي:**

**94-** تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، د.ط، 2009م.

***عبد الله صولة:**

**95-** الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2011م.

**96-** في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.

***عبد الله الهامل:**

**97-** الحجاج الجدلي، ط1، 2013م.

***عبد المالك مرتاض:**

**98-** نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2007م.

***عبد الهادي بن ظافر الشهري:**

**99-** إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1 2003م.

**100-** الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

***عز الدين الناجح:**

**101-** العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011م.

***علي الشبعان:**

**102-** الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

***علي محمد علي سليمان:**

**103-** كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

***عمر بن قينة:**

**104-** في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط8، 2004م.

***فايد محمد، سحنين علي:**

**105-** أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طكسيج للدراسات والنشر والتوزيع، الدويرة الجزائر، د.ط، 2014م.

***ليلى جغام:**

**106-** استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، دار النابغة للنشر والتوزيع، الإسكندرية مصر، ط1، 2015م.

***محمد الأخضر الصبيحي:**

**107-** مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م.

***محمد تحريشي:**

**108-** في الرواية والقصة والمسرح قراء في المكونات الفنية والجمالية السردية، بابا حسان، الجزائر، د.ط، 2007م.

***محمد جبر عبد الحميد:**

**109-** فن القصة تاريخ ودراسات، دار البيان، مصر، د.ط، 1987م.

***محمد خطابي:**

**110-** لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1991م.

***محمد سالم محمد الأمين الطلبة:**

**111-** الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

***محمد شاهين:**

**112-** آفاق الرواية البنية والمؤثرات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط 2001م.

***محمد صابر عبيد:**

**113-** التنوير الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015م.

***محمد صالح الجابري:**

**114-** الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

***محمد الطاهر بن عاشور:**

**115-** تفسير التحرير والتنوير، ج03، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م.

***محمد طروس:**

**116-** النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، د.ط 2013م.

***محمد عابد الجابري:**

**117-** بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ج02 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

**118-** التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان ط1، 2010م.

***محمد عبد الباسط عيد:**

**119-** في حجاج النص الشعري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2013م.

***محمد عزام:**

**120-** فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1 1996م.

***محمد علي الصابوني:**

**121-** صفوة التفاسير، مج01، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1981م.

***محمد القاسمي:**

**122-** دراسات معاصرة في اللغة والأدب والتواصل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ط1 2016م.

***محمد مشبال:**

**123-** أسرار النقد الأدبي مقالات في النقد والتواصل، مطبعة الخليج العربي، تطوان المغرب، ط1، 2002م.

***محمود عباس عبد الواحد:**

**124**- قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1996م.

***محمود قاسم:**

**125**- الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر د.ط، 1996م.

***محمد مصايف:**

**126**- النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م.

***محمد مندور:**

**127**- الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006م.

***مخلوف عامر:**

**128**- توظيف التراث في الرواية الجزائرية بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ط1، 2005م.

**129**- مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013م.

***مصطفى رجوان:**

**130**- الرواية والحجاج، دار دجلة الأكاديمية، بيروت، لبنان، ط1، 2019م.

***منى الشرافي:**

**131**- الجسد في مرايا الذاكرة الفن الروائي في ثلاثية أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد فوضى الحواس عابر سرير، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2015م.

***منذر عياشي:**

**132**- العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2004م.

***نعمان بوقرة:**

**133-** المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 1999م.

***نواري سعودي أبو زيد:**

**134-** ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م

***يسرى نوفل:**

**135-** المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، دار النابغة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2014م.

**رابعا-المعاجم العربية:**

***أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:**

**136-** مقاييس اللغة، ج02، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان د.ط، 1979م.

***أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور:**

**137-** لسان العرب، مج07، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

***أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري:**

**138-** أساس البلاغة، ج01، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م

***محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي:**

**139-** مختار الصحاح، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، د.ط، 1986م.

***مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي:**

**140-** القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2008م.

***مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث:**

**141**- المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4 2004م.

## خامسا-المجلات والدوريات:

***أحلام معمري:**

**142**- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، دورية علمية محكمة تصدر فصليا عن كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد20، 2014م.

***أحمد منور:**

**143**- روايات الجزائريين باللغة الفرنسية، أعمال الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة، ولاية برج بوعريريج، 2004م.

***بن علي لونيس:**

**144**- الهوية الثقافية: من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحضاري: قراءة في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك للروائي عمرة لخوص، مجلة تمثلات، مجلة علمية يصدرها مخبر التمثلات الفكرية والثقافية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر العدد02، المجلد1، 10جوان 2015م.

***جمعان بن عبد الكريم الغامدي:**

**145**- الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، مجلة دورية علمية محكمة نصف سنوية، العدد العاشر، ماي 2013م.

***حبيب أعراب:**

**146-** الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد01، المجلد30، يوليو-سبتمبر 2001م.

***حمودي السعيد:**

**147-** الانسجام والاتساق النصي المفهوم والأشكال، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية، يومي 22 و 23 فيفري، جامعة المسيلة، الجزائر، 2012م.

***الراضي رشيد:**

**148-** الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم الفكر، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد01، المجلد34، يوليو-سبتمبر، 2005م.

***رضوان الرقبي:**

**149-** الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد02، المجلد40 أكتوبر-ديسمبر، 2011.

***زياد العناني:**

**150-** سردية التجريب وحداثتها في الرواية العربية الجزائرية، جريدة الغد، عمان، الأردن، نشر يوم السبت 10 نوفمبر 2005م.

***محمد مصابيح:**

**151-** بين النص والخطاب مساءلة في المفاهيم، مجلة أيقونات، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس الجزائر، العدد الثالث، 2011م.

***محمد مظلوم:**

**152-** ريح الجنوب رواية عبد الحميد بن هدوقة، كتاب في جريدة،أصدرته منظمة الأونيسكو عام 1996م، عدد115، 2008م.

***محمد الولي:**

**153-** مدخل إلى حجاج أفلاطون وأرسطو وشايمبيرلمان، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويتن العدد02، المجلد40، أكتوبر-ديسمبر، 2011م.

***نور الدين صدار:**

**154-** سيميائيات التواصل الفني بحث في إشكالات المقصدية، مجلة أيقونات، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائية سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الثالث، 2011م.

**سادسا-الرسائل العلمية:**

***إيمان جربوعة:**

**155-** القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية قصتا إبراهيم ويوسف عليهما السلام أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغويات، إشراف الأستاذ محييالدين سالم، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، قسم الآداب واللغة العربية 2015م.

***بلقاسم حمام:**

**156-** آليات التواصل في الخطاب القرآني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، إشراف الأستاذ: محمد خان، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005م.

***ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي:**

**157-** دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سلسلة الرسائل الموصى بطبعها، ط1، 1432ه.

***محمد العيد تاورته:**

**158-** الرواية في الأدب الجزائري المعاصر النشوء والتطور 1947-1984م، أطروحة دكتوراه دولة، ج01، إشراف الأستاذ: سيد البحراوي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر قسم اللغة العربية وآدابها، 2000م.

## سابعا-الكتب الأجنبية المترجمة:

***أبراهام مولز، كلود زيلتمان:**

**159-** في التداولية المعاصرة والتواصل فصول مختارة، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2014م.

***أرسطو طاليس:**

**160-** الخطابة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط 1979م.

***باتريك شاردو:**

**161-** الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2009م.

***باتريك شاردو، دومينيك منغو:**

**162-** معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، 2008م.

***جاك موشلار، آن روبول:**

**163**- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

***جورج لايكوف، ومارك جونسن:**

**164**- الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب ط1 1996م.

***جوليا كريسطفيا:**

**165**- علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م.

***دومينيك مانغونو:**

**166**- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

***ر.م ألبيريس:**

**167**- تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2 1982م.

***روجر فاولر:**

**168**- اللسانيات والرواية، تر: أحمد مومن، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د.ط، 2006م.

***رينهار تدوزي:**

**169**- تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، 1980م.

***زتسيسلاف ووارزنياك:**

**170-** مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003م.

***ساراماليز:**

**171-** مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، تر: عصام خلف كامل دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، د.ط، 2003م.

***فان دايك:**

**172-** النص والسياق، تر: عبد القار قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط 2000م.

***فردينان دو سوسير:**

**173-** محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د.ط، 1986م.

***فيليب بروتون، جيل جوتييه:**

**174-** تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011م.

***كلاوس برينكر:**

**175-** التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2015م.

***كورنيليا فون راد-صكوحي:**

**176-** الحجاج في المقام المدرسي، تحت إشراف فريق البحث في البلاغة والحجاج رئاسة: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، 2003م.

***مالكوم برادبري:**

**177**- الرواية اليوم، تر: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط 1996م.

***ميخائيل باختين:**

**178**- الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 1987م.

**179**- شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، حياة شرارة، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.

***هنريش بليث:**

**180**- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق بيروت، لبنان، د.ط، 1999م.

## ثامنا-الكتب الأجنبية:

**181** - Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue française, Paris, 1989.

* **Philippe breton:**

**182**-l'argumentation dans la communication ,3ème édition, la découverte, Paris 2003.

# ملخص البحث

انصب عملنا في هذا البحث الموسوم بـــ: الصفة التواصلية للحجاج في النص الروائي الجزائري، وكانت رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخوص نموذجا لدراستنا، وقفنا من خلالها أن للروائي عمارة لخوص قدرة متميزة في التأثير في الآخرين واستمالتهم، وقد أعاننا هذا على معرفة الأسس التي اعتمدها في خطاباته والكشف عن الأساليب الحجاجية التي وظفها بغية التأثير في المتلقي والوصول إلى قلبه وعقله، من خلال استقراء ما أمكن من الشواهد والأمثلة، وقد تمكنا من رصد وإبراز فهم بنية الأمر من خلال آليات الحجاج اللغوية كالروابط والعوامل الحجاجية ووظيفتها الحجاجية في مدونة البحث إضافة إلى آليات الحجاج البلاغية ودورها في تحقيق إقناع وإذعان الطرف الآخر، وتضمنت الآليات التداولية والمنطقية والفاعلية الحوارية رغبة المتكلم في إيصال السامع إلى بر وضوح المعنى وإحراز منفعة الفهم.

**Our work in this research was represented in the topic labelled '' the communicative attribute of argumentative texts in Algerian literary narratives". Amara Lakous' how to breastfeed a wolf without getting bitten, was a model for this research. We have assumed, therefore, that the writer has the ability to attract readers' attention toward the text. This was through analyzing and revealing the adopted argumentative techniques in his narratives to see how does he influence the target reader to possess his heart and mind, using all the available examples and data. These results were achieved through analyzing the argumentative linguistic mechanisms and its argumentative functions in the blog of the research, as well as the rhetoric argumentative mechanisms and its role in influencing the target readers. Deliberative and logical mechanisms and the efficiency of dialogue comprise the desire of the speaker to reach the complete meaning and making the target listener aware of the delivered message.**

**Notre travail intitulé : la caractéristique communicative de l'argumentation dans le texte narratif algérien, s'est centré sur le roman « comment s'allaiter par une louve sans qu'elle vous morde » de AmaraLakhous quia été choisi comme corpus de notre étude. A travers cetteœuvre, nous avons compris que le narrateur a une a une capacité distincte d'influencer et d'agir sur les autres, cela qui nous a aidé à connaître les fondements qu'il a adoptés dans ses discours et à révéler les style argumentatifs qu'il a utilisées pour influencer le destinataire et atteindre son cœur et son esprit en extrapolant les preuves et exemples possibles.Nous avons pu remarquer et démontrer la compréhension de la structure de la question à travers les mécanismesdes argumentslinguistiques, tels que les liens et les facteurs argumentatifs et leurs fonctions argumentativesdans le registre de recherche en plus des mécanismes des arguments rhétoriques et leur rôle dans la persuasion et l'acquiescement de l'autre. Les mécanismes alternatifs, logiques et l'efficacité dialogiqueont compris le désirdu destinateur d'accompagner le destinataire au terrain de la clarté du sens et d'atteindre le bénéfice de compréhension.**

# الفهرس

## فهرس المحتويات


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| شكر وتقدير | |
| إهداء | |
| مقدمة..... | أ-هـ |
| الفصل التمهيدي: الرواية الجزائرية من التأسيس إلى التأصيل | |
| ..... | 07-32 |
| الفصل الأول : بين النص والخطاب والتواصل | |
| المبحث الأول: مفهوم النص ..... | 34 |
| أولا-مفهوم النص في الفكر العربي..... | 34 |
| ثانيا-مفهوم النص في الفكر الغربي..... | 44 |
| المبحث الثاني: مفهوم الخطاب..... | 49 |
| أولا-مفهوم الخطاب في الفكر العربي..... | 49 |
| ثانيا-مفهوم الخطاب في الفكر الغربي..... | 52 |
| المبحث الثالث: موازنة بين النص والخطاب..... | 56 |
| المبحث الرابع: مفهوم التواصل..... | 58 |
| أولا-مفهوم التواصل في الفكر العربي..... | 58 |
| ثانيا-مفهوم التواصل في الفكر الغربي..... | 64 |
| ثالثا-أنواع التواصل..... | 69 |
| رابعا-أنماط التواصل..... | 69 |
| خامسا-النص الأدبي إبلاغ تواصلي..... | 69 |
| المبحث الخامس: التواصل الحجاجي..... | 72 |
| أولا-التواصل وأبعاده..... | 72 |

ثانيا-التواصل الحجاجي خصائصه وآلياته..... 75
ثالثا-الحجاج ودوره في التواصل اللساني..... 76
المبحث السادس: البلاغة والتواصل..... 79
أولا-مراعاة مقتضى الحال..... 81
ثانيا-الرسالة..... 81
ثالثا-المرسل إليه..... 82
رابعا-التأثير والإمتاع..... 82
المبحث السابع: بين التواصل والخطاب..... 85

الفصل الثاني: في الحجاج

تمهيد..... 87
المبحث الأول: في مفهوم الحجاج..... 89
أولا-المعنى اللغوي للحجاج..... 89
1-مصطلح الحجاج في المعاجم العربية..... 89
2-مصطلح الحجاج في المعاجم الغربية..... 91
3-مصطلح الحجاج في القرآن الكريم..... 92
ثانيا-المعنى الاصطلاحي للحجاج..... 97
ثالثا-الإقناع وعلاقته بالحجاج..... 103
رابعا-الحجاج والجدل..... 108
خامسا-التواصل والحجاج..... 111
سادسا-الحجاج والتداولية..... 113
المبحث الثاني: الخطاب الحجاجي..... 116
أولا-الحجاج في السياق اليوناني القديم..... 116
1-الحجاج عند السفسطائيين..... 116

2-الحجاج عند أفلاطون..... 119
3-الحجاج عند أرسطو..... 121
ثانيا-الحجاج في البلاغة العربية القديمة..... 126
1-الحجاج عند الجاحظ..... 129
2-الحجاج عند ابن وهب..... 133
3-الحجاج عند السكاكي..... 135
ثالثا-الحجاج في الفكر الغربي الحديث..... 137
1-الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه..... 137
2-مفهوم الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر..... 144
3-مفهوم الحجاج عند ميشال مايير وفلسفة المساءلة..... 149
رابعا-الحجاج في الفكر العربي الحديث..... 151
1-الحجاج عند طه عبد الرحمن..... 152
2-الحجاج عند محمد العمري..... 153
المبحث الثالث: أبعاد الكلام في الحجاج..... 155
أولا-مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه..... 155
ثانيا-الروابط والعوامل الحجاجية..... 158
ثالثا-أدوات الحجاج وآلياته..... 160
رابعا-بنية الحجاج..... 162
الفصل الثالث: آليات ووسائل الحجاج في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك
أولا-التعريف بمدونة الدراسة: رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك. 165
1-عمارة لخوص..... 165
2-محتوى الرواية..... 166

3-قراءة سيميائية في العتبات النصية في رواية كيف ترضع من الذئبة
دون أن تعضك..... 167
ثانيا: الجنس الأدبي شروطه ومقتضياته..... 171
ثالثا: الحجاج وعلاقته بالسرديات..... 171
رابعا-الرواية وبلاغة اللغة..... 175
المبحث الأول: الآليات اللغوية للحجاج..... 179
أولا-الروابط الحجاجية..... 179
ثانيا-العوامل الحجاجية..... 189
ثالثا-التكرار..... 191
المبحث الثاني: الآليات البلاغية للحجاج..... 201
تمهيد..... 201
أ- الطاقة الحجاجية للإستعارة..... 202
ب-الطاقة الحجاجية للتشبيه..... 205
جـ-الطاقة الحجاجية للكناية..... 207
د-الطاقة الحجاجية للبديع..... 209
هـ-حجاجية الاستشهاد..... 213
المبحث الثالث: الآليات التداولية للحجاج..... 220
أولا-الأفعال الإنجازية..... 220
ثانيا-الأفعال الإخبارية..... 224
المبحث الرابع: الآليات المنطقية..... 226
-القياس المنطقي..... 226
المبحث الخامس: الحوارية وطرق التواصل..... 230
أولا-الحوار الداخلي..... 231

ثانيا-الحوار الخارجي..... 233
خاتمة..... 238
قائمة المصادر والمراجع..... 242
ملخص البحث باللغة العربية..... 267
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... 268
ملخص البحث باللغة الفرنسية..... 269
الفهرس..... 271
ملحق.....

# ملحق

النقطة الزرقاء
BLUE DOT

# كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك - عمارة لخوص

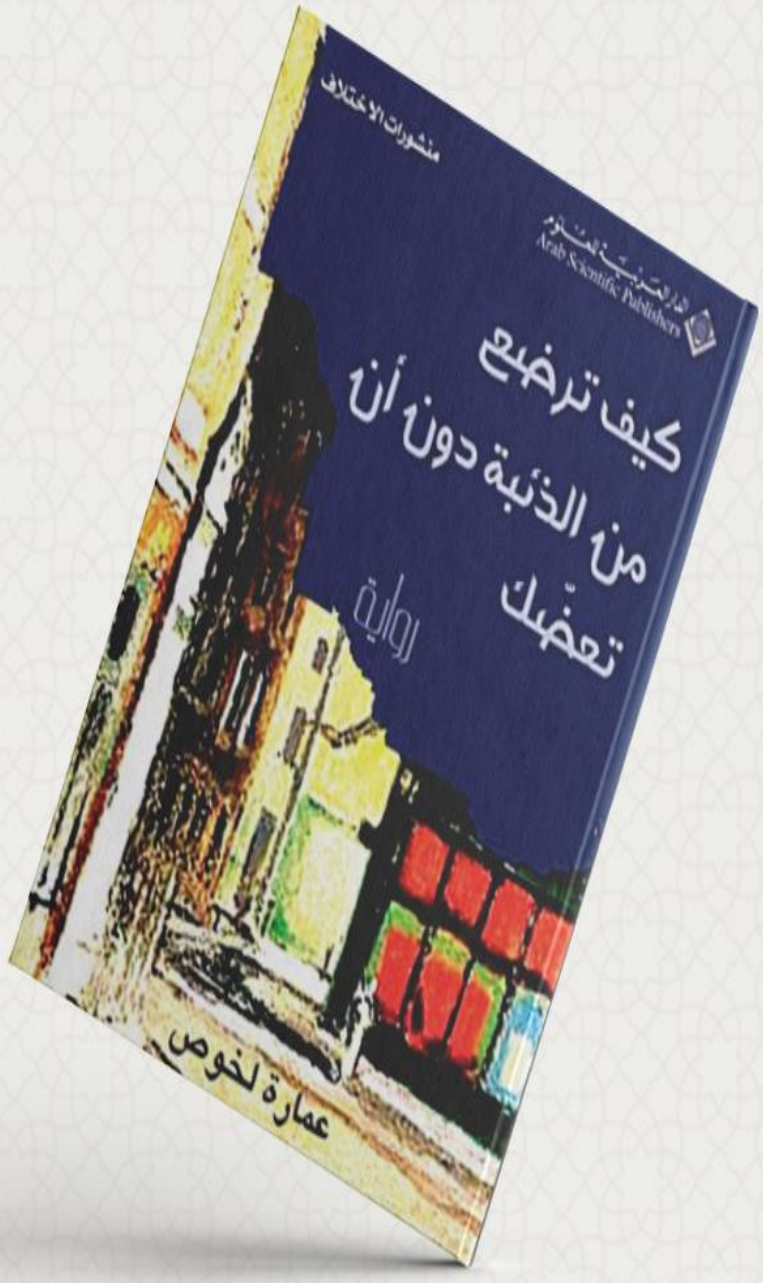

www.ibtesamah.com/vb

مجلة الابتسامة

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
منشورات الاختلاف

عمارة لخوص في هذه الرواية ما لعله أكبر إضافة ظهرت خلال عقود للروايات التي كتبت بلغتها
سؤال وعي الذات والعالم، منذ توفيق الحكيم إلى الطيب صالح. إنه سؤال الحضارة والتاريخ
الصراع والاندماج والثقافة، تحمله هذه الرواية من العصف الجزائري عشية القرن العشرين، الى
الآخر الإيطالي، حيث يتفجر السؤال جريمة وذئبة وعواءً وذاكرة يسكنها شهريار وألف ويوما
شهرزاد حكاية وحياة. وبكل ذلك يحقّ لعمارة لخوص أن يباهي بهذه الرواية الفريدة».

– نبيل سليمان

عجابي بهذه الرواية إعجاب نابع من متعة عالية وفرتها لي إلى جانب معرفة حققتها هذه الرو
لفن الحقيقي الذي يجسد متعة المعرفة من خلال الجميل. توظيف الكاتب للرموز (رمز الذئ
سيعين) وثالثهما المهاجر الذي تشرب المدينة والثقافة بالكامل توظيف يتسم بدرجة عالية من الدق
افة. ما أروع الأمثولة. ليت الكاتب يكتبها بالإيطالية لتترجم إلى اللغات الأوروبية الأخرى، لأنها
الكثير عن المهاجرين مما لا يستطيع البحث أن يقوله بنفس الكثافة والمتعة».

– نصر حامد أبو زيد

عمارة لخوص نصّه هذا بكثير من المكر والمراوغة والوعي الفنّي حتى يكون نصاً مختلفاً يحكي
المنفى وواقع المهاجر في إيطاليا. إنها رواية الهروب من الذاكرة الجريحة ومأساة العيش دونها وم
ان الذئبة الضارية روما ... رواية ترضع الفلسفة والأدب والتاريخ وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا
باسة دون أن تسقط في مزالق الإيديولوجيا أو في الخطابية الفجّة ولا عضّتها التعليمية السادجة».

– كمال الرياحي

---

لخوص من مواليد الجزائر العاصمة عام 1970، تخرّج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر عام
، حصل على الماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية من جامعة روما عام 2002، يحضّر حاليا
حة الدكتوراة في نفس الجامعة حول المهاجرين العرب المقيمين بإيطاليا. نشر روايته الأولى «البق
صان» باللغتين العربية والإيطالية في روما عام 1999. يقيم في العاصمة الإيطالية منذ عام 1995
ينشط في مجالات مختلفة كالترجمة والصحافة، ويشتغل حالياً في وكالة (آكي) الإيطالية للأنباء.
تابة روايته «كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك» باللغة الإيطالية وستصدر عن دار النشر
لية المعروفة (E/O).

* الأحلاق *
www.ibtesamah.com/vb

ISBN 9963-29-429-1
9789953294292
منشورات الاختلاف
14 شارع جلول مشدل
الجزائر العاصمة
لعربية للعلوم
Arab Scientific Publis
www.asp.com.lb

تبنا متوفرة في
بكة الإنترنت
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

**ملخص:**

**انصب عملنا في هذا البحث الموسوم بـــ: الصفة التواصلية للحجاج في النص الروائي الجزائري، وكانت رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخوص نموذجا لدراستنا، وقفنا من خلالها أن للروائي عمارة لخوص قدرة متميزة في التأثير في الآخرين واستمالتهم، وقد أعاننا هذا على معرفة الأسس التي اعتمدها في خطاباته والكشف عن الأساليب الحجاجية التي وظفها بغية التأثير في المتلقي والوصول إلى قلبه وعقله، من خلال استقراء ما أمكن من الشواهد والأمثلة، وقد تمكنا من رصد وإبراز فهم بنية الأمر من خلال آليات الحجاج اللغوية كالروابط والعوامل الحجاجية ووظيفتها الحجاجية في مدونة البحث إضافة إلى آليات الحجاج البلاغية ودورها في تحقيق إقناع وإذعان الطرف الآخر، وتضمنت الآليات التداولية والمنطقية والفاعلية الحوارية رغبة المتكلم في إيصال السامع إلى بر وضوح المعنى وإحراز منفعة الفهم.**

**الكلمات المفتاحية: التواصل، الحجاج، النص الروائي الجزائري.**

## Abstract:

**Our work in this research was represented in the topic labelled '' the communicative attribute of argumentative texts in Algerian literary narratives". Amara Lakous' how to breastfeed a wolf without getting bitten, was a model for this research. We have assumed, therefore, that the writer has the ability to attract readers' attention toward the text. This was through analyzing and revealing the adopted argumentative techniques in his narratives to see how does he influence the target reader to possess his heart and mind, using all the available examples and data. These results were achieved through analyzing the argumentative linguistic mechanisms and its argumentative functions in the blog of the research, as well as the rhetoric argumentative mechanisms and its role in influencing the target readers. Deliberative and logical mechanisms and the efficiency of dialogue comprise the desire of the speaker to reach the complete meaning and making the target listener aware of the delivered message.**

**Keywords**: **communicate**, **argumentative**, **Algerian narrative.**

## Résumé:

**Notre travail intitulé : la caractéristique communicative de l'argumentation dans le texte narratif algérien, s'est centré sur le roman « comment s'allaiter par une louve sans qu'elle vous morde » de AmaraLakhousquia été choisi comme corpus de notre étude. A travers cetteœuvre, nous avons compris que le narrateur a une a une capacité distincte d'influencer et d'agir sur les autres, cela qui nous a aidé à connaître les fondements qu'il a adoptés dans ses discours et à révéler les style argumentatifs qu'il a utilisées pour influencer le destinataire et atteindre son cœur et son esprit en extrapolant les preuves et exemples possibles.Nous avons pu remarquer et démontrer la compréhension de la structure de la question à travers les mécanismesdesargumentslinguistiques, tels que les liens et les facteurs argumentatifs et leurs fonctions argumentativesdans le registre de recherche en plus des mécanismes des arguments rhétoriques et leur rôle dans la persuasion et l'acquiescement de l'autre. Les mécanismes alternatifs, logiques et l'efficacité dialogiqueont compris le désirdu destinateur d'accompagner le destinataire au terrain de la clarté du sens et d'atteindre le bénéfice de compréhension.**

**Les mot cles: Communication, argumentation, texte narratife algerrien.**